عشقني عفريت من الجن

الطبعة 8

1

الأعلى مبيعا

الجزء الأول من سلسلة جن بني النعمان

TAKEN BY THE JINN'S KING

بدر رمضان



ELENA BOOK

عشقني عفريت من الجن

سلسلة جن بني النعمان ١



القصة مقتبسة عن فتاة حقيقية ترى الجن وتتحدث معهم.... .

خلق اللّه عز وجل «سوميا» أبا الجن، قبل خلق آدم عليه السلام بألفي عام..

وقال عز وجل لـ «سوميا»: تمنَ.

فقال «سوميا»:

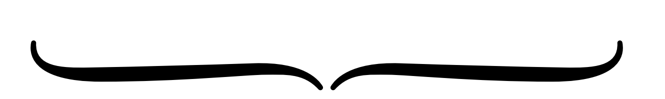
-أتمنى أن نرى ولا نُرى، وأن نغيب في الثرى، وأن يصير كهلنا شاباً.

ولبى اللّه عز وجل لـ «سوميا» أمنيته، وأسكنه الأرض له ما يشاء فيها.. وهكذا كان الجن أول من عبد الرب في الأرض.

ابن عباس رضي الله عنهما...
كما ذُكر في كتاب ابن كثير (البداية والنهاية)

هي حكاية فتاة دخلت رغماً عنها إلى عالم الجان.

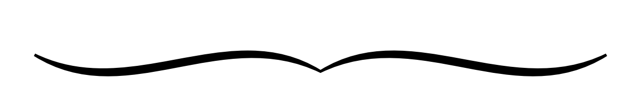
الإهداء



لكل من يؤمن أن هناك عوالم أخرى ويريد أن يتعرف عليها.



الفصل الأول



ظلت تلتفت يمينًا ويسارًا، يكاد قلبها يتوقف من الخوف، أدركت بعد لحظات أنها ليست على الأرض، أغمضت عينيها وفتحتهما مرة أخرى، ولكن النتيجة واحدة! لا ترى شيئًا سوى هذا الضوء الخافت المنبثق من بعيد رددت بصوتٍ خافت:

- أين أنا!؟

وضعت يدها على صدرها تلقائيًا تتحسس جسمها، غير مستوعبة ما حدث، «ما هذا المكان الموحش وأين أنا؟!» بدأت بترديدها هذه المرة بصوت مرتفع وهي تصرخ عاليًا:

-أين أنا؟! وما هذا المكان الموحش؟!.

لم تحصل على إجابة؛ فبدأت تتلو آيات التحصين التي تحفظها عن ظهر قلب، توقفت عن التلاوة، لتجحظ عيناها حين وجدت أنفاسًا من لهب تكاد تحرقها، لا ترى من أين تأتي! ابتلعت ريقها بصعوبة حين سمعت صوته.

-أكملي التلاوة؛ فأنا أعشق صوتك حين تقرأين القرآن.

لم تستطع الالتفات وهي تشعر به خلفها؛ فأغمضت عينيها بقوة وهي تقول:

-أين أنا؟! اتركني أرجوك.

فهمس في أذنها يتفاخر:

- أنتِ في بيتي وأنا الذي أرجوكِ وأقبل يديك عشقًا ألا تبتعدي عني.

تنهد ليكمل:

-أنا على استعداد أن أفعل أي شيء حتى تصبحين ملكي «روهان».

ظلت تضغط بيدها على صدرها حتى يتوقف عن الهدر بهذا الشكل؛ الذي سيجعلها تفقد الوعي، ازدادت أنفاسها اضطرابًا وحدة حتى علا صوتها بشدة، مما جعله يقترب منها أكثر، ليقول:

-لا تخافي حبيبتي؛ فأنا من المستحيل أن أؤذيكِ.

صوته أصبح أكثر حميمية، وهو يهمس لها:

-أنا أعذب نفسي منذ سنوات طوال حتى لا أمسكِ بأذى.

ليكمل بشراسة ولا يستطيع أحد أن يمسك بأذى وأنا حي.

قالت له بصوت يرتعش، وعيناها ما تزالان مغلقتين بشدة:

-أنت الآن تؤذيني.

زفر بضيق وهو يقول:

-أنا الآن أعترف لكِ أني أعشقك، بعيدًا عن هؤلاء الرجال المتطفلين الذين لا يفهمون ولا يشعرون، أنا تركت صديقتك حين طلبتِ مني أرجوكِ فأنا لا أستطيع أن أرفض لكِ طلبًا، َ

ثم أكمل قبل أن تتكلم هي، وكأنه يعرف ماذا ستطلب الآن :

إلا أن أبتعد عنكِ وأتركَكِ لإنسيٍ يمس شعرة منكِ.

أجابته بصوت مضطرب يشوبه الحزن والقلق:

-أعدك أنني لن أتزوج.

مسحت دمعة سقطت خوفًا، لتكمل:

-وأرجوكَ أن تتركني أعود لبيتي، ولا تحتجزني هنا؛ فأنا أموت خوفًا من هذا الظلام.

في أذنها مرة أخرى:

-لا تخافي حبيبتي.

ليشير إليها بسبابته لمكان في نهاية الغرفة، فارتعش جسمها بأكمله من اقتراب يده منها، لتنتفض حين قال:

-لقد أضأت لكِ مصباحًا هناك، ألا ترين؟

قالت له بيأس ودموعها تتساقط سريعًا:

-أنت لن تتركني، أليس كذلك!؟

تنهد بألم ليجيبها:

-أنا لن أُكرهكِ على شيء ولو كنت أريد لفعلتها من قبل.

اقترب من أذنها أكثر، فأغمضت عينيها بشدة..

-كل ما أردته أن تشعري بي، كنت أموت وأنا أراكِ ولا تعرفين كم أعشقكِ، وأنني أظل بجوارك كل ليلة حتى تنامي!

أغمضت عينيها بشدة وبدأت تئن بصوت خفيض فلم يهتم، ليكمل اعترافه:

-حاولت أن أقتحم أحلامك فلم أستطع، جربت لمسكِ فخشيت أن أؤذيكِ.

كل ما تمنيته أن تعلمي أن هناك رجلاً من سادة الجن يعشق كل خلية فيكِ، ويتمنى من الله أن تكوني له ومعه، لو أردتِ!

فتحت عينيها برعب حين شعرت بيد تهزها برفق، فوجدت أحد الشيوخ المتواجدين، وهي نائمة ممددة على الأرض، يحاولون إفاقتها، فسمعت أحدهم يقول:

-حمدًا لله أنك عدتِ بنيتي، هل أنتِ بخير؟!

انتفضت سريعًا تنظر حولها بعدم استيعاب، لتبدأ بتحسس جسمها بفزع، وحين تأكدت أنها عادت، تنهدت قائلة:

-أين هي ريم؟!

فأجابها شيخٌ منهم باستغراب:

-لا تقلقي، هـي بخير الآن، ولا تتذكر شيئًا مما حدث، أختها أعطتها مهدّئًا حتى تنام قليلاً أين كنتِ أنتِ؟؟ وماذا فعل بكِ الجني؟؟

اعتدلت واقفة، وهـي تقول:

-لا شـيء، شكرًا لكم.

ثم خرجت من دون إبداء أي ردة فعل، ظلت تفكر بقلق حتى وصلت بيتها، دلفت إلى غرفتها تتأفف لتقذف بحذائها بعيدًا عنها، ثـم ارتـمت عـلى سـريـرهـا مـنهكة إلـى أقـصى حـد، أغمضت عينيها تحاول الاسترخاء ولكن هيهات لقد عادوا، شـعرت أنـها تـدور فـي دوامـة خـانـقة، لـتنتفض حـين سـمعت صوت أنفاس حادة، فزفرت بقوة قائلة:

-من أنت؟ وماذا تريد؟

شـعرت بحرارة جسمها تعلو بشـدة، فـاسـتغفرت وظـلت تـتلو بعضًا آيات من القرآن حتى هدأت قليلاً لتكمل بضيق وهـي تبكي:

- كـنت بـدأت أنـساكـم وأمـضـي فـي طـريـقي، مـاذا حـدث لتعودوا إليّ مرة أخرى!؟

جاءها صوت فتاة تقول لها بلطف بالغ:

-أعتذر عن إزعاجك، أنا لا أريد إيذاءك..

لتتلكأ بحرج: أاا.. أنا.. كنت أبحث عن صديقة أتكلم معها قليلاً، وبالصدفة وجدت هالة تحيطكِ قادتني إليكِ، هل توافقين أن تكوني صديقتي؟

اعتدلت في مجلسها، تضع يدها على وجهها بغيظ..

-أكره هذه الهالة التي تقودكم إليّ.

التفتت إليها الفتاة قائلة:

-لم أكن أعلم قبل اليوم أنه بإمكاني أن أصاحب أحدًا من البشر، أنا أراكم دائمًا، وكنت أعتقد أنه لا يوجد إنسي يسمعنا أو يشعر بنا!

تمتمت روهان بغضب:

-هذا لسوء حظي!

ثم بدأت تأخذ عدة أنفاس؛ لتستطيع أن تفكر بشكل صحيح، شعرت للحظة أنها تريد التحدث إلى شخص ماً يفهمها، شخص لا يخاف منها، أو ينظر إليها على أنها مجنونة تعاني من خطب ما.

تنهدت براحة قائلة:

-يبدو أنكِ فتاة لطيفة، وأنا موافقة أن نكون صديقتين .

ابتهجت الفتاة قائلة:

- حسنًا سأجلس بجواركِ لتروي لي حكايتك.. لأني إلى الآن لم أفهم كيف تستطيعين الشعور بي وسماعي؟!

ابتسمت قائلة:

-هذه حكاية طويلة جدًا، هل تريدين سماعها؟!

أجابتها بحماس شديد:

-مؤكد أريد سماعها.

خلعت روهان معطفها الخارجي، وهي تقول:

-حسنًا سأرويها لكِ، ولكن قبل ذلك اخرجي من الغرفة حتى أبدل ثيابي.

ضحكت الفتاة بصوت مرتفع وغريب قائلة:

حسنًا سأخرج، ولكن عليكِ أن تطلبي خروج البقية!

أغمضت روهان عينيها، وهي تصك أسنانها بغيظ قائلة:

-حسنًا.

بسم الله ثم بدأت في خلع ثيابها، وهي تقول:

-هل تريني الآن؟

أجابتها الفتاة:

-لا تقلقي، لا يظهر منكِ شيء.

انتهت من ارتداء ملابس مريحة، ثم جلست على سريرها، لتشعر بعدها بنسمات شديدة الحرارة، فعرفت أن الفتاة جلست بجوارها، أخذت جهاز التحكم من على المنضدة بجوارها، وهي تقول:

-اسمحي لي أن أشغل المكيف؛ لأنني سأموت جراء ارتفاع الحرارة.

أجابتها الفتاة...

-حسناً تفضلي فنحن في عز الشتاء، لهذا جلست بجوارك كي أدفئك قليلاً.

ابتسمت لها روهان وهي تشير بجهاز التحكم إلى مكيف الهواء لتشغيله...

-أقدّر لطفك هذا، ولكن يومي كان شاقًا للغاية غير أنني لم أجلس مع صديقة لي من العالم الآخر منذ ما يقرب من خمس سنوات؛ لهذا فإن حرارة جسمي مرتفعة.

نظرت إليها الفتاة بعينين حمراوين قائلة:

-احكي لي عن يومكِ الشاق.

انزلقت لأسفل حتى نامت على ظهرها لتغمض عينيها قائلة:

-سأروي لكِ قصتي من البداية... ولكن عليكِ أولاً أن تخبريني باسمك.

تمددت الفتاة مثلها تمامًا، وهي تقول:

- حسنًا، اسمي «زمردة» وأنتِ؟؟

-اسمي روهان، وقبل أن تسألي عن معناه، سأقول لكِ، هو اسمٌ هندي لزهرة فريدة أمي من أسمتني هذا الاسم المميز.

عقبت زمردة:

- مميز فعلًا.

لتكمل روهان وهي تتنهد:

-أبلغ من العمر اثنين وعشرين عامًا... اليوم كان آخر يوم في اختبارات السنة الأخيرة من كلية الصيدلة.

لتزفر بضيق، وهي تقول:

-ولكن لسوء حظي لم أحضر الامتحان بسبب عفريت من الجن.

شعرت بسريرها يهتز فأدركت أن زمردة جلست، فقالت لها:

-ما بكِ؟

ضمت زمردة حاجبيها قائلة:

-لم أكن أعلم أنكِ على علاقة بجنسنا!

أجابتها وهي مازالت ممددة:

-أخبرتكِ أنني سأروي لكِ قصتي من البداية.

تمددت زمردة مرة أخرى بتعجب، لتكمل روهان كنت في الخامسة من عمري، أجلس بغرفتي سعيدة، ألعب بألعابي التي اشتراها لي أبي وهو عائدٌ من سفره، لأتوقف عن اللعب وأنا مرتعبة حين رأيت شخصًا شكله عجيب، ولم أرَ مثله من قبل!

ركضت إلى أمي مذعورة؛ كي أخبرها وأريها إياه.

-تعالي يا أمي، أريد أن أريكِ شيئًا.

تركت أميرة ما في يدها، لتذهب خلف ابنتها؛ لترى ما يفزعها لهذه الدرجة، أشارت روهان للرجل الواقف في زاوية الغرفة، يغمز لها بعينه الطويلة، التي تتلون بلون أحمر قاتم، دب الرعب في أوصالها فدست وجهها في ملابس والدتها، وهي تنتفض وتبكي،

ضمت «أميرة» حاجبيها وهـي تشعر أن هناك خطبًا ما فـي ابنتها؛ فمنذ أسبوع مضى وهـي لا تنفك عن الصراخ ليلاً؛ حتى أنـها ما عادت تنام بغرفتها، تتشبث بـها يوميًا، وتنام بـجوارهـا وهـي تـحتضنها بـقوة، وتـظل تـرتـعد حـتى تـغط فـي النوم.

تمتمت أميرة:

-لا، لن أتغاضى عن هذا الأمر مرة أخرى.

تثاءبت روهـان، وهـي تكمل:

-حـملتني أمـي عـلى يـدهـا وظـلت تـسألـني.. مـاذا تـريـن؟ حبيبتي قولي لي ولا تخافي.

ففتحت عيني لأنظر إليه، فوجدته يحدجني بغضب، ففهمت أنـه لا يـريـد مـني أن أخـبر أمـي عن وجـوده أو مـواصـفاتـه، فللمرة الأولى أراه وأنا يقظة! كنت أراه دائمًا في كوابيسي.

فامتثلت لأمره وأخبرتها:

-لا شيء، لا أرى شيئًا.

وركضت سريعًا لغرفة أختي الكبرى؛ أطلب منها أن تـأتـي لـي بـالحـلوى؛ ظـنـاً مـني أنـي إن أعـطيته الحـلوى سـيبتعد عنـي.

ضحكت زمردة بصوت مرتفع، لتبتسم روهـان قائلة:

-قلت لكِ كنت طفلة لم تتجاوز الخامسة، لا تهزأي مني.

توقفت عن الضحك قائلة:

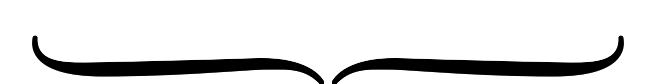
-عفوًا، لا تغضبي.. ولكنني لم أتمالك نفسي وأنا أتخيلكِ وأنتِ تعطينه الحلوة ليبتعد عنكِ!

ثم انخرطت في الضحك بهستيريا مرة أخرى، لتتوقف فجأة، وهي تقول بصوتٍ غاضب:

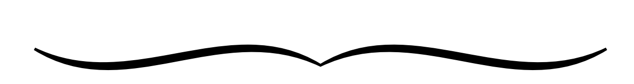
-ما الذي أتى بكِ إلى هنا؟!

اعتدلت روهان سريعًا، وهي ترتجف قائلة:

-مع من تتكلمين؟!



الفصل الثاني



أجابتها الفتاة سريعًا..

-لا تفزعي لن يؤذيكِ أحد.

ثم التفتت زمردة للواقف أمامها بتوتر:

-أنا لا أريد التحدث الآن وأنا غاضبة، اتركني قليلاً.

ليرد عليها قائلاً بصوتٍ آمر، وهو يمسك معصمها:

-هيا بنا الآن، لن نتكلم أمام الإنسية.

التفتت لروهان، وهي تعتذر لها قائلة:

-أنا سأذهب الآن لأمر ضروري، ولكني سوف آتي لكِ غدًا لنكمل حكايتكِ... أراكِ بخير.

قالتها وصوتها يبتعد ويتردد صداه، تأففت روهان بضيق:

- لقد بدأت في نسيان الأمر منذ سنوات بعد أن تعرضت للأذى الشديد من بعضهم.

ارتسمت ابتسامة شقية على شفتيها وهي تتذكر كان البعض منهم لطيفًا جدًا مثل الفتاة التي كانت تجالسها منذ قليل، ولكن البعض الآخر كانوا أشرارًا ومؤذين للغاية، لتقول بعدها وهي تزم شفتيها:

-ما ذنبهم؟أنا من بدأت بإيذائهم، جزاكم الله كل شر أيها الشيوخ المنافقون.

زفرت بضيق، وهي تقول:

-أتمنى أن أنام الليلة بعد كل ما حدث.

خطر ببالها أن تأخذ حبة منومة حتى تستطيع النوم، فمن الواضح أن النوم يجافيها، قامت لتبحث عنها في بعض الأدراج؛ لأنها لم تأخذ منها منذ وقتٍ طويل.

زفرت بضيق، وهي تقول:

-ولكن مؤكد هناك واحدة في مكانٍ ما، هيا أرجوك، لن أنام بسهولة.

قالتها بترجٍ لتتهلل أساريرها؛ حين وجدت واحدة في إحدى زوايا درجها، أمسكت الحبة بين إصبعيها ثم أخذت قنينة ماء زجاجية ترفعها إلى فمها، ليدفع أحدهم الزجاجة من يديها، فتسقط أرضًا لتتفتت لمئات الشظايا.

عادت للخلف بفزع شديد، لتشهق شهقة قوية، وهي تصرخ قائلة:

-يا إلهي! ماذا تريد مني؟؟ اتركني.

زفر بني النعمان بضيق قائلاً:

- هذا الدواء يضر بصحتك، لا أريدكِ أن تأخذيه.

ليقول بصدمة واضحة:

-ما هذا؟ يدكِ تنزف بشدة.

انتفض جسمها من صوته العالي وهي ترتعد غير مدركة لما يقول، ليعيد عليها صراخه مرة أخرى:

-يدكِ تنزف يا مجنونة، ما بكِ تقفين هكذا، اركضي نحو المرحاض سريعًا.

نظرت روهان ليدها، فوجدتها تنزف بغزارة، ركضت إلى الحمام، فوضعتها تحت صنبور المياه الجارية.. تتأوه بألم وتصك أسنانها غيظًا، وهي تلعنه على ما فعله بها!.

اقترب منها ليهمس في أذنها قائلاً:

-سمعتكِ، ولن أحاسبكِ؛ لأني السبب في ألمك سامحيني حبيبتي أرجوكِ.

خرجت روهان من الحمام، وهي تضغط يدها بقطعة قطنٍ ماص ليتوقف النزيف قليلاً.. عادت تتمدد في فراشها، وهيَ تغمض عينيها بألم.

فاقترب منها قائلاً:

-لم تسامحيني؟!

قالت له بضيق، وهي توليه ظهرها:

-حسنًا سامحتك.. اتركني الآن حتى أنام أرجوك.

ارتعش جسمها وهي تشعر بقربه الشديد، ولكنها لم تجرؤ على التحرك، فظلت ممددة، وهي تغمض عينيها بشدة، وحواسها شديدة الحساسية تحاول أن تلتقط أية حركة منه، فانكمشت على نفسها تلقائيًا، عندما وجدت حرارة شديده تلفح وجهها..

ابتسم قائلاً:

-شششششش ما بكِ مرتعبة هكذا؟! لن ألمسك، لا تخافي حبيبتي، أنا فقط أشم عطرك الأخاذ.

ضمت روهان حاجبيها في تعجب قائلة:

-أنا لا أضع عطرًا!

ابتسم لها هامسًا:

-كل إنسان له رائحة مميزة تخرج من مسامه، وأنتِ!

تنهد بعشق ليكمل..

-رائحة جلدكِ تجعلني أشعر بالانتشاء.

رغمًا عنها شعرت بالقشعريرة تسري في أوردتها، فانتفضت تلقائيًا، فأحس هو بسعادة لرؤيتها متأثرة به هكذا!

لتفاجئه بالقول:

-وهل تملكون أنتم رائحتكم المميزة؟!

ضحك بشدة، وهو يقول:

- مؤكد لا حبيبتي؛ فرائحة النار واحدة لا تختلف في ماهيتها، ولكن رائحة الطين مؤكد تختلف باختلاف تكوينها.

أجابته قائلة:

- لم أدرك هذه المعلومة من قبل! على كل حال أشكرك.

تثاءبت، وهي تفرك عينيها، بعدما داهمها النوم بشدة، فلم تتكلم مرة أخرى، لتغط في النوم، تاركة بني النعمان خلفها يبتسم لها بعشق، بدأ يقرب أصابعه بهدوء، ليصل لخصل شعرها البندقية المفروشة بجوارها، يلمسها بشوقٍ شديد ورفقٍ أشد. أغمض عينيه، ليكمل قراءة آياتٍ من الذكر، التي لم تتمها، بسبب النعاس الشديد.

استيقظت في اليوم التالي فزعة، عندما سمعت طرقًا شديدًا على الباب الخارجي، أخذت عدة دقائق تلتفت حولها لتعي أنها في غرفتها نائمة على سريرها، بحثت عنه بعينيها وحمدت الله أنه ذهب وتركها أخيرًا.

نهضت من الفراش تركض نحو الباب، وهي لا تستطيع فتح عينيها بالكامل،

ابتسمت روهان؛ عندما وجدت والدتها ووالدها وأختها الكبرى أمامها، يهللون فرحًا، وهم يقبلونها بشوق مع مباركات بانتهاء الاختبارات أخيرًا وانتهاء الدارسة كلها.

التفتت دانا، أختها الكبرى، يمينًا ويسارًا، فلم تجد أحدًا من زملائها في السكن، ووجدت باقي الغرف فارغة.

شهقت دانا بفزع :

-أين هم صديقاتك؟!

ابتلعت روهان ريقها قائلة بتلعثم:

-انتهت اختباراتهن منذ يومين، وكلٌ منهم عادت لبلدتها.

ضربت والدتها على صدرها، وهي تقول لها بصدمة:

-هل تجلسين بمفردكِ في هذه الشقة منذ يومين ولم تخبري أحدًا؟!

تنهدت، وهي تربت على كتف أمها قائلة:

-اهدأي أمي، لم أرد فقط أن أقلقكِ، أنا أمامك بخير.

لم تقتنع بما قالته وظلت تبرق بعينيها غيظًا، فتكلمت روهان وهي تنظر لوالدها الواقف خلف أمها يتفحصها هو الآخر لتطلب منه الدعم..

-أنتِ تعلمين أمي أنني في كلية عملية، وهن جميعا ًفي كليات نظرية؛ لهذا أنا أنهي اختباراتي بعدهم.

تدخّل والدها مشيرًا لأمها وأختها دانا:

-هيا لنجلس قليلاً حتى تنتهي من ترتيب حقيبتها.

ثم أشار لروهان..

-هيا روهان اذهبي واجمعي أغراضك ولا تنسي شيئًا.. أنا سأدعوكم للغداء اليوم وبعدها نكمل رحلتنا عائدين.

شحب وجهها تمامًا، وقلبها ازداد صريره لا تعرف هل تبلغهم أنها لم تذهب للاختبار أم لا؟! حسمت أمرها وقررت أن تخبرهم؛ لأن عليها تقديم اعتذار رسميًا للجامعة لتعيد الاختبار

تنهدت قائلة:

-أريد أن أخبركم أمرًا.

انتبهوا لها جميعًا، لينظر إليها والدها مبتسمًا، وهو يقول:

-كنت أعلم أنكِ تخفين شيئًا، تكلمي.

أغمضت عينيها، وهي تقول:

-أنا لم أستطع الذهاب للاختبار الأخير بالأمس.

شهقت «دانا» وأمها في صوتٍ واحد، بينما صُدم والدها لثوانٍ، ليتكلم بعدها بهدوء يحاول إظهاره:

-تعالي روهان وقصي علينا ما حدث، ثم رفع إليها سبابته... ولا تراوغي كعادتك.

لتفاجئهم روهان بالقول:

-لن أستطيع، ولكن أرجوكم أن تصدقوا أنه كان أمرًا طارئًا، ورغمًا عني لم أستطع الذهاب.

وقفت أمها لتتجه نحوها، وهي ترجف من الخوف أن تكون ابنتها عادت لما كانت تعانيه من قبل..

نظرت إليها تتفحصها قائلة:

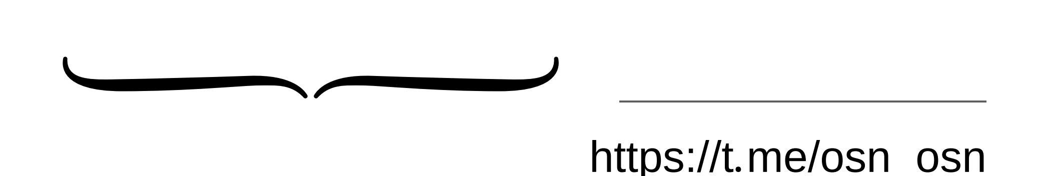
-إن لم تقولي ماذا حدث لكِ بالأمس، ليجعلك تدمرين مستقبلك بهذا الشكل، أقسم لكِ أنني لن أتوانى لحظة واحدة عن صفعكِ وتكسير عظامكِ.

نظرت إليها روهان برجاء قائلة:

-أرجوكِ أمي صدقيني.

نظرة مرتابة من أمها، جلوس والدها، وعدم تحرك دانا، كل ذلك جعلها تتيقن أنها لن تتلقى مساعدة منهم، فآثرت السلامة وقالت:

-حسنًا أمي سأقص عليكم ما حدث، ولكن عليكم أن تعدوني أننا لن نتحدث بالأمر مرة أخرى.



الفصل الثالث

جلست بجوار والدها، وهي تنظر لأمها ولدانا لتقص عليهم ما حدث بتوتر، نهضت من الفراش وأنا أتثاءب ومازال النعاس يداعب جفنيّ نظرت إلى الساعة بجواري وجدتها تخطت السادسة صباحًا؛ تنهدت براحة وأنا أتذكر أن اليوم هو آخر يومٍ في اختبارات الجامعة.

-أخيرًا سأنتهي اليوم وستبدأ إجازتي السعيدة.

أخذت منشفتي، وهممت لأدخل الحمام أغسل وجهي حتى أفيق، سمعت صوت طرقات على باب الشقة الخارجي، ضممت حاجبيّ بغرابة شديدة؛ مما جعلني أنظر إلى الساعة مرة أخرى ظنًا مني أني أخطأت، فوجدتها بالفعل تشير إلى السادسة وخمس دقائق، ذهبت إلى الباب بخطوات متثاقلة أتنصت؛ حتى أسمع من بالخارج، فلم أسمع شيئًا، تنهدت عائدة لأجد صوت الطرقات قد ازدادت علوًا مرة أخرى.

التفتُ نحو الباب وأنا أقف خلفه أشعر بالارتباك، وشعورٌ يختلط بالرعب من المجهول... قلت وأنا أبتلع ريقي بصعوبة:
-من؟!!

أتاني صوت فتاة لم أسمعه من قبل :

- افتحي الباب روهان.

وبرغم من أنه صوت لفتاة، إلا أنني ما زالت مرتعبة، وقلبي يدق بشدة من الخوف... سألتها مرة أخرى:

-من أنتِ؟!

فأجابتني بصوتٍ مرتجف:

-أنا «مها» أخت «ريم».

-تنهدت براحة؛ فمها هي أخت صديقتي الوحيدة كما تعرفون.

شحب وجهها وهي تتذكر الأمر، لتكمل.. ولكني توقفت للحظة... لماذا تأتي في هذا الوقت الباكر وأنا وأختها لدينا امتحان؟ مؤكدٌ هناك خطبٌ ما... فتحت الباب سريعًا، وقبل أن أرحب بها، كاد قلبي أن يقفز من صدري خوفًا، وجدت مها أخت ريم تقف أمامي وهي تنتفض رعبًا، وبجوارها ريم تقف بجسمها فقط.

وجهها شديد البياض لا يوجد به نقطة دم واحدة، تقف ساكنة بلا حراك، حتى ملامح وجهها جامدة، ولا يوجد بها أيٌّ من علامات الحياة، توقفت عند عينيها، وتملكني الرعب، حتى تراجعت خطوتان إلى الخلف، عندما رأيتها تنظر إليّ.

-يا إلهي! من هذه؟ هذه ليست هي!!

تنحنحت أختها، وهي تقول بصوتٍ خفيض ومرتعش..

-أعتذر منك حبيبتي روهان على مجيئنا في هذا الوقت الباكر؛ فقد أصرت ريم على المجيء إليكِ.

أجبتها وأنا أحاول التقاط أنفاسي، التي حُبست من الخوف:

-تفضلي.

حاولت أن أتجاهل ريم وألا أنظر إليها مرة أخرى، دخلت الاثنتان إلى غرفة الاستقبال، وقد مشت الأخيرة كإنسانٍ آلي، فأشرت إلى مها في الخارج؛ حتى أفهم ما يحدث.

ركضت مها نحوي، وكأنني طوق نجاتها، سألتها مباشرة ماذا حدث لها، لتبدأ في البكاء بحرقة، وهي ترتجف من الخوف قائلة:

-سأصارحكِ روهان، ولكن أرجوكِ أن تتفهمي موقفنا، وأن تأتي معي إلى البيت حالاً.

أجبتها وأنا لا أفهم شيئًا:

-نحن لدينا اختبار.

فقالت برجاء:

-أرجوكِ؛ فهو لا يريد أحدًا غيرك.

شهقتُ برعب قائلة:

- من هو؟!

ابتلعت ريقها، وعيناها لا تخبراني بخير أبدًا:

-سأخبركِ بعد أن تعديني أن تأتي معي.

فأشرت برأسي موافقة، وأنا أشعر أني سأموت رعبًا حين أعرف، ولكن ليس بيدي شيء، كل تفكيري بصديقتي، التي من الواضح يسكنها شيءٌ ما!!

بعد أن أخبرتني، دخلت غرفتي لأبدل ثيابي، وأنا أرتجف رعبًا لما سمعته من مها، لم أستطع أن أكذّبها؛ فأنا رأيتها بعيني.

سألتها دانا، وهي تضم عينيها بترقب:

-بماذا أخبرتكِ مها؟!!

تنحنحت قائلة:

-ريم يسكنها جن، لا نعلم متى حدث الأمر؟ وأين؟ كل ما نعرفه أنها منذ آخر يوم كانت معكِ عادت إلى البيت لا تتكلم مع أحد، وحين حاولت أن أتكلم معها، لم ترد عليّ شعرت بالرعب الشديد من هيئتها، ولكني كذّبت حدسي، وأمسكت بيدها أجرها خلفي؛ كي تجلس وأتحدث معها، وقتها دفعتني بقوة شديدة، حتى ارتطمت بالحائط، وفجأة تحول صوتها تنهدت بألم بعد أن أغمضت عينيها تسترجع ما حدث، وهي تنتفض مكملة:

-صوت مرعب جدًا، كدت وقتها أن أفقد وعيي حين قال لي:

-لا تلمسيني يا حقيرة.

ثم نظر لي من خلالها بعينين بيضاء، ليست كعيني البشر، قائلاً:

-سأجعلكِ تتمنين الموت إن لمستني مرة أخرى.

وتركني على وقفتي المشدوهة، وأخذ جسم أختي معه ودخل الغرفة!

أكملت مها وهي تلهث :

-وبعدها ظلت هناك لمدة يومين، وكلما دخلنا عليها الغرفة، وجدناه ينهرنا ويسبنا.

أمي لا تتوقف عن البكاء، وأبي ذهب للشيوخ حتى يعالجوها، وكلما يأتي شيخ ليدخل غرفتها، يخرج مهمومًا قائلاً:

-لا أستطيع وحدي.

فقرر والدي أن يجمع ثلاثة منهم ليأتي بهم اليوم، فوجدناها تخرج من غرفتها الساعة الرابعة فجرًا، انتفض ثلاثتنا فنحن ننام جميعًا، أنا وأمي وأبي، في الصالة مرتعبين.

لتكمل بهمس، وجدته يشير إليّ قائلاً:

-أريد روهان.

فحاولت أن أسأله لماذا؟! وجدته يصرخ بي:

-نفذي حالاً دون مناقشة.

لمجرد ذكر اسمي من شيءٍ مجهول!

فأكملت مها قائلة:

-ارتديت ملابسي وأنا أرتعد، وجدته يقف أمامي قائلاً بصوته المرعب:

--سأذهب معكِ.

شعرت بالغثيان، لمجرد تخيلي أنه سيذهب معي، ولكني لا أملك أن أعترض، قالتها وهي لا تشعر أن دموعها أغرقت قميصها التي ترتديه ثم أكملت بأنفاسٍ متلاحقة:

-جئت إليكِ وكما ترينها هكذا.

-أرجوكِ روهان لا تتأخري؛ فأنا أجلس معه بمفردي، سأموت رعبًا، أرجوكِ أن تسرعي.

انتفضتُ حين سمعت صوتها يهدر باسمي، أجبتها، وأنا أشعر أن اليوم سيكون أسوأ مما حدث لي.

-لقد انتهيت مها، سأخرج حالاً ...

وعندما فتحت باب الغرفة، فزعت من رؤية ريم أمامي بهذه الابتسامة البشعة، وهي تقول بالصوت الرجولي المرعب:

-هيا بنا حتى لا نتأخر يا جميلة.

لم أستطع التنفس برتابة من الارتعاد، حين وجدته هكذا أمامي بهيئة صديقتي وصوته الأجش، أكاد أن أجزم وقتها أن صوته يتردد صداه كمن يتكلم عبر حائطٍ زجاجي، مشيت أمامه بقدمين مرتعشتين من الخوف، فسمعته خلفي يضحك بصوت خفيض، فرجعت للخلف بضع خطوات، ثم ذهبت إلى مها أتشبث بها رعبًا، لتتمسك بي الأخيرة بيدها وهي ترتعد.

بقينا هكذا نرتجف، وهي تمشي بجوارنا كلوح من الجليد، بخطوات ثابتة وعينيين مثبتتين أمامها، لا تحيد بهما يمينًا ولا يسارًا، وصلنا أخيرًا إلى بيتهم، وصعدنا الدرج وهي لا تنظر إلى شيء وكأنها مبرمجة على شيءٍ ما.

حين فتحت مها باب الشقة، وجدنا والدها ووالدتها وثلاثة من الرجال يجلسون منتظرين مجيئنا ارتعبت من تلك الجلسة وما سيحدث في يومي هذا، ولكن أقل شيء أني اجلس معهم ليحموني منه، ارتجف الجميع حين تكلمت ريم بهذا الصوت المخيف وعيناها قد انقلبتا من بيضاء إلى حمراء، قائلة بغضب:

-من جاء بهؤلاء؟

غمز الثلاثة شيوخ لبعضهم، وقاموا يشيرون لنا أن ندخل إلى الغرفة ونغلقها بإحكام، فتوجه والد ريم وزوجته نحونا وأخذنا، وحين هم لدخول الغرفة، ارتجت الشقة ارتجاجًا، وكأن هناك زلزالاً قد ضربها، وهو يقول:

-أريد روهان.

ثم نظر إليّ بعينيه الحمراوين قائلاً:

-تعالي معي.

كدت أن أسقط مغشيًا عليّ، وعندما رأت مها شحوب وجهي أمسكت بمرفقي من ناحية ووالدة ريم من ناحية أخرى، أشار إلي أحد الشيوخ بالمجيء معهم، وقال الآخر:

-ادخلوا أنتم الغرفة ولا تخافوا.

شحوب وجهي وارتجافي الشديد جعل مها تقول:

سأبقى مع روهان.

فتكلم هو مرة أخرى، وهو يلقي بشرر على مها:

-لا أريد غيرها يا حمقاء.

اتجهتُ أنا ناحية الشيوخ، ووالد مها أخذها هي وأمها وأغلقوا عليهم الغرفة؛

جلست بجوار الشيوخ وأنا أنتفض رعبًا، وجسمي يفرز العرق بغزارة كمن يقف تحت صنبورٍ من المياه الجارية، تكلم الأول، فانتفضت مفزوعة حين قال:

-اجلس ياا.... ما اسمك؟!

لم ينظر إليه، بل وجه نظره نحوي، وهو يقول:

-اسمي بني النعمان.

ثم بدأوا بتلاوة آيات السحر، ليتوقف أحدهم وهو يغمز للباقي، فنظروا جميعهم إلى ريم، التي بدت ملامح وجهها مرتاحة وهادئة!

سأله أحدهم:

-ماهي ديانتك بني النعمان؟؟

أجابه بثقة تامة:

-أنا مسلم وأحفظ كتاب الله بأكمله.

نظرت تحت قدمي مرتجفة وأنا أفكر من الواضح أنه لا يكذب، لو كان غير مسلم لكانت آيات الله تؤذيه... لقد صعبت المهمة، ولكنهم استعانوا بالله، وأكمل أحدهم قائلاً:

-وبما أنك مسلم وحافظ لكلام الله، ألا تعلم أنك تفعل شيئًا يغضب الله؟!

أجابه مبتسمًا، وهو ينظر إليّ قائلاً:

-أحبها ولا أستطيع الابتعاد عنها.

فقال الآخر:

-هذا مُحرَمٌ ولا يجوز.

فنظر له بغضب، وعيناه قد تحولتا إلى اللون الأحمر:

-لا أستطيع، أتفهم!؟

فقال ثالثهم:

-أنتَ تؤذيها، لو كنت تحبها، كما تقول، فاتركها.

هدأت عيناه وتحولتا للون الأبيض مرة أخرى، وهو يقول:

-أنا لا أحب ريم، ولو أردتم أن أخرج الآن، سأخرج حالاً؛ فأنا لا حاجة لي بها.

فضم الأول حاجبيه قائلاً:

-لا نفهمك، فمن تحب إذن؟؟

فنظر إلـيّ، وأنـا أضـع يـدي عـلى قـلبـي خـوفًا مـن أن ينفجـر ويـخرج من صدري ليصدمني بقوله :

-أنا أحب روهان.

فقال الآخر:

-ولماذا تلبست ريم؟!

رفعت وجهي بغضب لهذا الشيخ قائلة:

-أتقول له أن يخرج منها ويلبسني أنا؟!

ضحك الجني بشدة، حتى انتفضت مرتعبة، ثم قال:

-لو كنت استطيع لفعلتها.

فاعتدلت في جلستي، وأنا أنظر إليه بوجهٍ شاحب لا أفهم منه شيئًا.

فقال أحدهم:

-أنت تعلم جيدًا أنه لا يجوز ومحرم، اخرج من جسمها وعد إلى عشيرتك.

فنظر إليه يحدجه بنظرة غضب قائلاً:

-لا تفهمون شيئًا.

لن أخرج منها إلا إذا وافقت روهان بالذهاب معي لدقائق، ثم وجه كلامه إليّ قائلاً:

أريد أن أتحدث معكِ.

انتفضت من مكاني قائلة:

-أنا ذاهبة من هنا، لا أريد سماع هذا الجنون.

في أقل من لحظة واحدة، كان يقف أمامي ويمسك معصمي بقوة، يكاد ينخلع في يديه، تأوهت بألم قائلة:

-اترك يدي يا هذا!

فوجدته يصك على أسنانه كاتمًا غضبه، فابتلعت كلماتي سريعًا، وبدأت أبكي بصمت، فترك يدي وهو يعتذر:

-أنا آسف لأني آلمتك.

وقف الشيوخ الثلاثة يحاوطونه، ليقول له أحدهم:

-اخرج من جسمها الآن بهدوء ومن دون أذى.

فنظر إليه، واختلفت نبرة صوته المخيفة إلى نبرة حانية:

-لن أستطيع حتى توافق.

فقال الآخر:

-افهم، هذا لا يجوز ستؤذيها!.

فرد عليه، وهو ينظر إليّ..

-لن أستطيع إيذاءها؛ فأنا أعشقها منذ سنوات ولهذا لم أستطع أن أدخل جسمها، كما أنها تتوضأ دومًا وتحصّن نفسها، فلم أستطع اختراقها ولو بالقرب حتى تسمعني... ولا أستطيع زيارة أحلامها حتى تشعر بي.

نظرت إليه وقلبي كاد أن يتوقف..

-ما هذا الذي أسمعه؟ جن يعشقني!!... كأنه سمع ما يجول بخاطري فقال:

-نعم أعشقكِ ولا أستطيع الحياة دونك.

هززت رأسي رافضة وأنا أقول:

-اخرج منها أرجوك واتركني بحالي، فهذا لا يجوز إن كنت تحبني فعلاً مثلما تقول، فاتركها واتركني.

وقبل أن أكمل كانت ريم تسقط أرضًا مغشيًا عليها، التف حولها الشيوخ الثلاثة يتفحصونها، وأنا أقف قبالتهم أتنهد براحة وأحمد الله أنها بخير، وبعد أن أفاقت لم تتذكر أيًا مما حدث، أخذتها مها إلى غرفتها وأعطتها منومًا لكي ترتاح، وعدت أنا إلى البيت، هذا كل ما حدث.

تكلم محمود والدها قائلاً:

-وانتهى الأمر بهذه البساطة؟!!

أجابته روهان بكل ثقة:

-نعم أبي، لم يحدث لي شيء بعدها، فأنا أمامك بخير تمامًا.

تنهدت بعد أن قصت لهم ما حدث في بيت ريم، باستثناء ذهابها مع بني النعمان في بيته ولقائها مع الفتاة التي أتتها بالأمس.. فلقد عانوا معها كثيرًا من قبل، ولن تستطيع تحمل معاناتهم مرة أخرى.

سأستسلم لقدري، وليفعل الله ما يشاء.

تكلمت دانا، في حين أن والدتها ووالدها لم يتمكنا من الكلام ولا التفكير..

-ولماذا أتت إليكِ أنتِ تحديدًا؟ هل كانت تعرف ما حدث لك من قبل؟!

أجابتها روهان نافية الأمر..

-لم يحدث دانا، أنا لم أقل قصتي لأحد، ويكفيني ما حدث في بلدتنا.. الأمر كله كان مصادفة، ثم أنها شفيت والحمد لله، كما أكد لي الشيوخ.

أكملت دانا متجاهلة انقباض قلبها، وهي تعلم جيدًا أن أختها تخفي شيئًا:

-مؤكد لن تخرج من بيت صديقتها بسلام هكذا، هناك حلقة مفقودة.

تجاهلت حدسها وتساءلت بقلق:

-وماذا ستفعلين في امتحانكِ الذي تغيبتِ عنه؟

زفرت وهي تجيبها ..

-لا أعلم، سأذهب الآن للجامعة لكي أعرف ما هي خياراتي.

أشارت لها دانا قائلة:

-حسنًا، هيا ارتدي ملابسكِ، سأذهب معك.

امتثلت روهان للأمر، عائدة لغرفتها وهي تتنهد براحة، أخيرًا عرفوا وانتهى الأمر أو هكذا ظنت، أخذت أمها تنقل بصرها بين والدها ودانا، قائلة وهي ترتعد:

-لماذا تأخذون الأمر هكذا ببساطة، أنا سأجن؟

أجابها «محمود» والد روهان بوجه ممتعض وقلب يتوجع على ابنته، التي ابتليت ابتلاء لا شفاء منه:

-هل في يدنا شيءٌ آخر؟!

بعد أن ارتدت روهان ملابسها، شعرت به، فتوقفت قبل أن تفتح باب الغرفة، لتهمس له قائلة:

-ابتعد عني، يكفي ما أنا فيه الآن.

فهمس لها هو الآخر...

-لا تقلقي، أنا سأذهب معكِ للجامعة، وأحاول أنا أن أصلح خطأي.

التفتت روهان إلى موضع صوته، لتهمس وهي تصك أسنانها بغيظ:

-لا تعتقد أني لا أعلم أنك فعلت هذا عن عمد، أنا أعرف جيدًا أنك اخترت آخر يوم في اختباراتي لأجلس هنا بجوارك، ولكنكَ لا تعلم شيئًا عن أهلي، سيأخذونني وسيضيع مستقبلي بسببك أنت!

ابتسم نعمان على سذاجتها قائلاً:

-ولمَ أتعمد ذلك؟ هل هذا مسكني؟ أم أني لا أستطيع أن ألحق بكِ إلى أي مكان؟؟

ليهمس لها كما تهمس له، وكأن أحدًا سيسمعه غيرها:

-أقسم لكِ أن الأمر مصادفة لم أتعمده أبدًا، وأنا وعدتك أني سأصلح الأمر، ولكن بشرط واحد.

صكت أسنانها بقوة قائلة:

-الآن أنا تأكدت أنك فعلتها عن عمد، على أي حال أنا لا أريد مساعدتك.

شعرت به يقترب من أذنها قائلاً بشغف وصوت يرتجف من التأثر:

-هل تصدقيني لو قلت لكِ أن شرطي هذا لم أفكر به سوى الآن؟

أغمضت عينيها ليقشعر بدنها من قربه الشديد، وهي تبتلع ريقها

لتقول برجاء:

-قلت لك لا أريد مساعدتك، اتركني أخرج لأهلي قبل أن تحدث مصيبة أخرى أرجوك.

ابتعد قليلاً وهو يقول:

-حسنًا اذهبي، وسأكون معكِ إن احتجتني في شيء.. وقتها ستوافقين رغمًا عنكِ على شرطي.

فتحت باب غرفتها وهي تزفر بضيق لتجد دانا أمامها جاحظة العينين مشدوهة، وهي تقول:

-مع من كنتِ تتكلمين؟!

أجابتها بتوتر:

-لا أحد أنا... أنا فقط كنت أتلو بعض آيات من القرآن...أنتِ تعرفين أني اعتدت ذلك منذ فترة طويلة.

ابتعدت دانا بضع خطوات وهي تشير إليها قائلة..

-حسنًا روهان كما تريدين.

ثم التفتت لتكمل:

-هيا بنا.

قبضت روهان على يدها بألم، وهي تغمض عينيها وتدعو الله أن يمر هذا اليوم بسلام.

مشت بجوار أختها شاردة تمامًا لقد انقلبت حياتها رأسًا على عقب في يومٍ واحد، لقد بدأت أن تعتاد أنها فتاة طبيعية مثل أي شخص، تذكرته وهو يحاصرها في منزله ويعترف لها بعشقه، وهو لا يعلم أنها كانت تشعر به، بل وتراه وتسمعه كل ليلة وهو يعيد عليها كلمات العشق، وحين ينتهي يظل بجوارها يقرأ لها القرآن حتى تغط في النوم، أو هكذا يعتقد عندما تغمض عينيها.

ابتسمت وهي تتذكره، عندما يأتي وقت الفجر، يودعها بشوق على وعد بمجيئه في اليوم التالي، اختفت ابتسامتها وهي تتذكر زمردة، تعتقد هي الأخرى أنها تشعر بها وتسمعها فقط، ولا تعلم أنها تراها أيضًا!

أخرجتها دانا من استرسالها قائلة:

-أنا أعلم جيدًا أنكِ لم تشفي يومًا مما كنتِ فيه.

ضمت روهان حاجبيها قائلة

-لا أفهمكِ دانا! ماذا تقولين؟!

وقفت دانا تمسك بكتفيها، لتنظر إليها مباشرة..

-أنتِ تفهمين جيدًا ما أرمي إليه روهان، لو كان غرضك ألا تُقلقي أمي وأبي عليك، فأنا أتفهم هذا وأستطيع مساعدتك، أما إن كنت تخبئين الأمر لاستمتاعك به، فهذا أمرٌ آخر.

ضيقت عينيها تتفحصها قائلة:

-أنا على يقين أنكِ ما زلتِ ترينهم وتسمعينهم.

حدقت بها روهان لثوانٍ، تمنت أن تقص عليها ما حدث، ولكنها كعادتها لن تتفهم مشاعرها وستدفعها دفعًا لتتعالج، وهي لن تخضع للعلاج مرة أخرى، ومؤكد ليس بعد ظهوره، ما زالت تنظر إليها وهي تسحب يدها من على كتفها برفق قائلة:

-هيا دانا، سنتأخر على شئون العاملين، أمامنا يوم طويل.

ثم تركتها على وقفتها لتتخطاها ببطء، اقترب نعمان من أذنها هامسًا؛ مما جعلها تنتفض.

-لم أفهم ما قالته أختك! اشرحي لي الأمر فورًا!

شعرت بصداع رأسها يداهمها، فأغمضت عينيها بقوة قائلة بغيظ، وهي تصك أسنانها:

- لعنة الله عليكِ دانا.

ليخبرها بني النعمان آمرًا:

-وافيني عند الحمام حالاً.

استدارت لدانا قائلة:

-سأذهب دقائق للحمام وسأوافيك في غرفة الشؤون.

ثم أسرعت تاركة دانا تنظر خلفها بغضب شديد لما تفعله روهان بنفسها.

هي تعلم جيدًا أنها لم تتخطَ الأمر، فهي تراهم وتسمعهم طول الوقت ولم تستجب للعلاج يومًا، ولكنها أقنعتهم بذلك حتى يتركوها، فهي على يقين أنها كونت صداقات معهم.

تملكها الرعب؛ وهي تفكر هل يمكن لروهان أن تحب أحدهم! شهقت دانا وهي تنفض رأسها بشده وتستعيذ بالله قائلة:

-حسنًا روهان، سأكتشف الأمر عاجلاً وليس آجلاً.

لتخطو سريعًا باتجاه مكتب العاملين، دخلت روهان الحمام لتغلقه خلفها جيدًا من الداخل بعد أن فتحت جميع الأبواب، لتتأكد من خلوها، التفتت إليه قائلة بغضب شديد:

-ماذا تريد مني الآن؟؟

نظر لعينيها مباشرة قائلاً بهدوء تام:

- كنتِ تسمعيني وتريني من قبل!

أجابته روهان بنفاد صبر قائلة:

-هل هناك مشكلة؟!

أكمل بنفس هدوئه:

معنى ذلك أنكِ خدعتني! كنتِ تسمعينني كل ليله وأنا اكلمك!.. كنتِ تعرفين عشقي لكِ ولم تتكلمي؟!

ينفث اللهب، وهو يكمل بصوت أصبح حادًا وغاضبًا:

-سنوات وأنا أعيش بجوارك، ولا أريد الاقتراب منك؛ حتى لا أؤذيك، كنت أنتظركِ حتى تغفين وأكلمك لكي لا تفزعي مني، وأنتِ كنتِ تسمعين وتشاهدين!!

هي اعتادت غضبهم الشديد، فكم من المرات غضب عليها بعضهم! كانوا يصرخون بها، وبعضهم كان يؤذيها جسديًا، ولكنها ولا مرة ارتعبت كما هي مرتعبة منه الآن!!

اهتز جسدها من نظرته، أصبحت تشعر بالألم يغزو أطرافها كمن يطعنها بنصل حاد ويستخدمه ببطء شديد، أضاءت عيناه بشدة.. يا إلهي! هل آلمته لهذه الدرجة؟

حاولت أن تتكلم لم يخرج صوتها، فبكت بصمت، انتفضت بشدة عند سماع طرق شديد على باب الحمام، حاولت أن تخرج صوتها، حتى استطاعت أخيرًا لتقول:

- حسنًا حسنًا سأفتح.

التفتت لبني النعمان فلم تجده، شعرت بقلبها يتهاوى، ففتحت الباب لتفاجئها فتاة تريد دخول الحمام، وهي تصرخ بها قائلة:

هل هذا حمام غرفتك يا آنسة؟

تخطتها روهان من دون رد، تاركة الفتاة تسب وتلعن خلفها، ظلت تفكر فيه وفي نظرته الحزينة التي استطاع بها أن ينتزع قلبها انتزاعًا، مشت بخطوات متباطئة، وهي تدخل مكتب العاملين، لتحدجها دانا بنظرات غاضبة على تأخرها.

جلست أمام أحد الموظفين، وهو يقول لها:

-لماذا تغيبتِ عن الامتحان يا آنسة؟!

نظرت باستجداء لدانا، فتدخلت سريعًا:

- قلت لكَ سيدي إنها كانت مريضة.

فنظر لروهان من خلف نظارته السميكة قائلاً:

-هل كنتِ مريضة كما قالت أختك؟!

أشارت إليه بنعم وهي تشعر أنها بعالم آخر.

أكمل الموظف قائلاً:

- أنا أراكِ بخير تمامًا.

تدخلت دانا مرة أخرى قائلة:

-نعم سيدي، هي اليوم أصبحت بخير، ولكن بالأمس كانت مريضة للغاية ولم تستطع ترك سريرها، حتى أتاها الطبيب ووصف لها الدواء، ولم تفق سوى صباح اليوم.

تكلم الموظف السمج، والاشمئزاز يعلو وجهه:

-لن أستطيع فعل شيء، كل ما تقولينه ليس عليه دليل، ستحدد لكِ اللجنة ميعادًا آخر للامتحان، ولكن سينخفض تقديرك النهائي.

وقفت دانا تترجاه قائلة:

-أرجوك سيدي، إن مستقبلها سيضيع روهان فتاة مجتهدة وملتزمة، وتقديرها خلال السنوات الماضية امتياز مع مرتبة الشرف، ولو انخفض تقديرها العام، فلن يتم تعيينها معيدة كما كانت تحلم وتسعى لذلك.

لم يكلف نفسه برفع رأسه، وهو يتظاهر بالانشغال في الأوراق أمامه، ليزفر بضيق قائلاً:

-قلت لكِ لن أستطيع فعل شيء يا آنسة.. اتركيني الآن، فأنا لم آتِ اليوم لأتفرغ لمشكلة أختك.

كظمت دانا غيظها، وهي تنظر إليه بكره تام. تريد أن تقذفه بشيء حاد لتفرغ شحنتها الغاضبة من عينيه هؤلاء الأشخاص الكريهين المستفزين أمثاله، في حين أن روهان لم تنطق ببنت شفة، تحركت دانا من أمامه وهي تجر روهان خلفها، لتفقد آخر ذرة من التعقل، وهي تصرخ بصوت عالٍ قائلة:

-أنا سأذهب لعميد الكلية وأشكوه.. أنتم اشخاص ليست بكم ذرة إنسانية ولا ذرة عقل.

ذهبت دانا لمكتب العميد، وهي مازالت تسب وتلعن.. توقفت أمام السكرتيرة، وهي تقول بغضب:

-أريد رؤية عميد الكلية الآن.

أجابتها المرأة الجالسة التي تعدت الأربعين ببضع سنوات:

-هل لديكِ ميعاد سابق؟

لترد عليها دانا بنفس الغضب:

-لا ليس لدي ميعاد سابق، ولكن لدي أمر طارئ.. أبلغيه أن الدكتورة دانا تريد مقابلته.

وقفت السيدة دلال بهدوء تام قائلة:

-حسناً دكتورة، سأبلغه حالاً.

دخلت دلال إلى مكتب العميد الذي يماثلها في السن، فمنذ شهر واحد مضى أتم عز الدين عامه الثالث والأربعين، ولكن مظهره يوحي بأنه شاب لم يتجاوز الثلاثين...

جسدٌ رياضي بعضلات مفتولة...وجه رجولي بملامح خشنة وعينان بنظرات حادة وثاقبة، يرتدي بذلة أنيقة تتكون من بنطال من الجينز وقميص أبيض يعكس بياض بشرته وصفاءها، يرتدي فوقهم سترة باللون الأزرق الغامق، ليصبح في هيئته كعارضي الأزياء.

خلع نظارته الأنيقة بإطارها الأسود السميك، وبهدوء شديد طالع السيدة دلال قائلاً:

-ما هذه الجلبة دلال؟!

أجابته بعملية:

-بالخارج يوجد سيدة غاضبة تقف بجوارها فتاة ساهمة تريدان مقابلتك.

ابتسم لوصفها شديد الدقة، وهو ينظر لساعة يده قائلاً:

-أدخليهما لعشر دقائق فقط لألحق اجتماع الأساتذة.

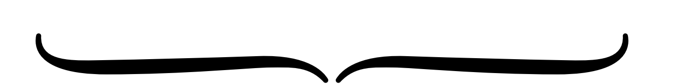
خرجت دلال تشير إليهما بالدخول. دخلت دانا بملامح قاسية وغضب مستعر، وروهان ما زالت تتمسك بهدوئها، وعقلها يدور في اتجاه آخر ....

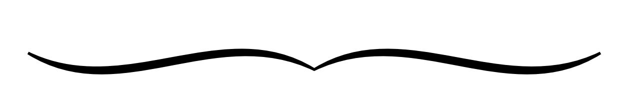
توقفت دانا، وهي تشهق وتتسع عيناها من مفاجأة لم تتخيلها، حتى في أسوأ كوابيسها!

إنه هو!!!!

اعتلت الصدمة ملامح عز الدين، ليقول بتعجب:

-دانا!!!





الفصل الرابع

لم تنطق دانا، بل التفتت بحدة تمسك بيد روهان، وباليد الأخرى مسحت دمعة سقطت من عينيها بألم لمجرد رؤيته...

أسرعت خطواتها، لتبدأ بالركض بعد عدة خطوات، وروهان تركض خلفها تحاول اللحاق بها قائلة:

-ما بكِ دانا؟ اهدأي قليلاً، سأقع أرضًا هكذا!

التفتت روهان تنظر نحو الصوت، فوجدته عز الدين يركض ليلحق بهما سريعًا، سبقهما بعدة خطوات، ليقف أمام دانا مباشرة، قائلاً وهو يلهث:

-أرجوكِ دانا توقفي.. أنا أبحث عنكِ منذ ثلاث سنوات ولم أجد لك أثرًا.

لم ترفع دانا رأسها، وهي تقول:

-ابتعد من أمامي، لا أريد سماع صوتك.

لتصرخ بعدها:

-ابتعددددد!

تنحى عز الدين من أمامها، والألم يغزو جسده بالكامل، وروهان تنظر لكيلهما بتعجب لا تفهم شيئًا، تحركت دانا للأمام، وهي تضغط بقوة على يد روهان التي استجابت لدانا،

٤٦

لتجرها الأخيرة بقوة، حتى وصلت لسيارتها، فتهاوت على مقعدها تبكي بألم شديد حتى أن شهقتها أصبحت تعلو شيئًا فشيئًا، حتى وصلت للصراخ بصوت عالٍ، وروهان تنظر إليها عاجزة.

هدأت دانا، بعد فترة ليست بقصيرة، لتبدأ شهقاتها تقل رويدًا رُوايدًا.

تنهدت روهان، وهي تناولها آخر محرمة في العلبة، لتأخذها دانا بعينين منتفختين وأنف محمر قائلة:

-أشكرك.

لم تتحرك روهان قيد أنملة، وظلت تنظر إليها بتمعن.

رفعت دانا يدها قرب وجهها، وهي تقول لها:

-حسنًا، سأحكي لكِ فيما بعد.

لتجيبها روهان بإصرار قائلة:

-الآن دانا لن نتحرك من هنا خطوة واحدة قبل أن أعرف القصة من أولها لآخرها!

حاولت دانا التملص منها:

أرجوكِ روهان، لن أستطيع التحدث الآن، أعدك.....

قاطعتها روهان:

-لن نتحرك دانا صدقيني.

ثم أخذت مفتاح السيارة الموجود على «التابلوه»، لتضعه في حقيبتها بهدوء وتصميم على معرفة كل شيء، لم تجد دانا أية فرصة للهرب، فقررت أن تحكي لها ما حدث منذ سنوات طوال تحاول فيها إخفاء الأمر حتى عن نفسها.

ولكن رؤيته الآن أثبتت لها أنها ما زالت تعشقه، وكل الأوهام التي أقنعت نفسها بها من قبل لا يوجد لها أي أساس من الصحة، كونه مخادعًا وكاذبًا وخائنًا واقتناعها التام بأنه مات من سنوات، لم يجدِ نفعًا، بل تحطم إلى ملايين الشظايا فور رؤيته متجسدًا أمامها!

نعم، لم تتزوج وهي قد تعدت الثلاثين من عمرها بسببه هو! أحبته، بل وعشقته حتى النخاع، ليفرض عليها بحضوره أن تمحي من ضوء عينيها وجود أي شخص آخر على قيد الحياة، وبعد أن أقنعت نفسها أنها تكرهه وتبغضه، لتكمل مسيرتها من دونه وهي خاوية على عروشها، لتجد أن الحياة تستحيل مع شخصٍ آخر.

ولكنه عاد في النهاية لتتبخر كل أوهامها مثل دخان يصعد في الهواء حتى يختفي، فلم يتبقَ بعده إلا أصل الأشياء، وهو النبض الذي ما زال ينطق حروف اسمه،

٤٨

نظرت لروهان، لتجد الأخرى ما زالت تنظر إليها، منتظرة أن تبدأ حكايتها التي أخفتها عنها.

أخذت عدة أنفاس متتالية، لتحاول التنفس بعدها برتابة، ثم بدأت قائلة:

-كنتُ في سنتي الأولى حين دخلت للجامعة، منبهرة بكل ما فيها.. مساحتها الشاسعة، وأشجارها المنظمة بشكل يخطف الأنفاس، بدأت أبحث أنا وصفاء صديقتي، نبحث عن كليتنا حتى وجدناها، كنا نضحك بشدة مستمتعين بوقتنا حتى وجدنا أخيرًا مبنى كلية الصيدلة بدأنا نسأل كل من يقابلنا عن كل شيء.. مواعيد المحاضرات وجدولنا، وما هي المواد التي سندرسها، إلى أن وجدنا ضوضاء شديدة، وكل طالب وطالبة يهرولون إلى أحد المدرجات.

أوقفت إحداهم قائلة:

-بعد إذنك يا آنسة!

توقفت الفتاة وهي تلهث:

-تفضلي، ولكن سريعًا لألحق بالمحاضرة.

سألتها أنتِ في أي سنة؟

أجابتني أنها في السنة الأولى.

تعجبت من أنهم قد بدأوا محاضرات فسألتها لتجيبني سريعًا وهي متعجلة:

-منذ أسبوعين.

قلت لها معتذرة:

-هل هذه محاضرة مهمة؟

قالت لي، وهي تغادرني:

-نعم، مهمة جدًا .

ثم تركتنا وركضت نحو المدرج، دخلت خلفها أنا وصفاء، لنرى المدرج قد تكدس بالطالبات، ولم نجد مكانًا نجلس فيه، فوقفنا مع الواقفين، ليدخل علينا عز الدين.

شاب في منتصف الثلاثين، لم أدرك وقتها أنه هو من سيلقي علينا المحاضرة، حتى وجدت جميع الفتيات بالأخص ينظرن إليه باندهاش وإعجاب شديدين، وكأنهم يشاهدون ممثل سينمائي أو مطرب مشهور، نظرت بتجاهه وتلاقت أعيننا للحظة ليتوقف بعدها عن الاسترسال وهو جاحظ العينين، ثم أكمل وهو يحول نظره باتجاه آخر.. حتى انتهت المحاضرة، وخرجت من المدرج وأنا أتكلم مع صفاء، وفجأة توقفت عندما شعرت بيد تمسك معصمي لألتفت غاضبة فوجدته هو... عز الدين.

نظر إليّ نظرات لم أفهمها وقتها، ليعتذر مني ويذهب سريعًا، بعد مرور السنة الأولى، لم يتعرض لي مرة أخرى، بل وكان يتحاشى النظر إليّ تمامًا، وإن حاولت أن أسأل عن شيء في المادة؛ يجيبني وهو لا ينظر إليّ، وفي سنتي الثانية بدأ يعاود النظر إليّ بطريقة مختلفة تمامًا.. أصبح اهتمامه يتزايد ووجدته يتقرب مني بأي شكل وأي حجة! ظل على هذا الحال حتى انتهيت من سنتي الثالثة.

في آخر سنتين لي تطورت علاقتنا واعترف لي بحبه، تنهدت دانا وهي تغمض عينيها؛ لتكمل وآلام قلبها يتزايد..

اتفقنا حين أتخرج سيتقدم لي رسميًا، وفي آخر يوم في اختبارات السنة الخامسة التقينا في مقهى خارجي ليحدد لي ميعادًا، وحددناه بعد أسبوعٍ واحد، استأذن مني عندما أشار إليه أحد أصدقائه التقاه صًدفة .

ذهب ليتحدث معه، وترك هاتفه على المنضدة، وجدته يضيئ بنغمة خاصة.. ترددت كثيرًا بخصوص أن أرى من يهاتفه، ولكنني أقنعت نفسي أنه شيءٌ عادي حتى أخبره حين يأتي أن الهاتف لم يتوقف عن الرنين!

أمسكت بالهاتف الذي ما زال يحدث ضجة لأتفاجأ حين وجدتها تذكيرًا وليست مكالمة! نظرت جيدًا فصُدمت حين رأيت صورة امرأة نسخة مكررة مني، لو أنني نظرت لمرآة فلن يتطابق الانعكاس بهذا الشكل؛ ولكن ثيابها كانت مختلفة،

دققت نظري لأقرأ مادُون عليها فوجدت نفس تاريخ اليوم قبل سبع سنوات.

توقفت دانا تبحث عن زجاجة ماء تضعها دائمًا في السيارة.. بحثت معها روهان فوجدتها بجوارها فناولتها إياها لتشرب منها بنهم.. ثم أكملت وبعض قطرات من الماء تنساب على ذقنها، فمسحتها بعنف قائلة:

- عاد عز، فوجدني أمسك بالهاتف وأنا مصدومة لا أفهم شيئًا.

أخذ الهاتف من يدي، وهو يضم حاجبيه من نظراتي المتعجبة!!

رأى صورتها على الهاتف والتاريخ المدون، فاحتقنت الدماء في وجهه وتجمعت كلها في عينيه، ليصيح بي قائلاً:

-من سمح لكِ أن تمسكي هاتفي؟!

لم أستطع الرد وقتها، ونظرت إليه باندهاش لعدة لحظات، لأسأله بعدها:

- من هذه؟!

لم يجبني، وأصر على انفعاله وصياحه، حتى نظر إلينا جميع من في المقهى.

شعرت بالحرج الشديد، وأصبحت الدنيا تدور بي فقررت الانسحاب فورًا، وقفت ودون أي كلام أخذت حقيبتي وهممت بالانصراف، ليوقفني قائلاً:

-أعتذر منك حبيبتي.

لم أعِره أي اهتمام، فوقف أمامي قائلاً، والدموع تتجمع في عينيه:

-أرجوكِ »سارة« لا تتركيني مرة أخرى.

شعرت أن جسمي سيتهاوى فخطيت سريعًا ثم التفت إليه قائلة:

-اسمي دانا وليس سارة!

عدت للبيت وأغلقت هاتفي، تجاهلت رسائله المستمرة واعتذاراته الواهية، وقررت أن أكتشف الأمر بنفسي، وهالني ما عرفته.

مسحت دموعها التي بدأت تتساقط، لتكمل.. سارة هذه كانت قريبته وقد تزوجها بعد حب وعشق دام لسنوات طوال، وبعد زواجهما بسنة واحدة؛ أصيبت بمرض خبيث وتوفت بعد معاناة دامت لأشهر، بعدها ترك عز البلاد وسافر لمدة سنتين، ثم عاد بعد أن أخذ شهادة الماجستير ليدرس كمعيد في الجامعة وتحديدا في كلية الصيدلة.

توقفت دانا، فحثتها روهان.

-أكملي.

تنهدت دانا بألم شديد يغزو قلبها...

- عز لم يحبني أنا روهان، عز أحب سارة التي أشبهها كل قصائد الحب والغرام كانت لها، كل رسائله تنتمي إليها، هو أرادني نسخة منها ليس إلا!

أشارت إليها بتعب وإرهاق شديدين.

-هيا بنا، لقد تعبت اليوم أعدنا للمنزل.

امتثلت روهان للأمر ولم ترد أن تضغط عليها أكثر من ذلك، فقررت تأجيل باقي الحديث لوقتٍ آخر.. بعد عودتهم للمنزل وبعد المحاولات الواهية ليطمئن والديها، دخلت كل فتاة غرفة منفصلة لتسرح كل منهما في ملكوتها الخاص.

ولكن الأمر مع روهان مختلف؛ انتفضت حين رأت زمردة تجلس أمامها تنظر إليها بغضب شديد، مما جعل الخوف يدب في أوصالها قائلة:

-لقد أفزعتني.

أجابتها زمردة:

-إذن الأمر صحيح، أنتِ رأيتني أيضًا!

ضمت روهان حاجبيها، وتلعثمت قائلة:

-ومن قال أنني لا أراكِ؟ حين بدأت أن أسرد لكِ قصتي، قلت لكِ أني رأيت أحدكم وأنا في سن الخامسة.

انتبهت زمردة، لتقول بعد أن هدأت عيناها قليلاً:

-حسنًا سأتجاهل الأمر، غير أنك سألتني مع من تتكلمين برغم رؤيتك له ولي، ولكنك تصنعت الجهل.

رجعت روهان للخلف تستند برأسها على الوسادة وهي تقول:

-أنا أخفي الأمر خوفًا من أن ينتشر مرة أخرى، لن أتحمل مزيدًا من الأذى لي ولعائلتي.

رجعت زمردة هي الأخرى لتستند بجوارها:

-حسنًا، أكملي قصتك.

رفعت روهان سبابتها وهي تقول:

- أريد أن أصبح مستمعة اليوم.

لم تفهم زمردة مقصدها، لتكمل روهان:

وهكذا حتى ننتهي نحن الاثنان.

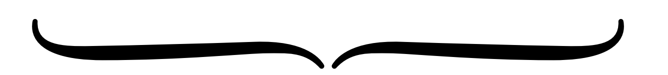
ضحكت زمردة وهي تقول:

-حسنًا أقنعتني ولكن قبل ذلك، ألا تريدين معرفة من أين علمت برؤيتك لي؟!

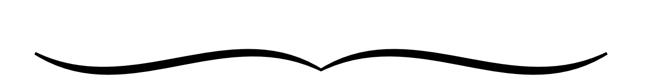
انتبهت روهان قائلة، وهي تعتدل في مجلسها، لتواجه زمردة:

-من أخبركِ بالأمر؟!

ليدق قلبها سريعًا حين رأته يقف خلف زمردة، وما زال الغضب يرتسم على ملامحه كلها!!



الفصل الخامس



نظرت بتعجب لزمردة، فوجدتها تبتسم له قائلة:

-ما الذي جاء بكَ الآن؟!

لم يجبها بل ظل ينظر لروهان التي بدأت تهدأ قليلاً بدورها، ولكن علامات التعجب ما زالت على محياها.

أشار لزمردة يأمرها...

-اذهبي الآن.

التفتت لروهان قائلة:

- سنلتقي غدًا، انتظريني.

أشارت لها برأسها بالإيجاب، لتختفي بعدها زمردة، وهي تلوح لها مودعة، التفتت لبني النعمان فوجدته أمامها مباشرة ولا يفصل بينهما سوى بضع سنتميترات، انتفض جسمها للحظة فترجته..

-لا تفزعني هكذا مرة أخرى أرجوك.

وجدته ينظر إليها، وقد بدأ غضبه يتلاشى تدريجيًا، تحاشت النظر إليه فأخفضت بصرها خجلاً وهي تقول:

-أعتذر منك لم أكنـــ....

قاطعها قائلاً:

-ششششــش انظري إليّ روهان.

رفعت إليه بصرها وهي تشعر بنبضات قلبها تتعالى حين وجدت عينيه تضئ باللون الأزرق وهو يقول:

-هل تعرفين كم من قانون تعديت عليه في عشيرتنا بسببك؟؟ رفع كفه يعد عليه.. أولهم عشقي لكِ.

هل تعلمين إن عرف أحد القادة بهذا الأمر فما هو عقابي؟!

حاولت أن تتكلم، فأوقفها بسبابته، ليكمل وهو يشير بإصبع آخر:

-ثانيها.. تلبسي لصديقتك؛ لأحظى ببضع دقائق أحدثك فيها دون أن أمسك بأذى، وإن كان هذا الأذى فزعك مني لرؤيتي مجردًا، هل تدركين أنه لو أحد من عائلتي عرف بهذه المخالفة، كيف سيكون عقابي؟!.

ظلت تنظر إليه بندم شديد، وهو يضيف بصوت يقطر وجعًا:

-سيكون النفي بعيدًا عنكِ.

ليتوقف قليلاً، وهو يتنهد بألم، ويرفع إصبعًا ثالثًا.

-ثالثها وأهمها أني أغضبت ربي حين اقتحمت جسم صديقتك، وأنا من وقتها استغفر الله وأتمنى أن يسامحني على ما فعلت.

توقف هنيهة، ثم أكمل وهو ما زال ينظر إليها:

-فلنتغاضَ عن كل هذا، هل تشعرين كم تمنيت خلال السنوات الماضية أن تسمعيني، ولو لمرة واحدة! لأكتشف بعدها أنكِ..

توقف للمرة الأخيرة، فأغمض عينيه وصك أسنانه بقوة، زفر بغيظ شديد، مما جعل روهان ترتعد خوفًا، وهي تغمض عينيها هي الأخرى، شعر بجسمها يرتعد أمامه، فتوقف قبل أن يحطم غرفتها ويصدر ضجيجًا يستيقظ بعده من في البيت جميعًا.

تنفس عدة مرات بعنف حتى هدأت نوبة غضبه، ليقول بعدها بصوت أجش:

-وبرغم ما فعلته بي، لقد اشتقت إليكِ كثيرًا، ولم أستطع إلا أن آتي إليك لأكون بجوارك حتى تغفين ككل ليلة منذ سنوات.

فتحت روهان عينيها ببطء شديد، وهي تستشعر كل حرف مما يقوله، وكأنه يجلدها بسوطٍ حاد، خرجت جملتها مضطربة وهي تبكي بصمت

-كنت خائفة.

لحظات مرت عليه وهو يقبض على يديه بقوة ليسترخي جسمه أخيرًا ويزول التوتر، ليصبح شخصًا آخر حين رأى دموعها، اقترب منها حتى كاد أن يلتصق بها وهي ما زالت واقفة ودموعها تجري مدرارًا على وجنتيها.

-توقفي أرجوكِ روهان، لن أستطيع لمسك حبيبتي، أرجوكِ لا تبكي.

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تقول:

-هل سامحتني؟!

ابتسم لها وهو يقول:

-حسنًا، ولكن بشرط!

رفعت حاجبها بغيظ وهي تمسح دموعها

-كنت أعلم أنك لن تدع الأمر يمر ببساطة.

فأجابها، وهو يقلدها رافعًا حاجبه هو الآخر:

-أنتِ جرحتني بقوة ويجب أن تدفعي الثمن غاليًا.

جلست على سريرها مرهقة تتثاءب بعد أن داهمها النوم بشدة، فابتسم لها قائلاً:

-استرخي حبيبتي؛ فاليوم كان مرهقًا جدًا عليكِ هيا تمددي وأنا سأقرأ عليكِ القرآن.

أشارت إليه برأسها بنعم وقبل أن تستسلم للنوم، قالت له بصوتها الناعس:

- لم تقل لي ما هو شرطك لتعفو عني؟!

دثرها جيدًا بالغطاء وجلس بجوارها ككل ليلة، وهو يداعب خصل شعرها البندقي قائلاً:

-حسنًا ، سأخبركِ غدًا استريحي الآن.

لم يكمل كلامه، ليجدها تغط في نوم عميق تنهد وهو يقول:

-لم أستطع أن أغضب منكِ عدة ساعات! ماذا تفعلين بي روهان ؟!

توقف عن الاسترسال، وهو يبتسم لوجهها الملائكي النائم الذي يعشق كل تفاصيله، ليبدأ بعدها التلاوة.

استيقظت في اليوم التالي على رنين الهاتف، فتلقته بتكاسل، وهي تبحث بعينيها عن بني النعمان، فلم تجده بجوارها .

نظرت للهاتف مرة أخرى لترى من المتصل، لتضم حاجبيها بتعجب:

-رقم مجهول!

أجابت بالسلام، فوجدته صوتًا رجوليًا مميزًا بعد أن رد عليها السلام، قال:

-أنا العميد عز الدين يا روهان..

لاحت ابتسامة خفيفة على وجهها، وهي تقول:

-أهلاً بك سيدي.

أكمل قائلاً:

-لقد بحثت بالأمس عن سبب وجودكم في الجامعة، فعرفت بأمر تغيبكِ عن الاختبار الأخير، وبعد أن سألت الموظف المسؤول، قال لي أنكِ تحججتِ بأنكِ كنتِ مريضة.

أجابته بثقة وثبات:

-لا سيدي، أنا لم أكن مريضة، ولكن صديقة مقربة لي هي من كانت مريضة، وكنت بجانبها ولم أستطع حضور الاختبار.. وبالمناسبة صديقتي هذه تغيبت أيضًا.

وصلها أنفاسه اللاهثة عبر الهاتف، وهو يحاول الوصول إلى ما أراده من أول المحادثة:

- حسناً أنا أريدك أن توافيني إلى الجامعة بعد ساعة واحدة.

قررت أن تلاعبه قليلاً، لتجيبه وما زالت ابتسامتها ترتسم على وجهها:

-عميد الكلية يريد مقابلتي أنا؟!

تنحنح قائلاً:

-أريد أن أتكلم معكِ بخصوص غيابك.

فأجابته:

-فقط؟!

أدرك ما ترمي إليه، فقرر عدم المراوغة والوضوح..

-حسناً روهان، أنا تكفلت بالأمر وتكلمت مع دكتور المادة، وقد حدد لكِ ميعادًا في آخر الشهر الجاري لإعادة الاختبار، وتقديرك العام لن يتأثر بغيابك.

ابتسمت روهان وهي تقول:

-أشكرك بشدة على مساعدتي أنا وصديقتي.

ضم حاجبيه وأجابها مستغربًا:

-أنا لم أفعل شيئًا لصديقتك لأنني ببساطة لا أعرفها.

حركت حاجبها بتسلية..

-حسنًا، حين آتي لك بعد ساعة، سأعطيك بياناتها سيدي.

لم تعطه فرصة للرد، وهي تضيف:

-ولكنـ!

زفر بنفاذ صبر.. فتلكأت هي قليلاً، ثم أكملت:

-أشعر أن الأمر لم ينتهِ وأن هناك شيئًا أهم تريد محادثتي به، وهو سبب اتصالك بالأساس، وأن سعيك لحل مشكلتي ما هو إلا خدمة لها ثمن، وأظن أنني أنا من سيدفعه!

ضحك بشدة حتى بدأ يسعل، ليتوقف قائلاً:

-ذكّرتني بها، فأنتِ تشبهينها كثيرًا.

أجابته روهان بجدية، لتقطع وصلة مرحة.

-سأوافيك في مكتبك بعد ساعة من الآن لأني أريد بشدة أن أستمع إليك.

ودعها شاكرًا، ليغلق الخط بعدها.

يتنهد قائلاً:

-سنرى هل تستطيعين المساعدة أم لا؟!

قامت روهان من سريرها وهي تفكر بأمر دانا الجديد، فهي لم ترها منذ البارحة، قررت أنها بعد أن تعود من لقاء المدعو عز الدين ستعرف منها باقي الحكاية، تقدمت نحو حمام غرفتها طامعة في حمام دافئ يعيد نشاطها، وبعد عدة دقائق خرجت تتنهد براحة وهي تشعر أنها بأفضل حال الآن.

توقفت لتشهق بفزع عند رؤية بني النعمان أمامها؛ ألقى عليها السلام بابتسامته الساحرة، ليجدها وجنتيها قد احمرتا بشدة من الخجل، رغمًا عنه اختطفت عيناه النظر لجسمها الملفوف بالمنشفة، فحول وجهه سريعًا، وهو يستغفر الله، ليلتفت بجسمه كاملاً ينظر نحو الشرفة قائلاً:

-أعتذر منكِ حبيبتي، لم أعلم أنكِ استيقظتِ باكرًا.

أجابته بخجل:

-لا عليك، أنا لم أعتد وجودك بعد في أي وقت بغرفتي.

ارتفعت حرارة جسمه بشدة، فتنحنح قائلاً:

-حسنًا، سأذهب حتى تبدلي ثيابك.

ثم اختفى في لحظة واحدة، تاركها خلفه وهي تصك أسنانها بغيظ، لمَ تشعر بهذه المشاعر المختلطة في وجوده؟!

قلبها يخفق بشدة، وجسمها ينتفض سريعًا، ولكن الأغرب من كل هذا هو شعورها بالأمان في حضرته!!

لم تدرك حتى الآن ما يحدث لها، هي تعيش يومها بأحداثه الغريبة وتترك كل شيء بأوانه.. أكملت ارتداء ملابسها وجلست تنتظر عودته.

لم يتأخر سوى بضع ثوانٍ، وظهر إليها مرة أخرى وأنفاسه تتسارع، لم يعد يحتمل اقترابه منها بهذا الشكل دون لمسها..

يشعر بالجوع الشديد إليها، ويحارب حربًا ضارية لعدم مسها.

خجلت روهان من نظراته لها بهذا الشكل، فقامت من مجلسها لتقف أمام المرآة بتوتر تمسك بفرشتها تصفف شعرها للمرة الثانية لاهية عنه، اقترب منها بني النعمان مجبرًا، وكأنها تجره نحوها أكثر دون أي مقاومة منه.

حاول قدر استطاعته أن يبقى بينهما مسافة فاصلة، نظر إليها عبر المرآة قائلاً:

-لم تسأليني عن شرطي بعد.

حاولت إخراج صوتها المحرج:

-سألت البارحة وقلت لي اليوم ستخبرني.

تعلقت نظراته بخصل شعرها، وهو يقول:

-أريد منكِ أن ترتدي الحجاب.

التفتت سريعًا فابتعد عنها بضع خطوات؛ حتى لا تصدم به، فنظرت إليه بتعجب قائلة:

-ما هذا الشرط العجيب؟!

تلكأ بنظره، وهو يتفحصها من أخمص قدميها حتى رأسها بعشق يفضح عينيه، فتضئ إضاءتها المحببة إليها، ليقول بعدها:

-لأنني ببساطة أغار عليكِ حبيبتي، ولن أتوانى للحظة واحدة أن أقتل من ينظر إليكِ نظرة لا تعجبني.

جحظت عيناها باستغراب، ليكمل هو:

-ثم إن لبسك مناسب جدًا للحجاب، فأنتِ لا ترتدين إلا تنورات واسعة وفضفاضة وعليها سترات طويلة الأكمام، فما الضرر في تغطية شعرك؟ أنتِ مسلمة وهذا فرضٌ عليكِ!

لم تتكلم روهان، بل ظلت تحدق فيه بذهول تام وتفكر في أشياء أخرى لم تخطر ببالها سوى الآن، كم هو رقيق وحازم وحنون، وقوي في نفس الوقت! خلطة عجيبة لم ترها في أحد قبله،

شعرت بالرعب للحظة من أن تتعرض للمضايقات، كما يحدث دائمًا من بعض الشباب ممن من تقابلهم في الجامعة، أو حتى في الطرقات.

جحظت عيناها وهي تتخيل كيف له أن يؤذيها بشدة، وستكون هي السبب في نهاية حياته.

أخرجها من استرسالها قائلاً:

-أين ذهبتِ حبيبتي ؟!

تنحنحت، لتدور في دائرة مختلفة عما تفكر به؛ خشية أن يشعر بما تشعر به الآن.

أجابته بهجوم:

-من أعطاك الحق أن تفرض عليّ شيئًا كهذا؟

رفع يديه الاثنتين كرد فعل منافٍ لما تقول:

-لم أفرض عليكِ شيئًا يا روهان، أنا اشترطت شرطًا لأسامحك على ما فعلته، أم نسيتي؟

أرخى يديه على جانبيه، ليضيف:

-أتمنى أن تفهمي مقصدي يا روهان.

قاطعته زمردة لتدخل عليهم سريعًا، والرعب يعتلي ملامحها، وهي تتقدم من بني النعمان، انتفضت روهان من مظهرها المرتعب، لتقول لها بوجل:

-ما بكِ زمردة؟!

نظرت لبني النعمان، ولم ترد على روهان، أو حتى تلقي لها نظرة.

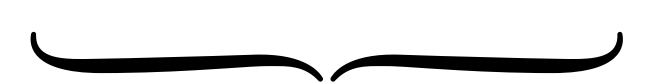
-أنت هنا بني النعمان وأنا أبحث عنك منذ ساعة؟؟

أجابها بعدم اهتمام:

-ماذا تريدين زمردة؟!

أخبرته وهي ما زالت زائغة العينين متوترة:

-والدك يبحث عنك في كل مكان، وهو غاضبٌ بشدة.



الفصل السادس



أشار إليها...

-حسنًا، اذهبي وسألحق بكِ.

اختفت زمردة وهي تتمتم بكلمات غاضبة، لم يلقِ لها بالاً؛ فهو يعرف سبب غضب أبيه.. أعاد نظره لروهان التي ما زالت واقفة في وضع دفاعي عما طلبه منها منذ قليل، تكلم بلطف بالغ لم تكن تتوقعه.

- لم تجيبيني؟ هل ستنفذين طلبي أو بمعنى أصح هل آن الأوان أن تنفذي أوامر الله؟!

ابتسمت باستهزاء:

-تكلمني فيما أحله الله، وأنت تفعل ما حرمه الله؟!

ضم حاجبيه متسائلاً:

- ماذا فعلتُ يا روهان؟!

أجابته، وهي تشبك يديها ببعضهما:

-أنت تعطي لنفسك الحق أن ترى شعري وتجلس بجواري وأنا نائمة، وتأتي اليوم لتطلب مني أن أغطي شعري؟!

لترفع كفها أمامه..

-أنا أعلم جيدًا أنه واجب شرعي، ولكني لم أفكر بالأمر جديًا من قبل..

ترددت للحظة وهي تكمل:

-أو لنقل أنها خطوة مؤجلة، وليهديني الله وقتما يشاء.

ثم أشارت إليه بسبابتها قائلة:

- أجبني أرجوك، هل سيحاسبني ربي على عدم ارتدائي للحجاب ولن يحاسبك أنت على ما تفعله؟!

لم يهتز وهو يجيبها:

-أنتِ زوجتي روهان، ويحل لي أن أجلس بجوارك وأن أراكِ من دون حجاب.

ثم اقترب منها وهو يتفحص جسمها بأكمله، ليضيف بعدها:

-وأن أفعل أكثر من ذلك أيضًا.

ابتلعت ريقها بصعوبة شديدة، لترجع بضع خطوات للخلف وهي تفهم ما يرمي إليه، نظرت إليه ببلاهة، ولم تستطع الرد إلا بجملة واحدة:

-أنا لست زوجتك لم نعقد قرانًا، وأنا لن أوافق.

اقتطع جملتها الأخيرة، وهو يقترب منها بسرعة شديدة حتى كاد أن يلتصق بها..

-كوني لا أعاملك كزوجة ولي حقوق عليك، فهذا لا يعني أنك لستِ زوجتي، كل ما في الأمر أنني لا أريد أن أرغمكِ علىَ شيء، ولا أريد اقتحام خصوصيتك وأخذ حقوقي عنوة ورغم أنفك، في قانون الجن أنتِ زوجتي، وقتما اشتهيتك، ويحل لي أن أفعل معكِ ما أريد.

قال جملته الأخيرة، وعيناه تنضحان بالشرر، ليقطع بعدها كل محاولة منها للشك أنها ليست ملكه.

-لا تختبري صبري روهان، أنا أعشقكِ وأتمنى أن يأتي يومًا تشعرين بي.. وقتها فقط ستكونين ملكي.

ثم رفع سبابته أمام وجهها ليضيف:

-لا ينفي هذا أنكِ بالفعل ملكي من الآن .

اقترب أكثر ليهمس في أذنها ورغمًا عنه خرج صوته حميميًا للغاية:

-ولكني أقصد أن وقتها ستنتمين إليّ بكل ذرة في قلبك وروحك وجسدك أيضًا.

تلكأ في جملته الأخيرة، ليختفي بعدها سريعًا وقلبه يهدر بقوة من قربها الشديد... لم يعد يستطيع الصمود أكثر، لقد امتلكت قلبه منذ سنوات، والآن وبعد أن عرفته وسمعته أصبح الأمر خطيرًا.

تهاوت روهان على سريرها شبه فاقدة الوعي، بعينيها الجاحظتين وقلبها الثائر، فلم تستطع قدماها الصمود أكثر من ذلك...

لقد اقتحم جميع أسوارها واحدًا تلو الآخر، ولن تقدر على مقاومته بعد الآن.

انتفضت بشدة حينما وجدت هاتفها يرن مرة أخرى، لتجده عز الدين يسألها:

-لماذا تأخرت؟

وضعت يدها على صدرها لتهدأ قليلاً، ثم أجابته لاهثه برد مقتضب:

- أنا في الطريق.

ووقفت بعدها لتخرج من غرفتها ببطيء شديد لا تعلم ماذا ينتظرها بعد، أوقفتها والدتها قائلة:

-مكوثكِ في غرفتك بالساعات شيء لا يطمئن يا روهان أرجوكِ ابنتي صارحيني!!

ثم ربتت أميرة على كتفها تسألها برعب:

-هل يضايقونك مرة أخرى؟!

نظرت إليها روهان وهي تدور بعينيها، لا تعلم ماذا سيكون رد فعل أمها فيما ألقاه بنو النعمان على مسامعها منذ قليل، مؤكد ستنهار، بل سينهارون جميعًا.

بابتسامة حاولت رسمها بصعوبة، أجابتها:

-لا شيء أمي لا تقلقي، أقسم لكِ أني بخير.

حاولت إلهائها بحديث آخر، وهي تقول ببشاشة:

-لقد اتصلوا بي من الجامعة ويريدون حضوري الآن.

قبل قليل في غرفة دانا...

كانت نائمة على ظهرها، تنظر إلى سقف الغرفة شاردة، تراجع ما حدث خلال السنوات الماضية، لقد قضت سنوات عجاف.. حتى أيقنت أن قلبها خالٍ من أي مشاعر... أنها داخليًا خاوية على عروشها.

تذكرت مكالماته الليلية الحالمة، المحملة بكل الحب والغرام والأحلام الوردية، لقد خططوا لكل شيء من بداية البيت الجميل الذي سيعيشون فيه بسعادة بالغة حتى طلاء الغرف وعددها.. إلى نهاية أسماء أطفالهم.

مسحت دموعها التي لم تتوقف منذ أن رأته، لتتذكر بعدها كم من المرات نادها باسم سارة، رددت بغضب:

- كم كنت مغفلة لأصدق أنها مجرد شخص عزيز عليه مات مؤخرًا ولهذا يتذكرها كثيرًا.

رنين هاتفها أخرجها من حالة الشرود التي تعيشها منذ البارحة نظرت للاسم على شاشة هاتفها، لتجده ساهر، وكأنه قد جاء نجدتها لتأخذ أخيرًا القرار الصحيح، فتحت الخط وهي تلقي السلام ليجيبها ساهر:

- صباح الخير دانا، هل أيقظتكِ من النوم؟

حاولت إخراج صوتها بصعوبة، ليخرج بعدها متحشرجًا، وهي تقول:

-لا ساهر، لقد كنت مستيقظة، ما أخبارك؟!

شعر بقلبه يهوي في صدره، لمجرد سماع صوتها ناعسًا هكذا، حاول التماسك ليجيبها:

- أنا بخير تمامًا.

لا تعرف ماذا تقول، ليتكلم ساهر بحرج:

-أنا لا أريد أن أضغط عليكِ دانا .. لقد وعدتكِ أنني لن أتحدث بالأمر.. وما زلت أنتظر ردك النهائي!

وجد نفسه يتطرق للموضوع مرة أخرى، فصك أسنانه، وهو يسب نفسه، ليكمل بعدها:

- أنا فقط تعجبت من سفركم المفاجئ لروهان، وعدم رجوعكم إلى الآن جعلني أشعر بالقلق، فاتصلت بكِ حتى أطمئن عليكِ لا أكثر.

لتفاجئه وتفاجئ نفسها قبله، وهي تقول:

-لقد وافقت على الزواج منك ساهر.

صدمةٌ ألجمته وألجمتها حتى جعلت قلبها يسقط في قاع مظلم، لا تعرف هل ستستطيع أن تخرجه من ظلماته أم أنها فقدته للأبد؟!

ولكن ورغم كل شيء آن الآوان أن تخرج من سباتها وتعود للحياة مع شخص لم يكذب عليها مثل ساهر.

سمعت والدتها وروهان تتكلمان، فانتبهت لروهان وهي تقول:

-إنهم اتصلوا بها من الجامعة.

تملكها الغضب وهي تعرف أن عز وراء ذلك، فأغلقت الهاتف مع ساهر، الذي ما زال لا يصدق أنها أ خيرًا وافقت، وظل يضحك بهستيرية!!...

خرجت بعدها من غرفتها مسرعة، متجاهلة وجهها المحمر وعينيها المنتفختين من أثر البكاء، لتهدر بالقول:

-من كلمك في الجامعة روهان؟!

التفتت أميرة لابنتها الكبرى، وهي تنظر إليها باستغراب شديد لقد كانت تناديها منذ دقائق، ولكنها لم تجبها.. فتوقفت أميرة للحظة تتفحص دانا، ثم قالت لها:

-لقد كنتِ تتصنعين النوم إذًا؟!

ارتبكت دانا وهي تجيبها:

-لا أمي، لقد استيقظت للتو، وسمعت روهان تقولـ..

أوقفتها أميرة بسبابتها، لتوجه كلامها لروهان:

-اذهبي أنت ِالآن ولنا حديثٌ آخر.

لتتطلع بعدها لدانا..

-أما أنتِ، فسنجلس سويًا الآن وستقولين لي عن سبب اعتكافك أَنتِ الأخرى في غرفتك منذ البارحة.

تأففت دانا ونظرت لروهان بغيظ من فوق كتف والدتها، لترد روهان على غيظها بابتسامة وهي تلوح لها... وداعًا.

تكلم الملك الأبيض...

((وهو أحد الملوك السبعة للجان، وهو أيضًا خادم يوم الجمعة، ويطلقُ عليه الأبيض؛ لأن لبسه وتاجه باللون الأبيض))

((مع خادم سورة الفاتحة، وهو الملك الأخيضر))

قائلاً:

-أنا لن أهدأ حتى يعقل هذا الولد.

أجابه الملك إخيضر:

-أنا لا أعلم تحديدًا لماذا يماطل بني النعمان هكذا! لقد تكلمت مع الملك (ميمون أبانوخ).

((وهو خادم يوم السبت، ولبسه وتاجه أسود، ويخدم من القرآن سورة الهمزة))

حول ابنته زمردة، فاشتكى لي أنها تماطل هي الأخرى، ولم يعرف لها سببًا محددًا.

دخل بني النعمان إلى قصره ينظر إليه بفخر شديد، فقصر والده الذي يتميز باللون الأبيض المريح للعين والقلب معًا..

خطر بباله للحظة أن روهان ستكون سعيدة جدًا حين ترى قصره. ارتسمت ابتسامة على شفتيه، وهو يتذكر شحوبها اليوم، حين أخبرها أنها زوجته، توقف عن استرساله؛ ليلقي عليهما السلام، ثم وجه حديثه للملك إخيضر قائلاً:

-مرحبًا بك سيدي، سعدت برؤيتك اليوم.

أجابه الملك بترحيب أيضًا، ثم استأذن وألقى السلام وذهب، ليواجه بعدها بني النعمان والده.

-عرفت بأنك تبحث عني أبي.

اشتعلت عينا الملك، وهو يقول:

-اتفقت أنا وميمون أن زواجك من زمردة سيكون الجمعة المقبلة.

شعر الملك بالإحباط، وهو يري ولده ثابتًا لا يهتز.. كم كان يريد رؤية أي ردة فعل منه ليفهم ما يدور في رأسه!

دومًا كان بني النعمان أقوى وأعقل عفريت في القبيلة، بل وأذكاهم وأكثرهم حكمة، دائمًا يشعره بالفخر والامتنان أنه أنجب رجلاً مثله سيكون في يوم من الأيام خليفته.. ولكنه في بعض الأحيان يصبح شديد الغموض وكثير الاختفاء.

تكلم بني النعمان بوجه لا يعبر عن شيء:

-أعتذر منك أبي، لن أستطيع الزواج بزمردة.

وقف الملك بحدة، وهو يقول:

-هل تعصي أوامري؟!

لم يتحرك بني النعمان، وهو ما زال ينظر لوالده قائلاً:

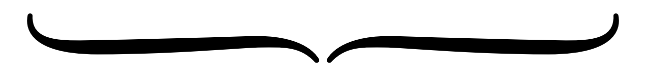
- اهدأ أبي، اتفقت أنا وزمردة أننا لن نتزوج؛ فأنا أعتبرها مثل أختي وهي كذلك، لقد تربينا سويًا ولا نريد الزواج ببعضنا.

جلس الملك الأبيض مرة أخرى، وهو يحاول قراءة أفكار ولده، ولكن دون جدوى؛ فهو شديد التحفظ، تنهد وهو يفكر كيف يستفزه، فقال له:

- حسنًا، أتريد الزواج بأخرى؟!

ليجيبه بني النعمان بكل بثبات وبرود قاطع لا رجوع فيه:

-أنا بالفعل متزوج من أخرى!



الفصل السابع

حدثها مرة أخرى عبر الهاتف وأخبرها أن توافيه في مكتبه، دخلت روهان وهي تتنفس الصعداء لتجلس أمام عز الدين بعد أن رحب بها، لتبدأ في الحديث مباشرة:

-ماذا تريد من دانا سيد عز؟!

لم يتخيل أنها ستتكلم هكذا مباشرة، كان يعتقد أنهم سيتحدثون أولاً في أمر تغيبها، ولكن هذه الفتاة بدأت تبهره من الآن..

أجابها، وهو يتنحنح بحرج:

-أنتِ مباشرة هكذا دومًا؟!

ابتسمت بمجاملة، وهي تقول:

-مباشرة وواضحة، ولا أحب اللف أو الدوران.

رجع بظهره على كرسيه مستندًا برأسه على حافته، ليتكلم بعدها وهو يتنهد بوجع:

-كنت أموت حزنًا على فراقها...كنت أعمل ليلاً ونهارًا وأعود لبيتي محملاً بالهموم حتى أغفو في أي مكان بالبيت، لأستيقظ صباحًا في اليوم التالي وأغرق نفسي بين العمل والمذاكرة في آنٍ واحد.

في اليوم الذي رأيت فيه دانا تخيلت أن سارة عادت إليّ بعد أن سمعت مناجاتي وشعرت بعنائي، فعادت لكي تخلصني من عذابي.

كنت أظن في باديء الأمر أنني أتخيل وجودها كما أفعل في معظم الوقت، ولكني وجدتها تقف وسط زملائها تنظر إليّ، وتبتسم كما كانت تفعل سارة اعتدل في مجلسه ليكمل بأسى.

ركضت خلفها بعد انتهاء المحاضرة، وحين واجهتها وأنا تحت تأثير الصدمة من التطابق بينهما، لم أجدها هي!

تفحصت عينيها بتمنٍ، وأنا أترجى أن تكون هي، ولكن شعرت بالخذلان؛ لم تكن هي، لم أجد سارة في عينيها، ولكني وقتها أحسست بشعورٍ غريب.

تكلمت روهان قائلة:

-بماذا أحسست سيد عز؟!

أجابها وهو في وادٍ آخر، ليعود بعدها بذاكرته لذلك اليوم، ولتلك اللحظات تحديدًا:

شعرت بأنني وجدت ما كنت أبحث عنه.

قام عز من مكانه، ليقف قبالة نافذة مكتبه ويقول:

- خفت كثيرًا من دانا، لم أواجهها منذ ذلك اليوم.

لحظات قليلة كانت كفيلة بأن تشعرني بالرعب... رعب من القادم خوف شديد من مشاعري تجاهها أن تتطور، أأُحب فيها حبيبتي المتوفاة حديثًا، خفت من أن أظلم فتاة لا ذنب لها سوى أن القدر أوقعها في طريقي أشياء كثيرة أرعبتني، وأهمها المستقبل .

ابتسمت روهان، وهي تسمع عز يتكلم بلسان حالها، فهي أيضًا مرتعبة مما سيحدث مع بني النعمان.. خائفة من الانجراف خلف مشاعرها، التي بدأت بالانحياز إليه وأصبح الآن يمثل جزءًا مهمًا من يومها لا تستطيع الاستغناء عنه.. وأكثر ما يرعبها هو إلى أين ستصل علاقتهما؟!

تنهدت روهان، لتخرج بعضًا من أنفاسها الضائقة، وهي تقول:

-وماذا حدث بعد ذلك؟!

التفت عز إلى روهان، ليجلس أمامها على المقعد..

- لم أستطع الابتعاد روهان، لم أقوَ على تجاهل حدسي، الذي بدأ يتغذى على رغبتي ويكبر شيئًا فشيئًا لم يردعني، وطوال السنة الأولى، حاولت تجنبها تمامًا والابتعاد عنها، ولكني عجزت ألا أفكر بها ليلاً ونهارًا .

استسلمت في السنه الثانية، وأقنعت نفسي أنني أريد الاقتراب منها؛ لأنها تشبه سارة، وإن اقتربت ووجدتها شخصًا آخر، فمن المؤكد سأبتعد عنها.. وهكذا ارتاحت نفسي لهذا التفسير كثيرًا، وبدأت فعليًا بالاقتراب.

زفر بضيق وهو يكمل:

- وكل توقعاتي فشلت فشلاً ذريعًا؛ عشقت دانا، يمكن أكثر من حبي لسارة، التي كانت إحدى ركائز التعود والإدمان، وجودها بقربي منذ أن كانت طفلة صغيرة، كان سبب تعلقي بها هكذا...

سارة كانت تعيش معي تقريبًا.

سألته:

- كيف كانت تعيش معك؟!

أجابها متنهدًا:

-كانت منذ صغرها ملتصقة بي كعلكة؛ لهذا شعرت معها بالحب والحماية، ومشاعر كثيرة مختلطة لم أختبرها من قبل...

أما مع دانا، فالأمر كان مختلفًا تمامًا.

دخلت دلال بعد أن طرقت الباب وأذن لها عز بالدخول، لتخبره أن اجتماع الأساتذة المؤجل منذ الأمس موعده بعد نصف ساعة.

أجابها عز:

- حسنًا دلال، سأكون جاهزًا في الميعاد، ولكن أرجوكِ دلال اطلبي لي فنجان قهوة مزدوج؛ لأن صداع رأسي بدأ يداهمني مرة أخرى.

همت بالانصراف، فأوقفها وهو يشير لروهان يسألها:

-هل تريدين أن تشربي شيئًا؟

أجابته روهان أنها تريد فنجان قهوة مماثل، لتنصرف دلال بعدها.

فتبدأ روهان قائلة:

-حسنًا ما المختلف مع دانا؟! ولماذا لم تخبرها بأمر سارة؟

ابتسم عز وهو يجيبها..

-الأمر مع دانا كان مختلفًا؛ لأنها لم تشبه سارة من قريب أو بعيد، فهي مختلفة كليًا عنها شكلاً ومضمونًا، ورغم هذا فقد أحببتها كثيرًا على عكس ما كنت أتوقع.

تنهد وهو يقول:

-أخفيت عنها الأمر خوفًا من ردة فعلها لو عرفت، ارتعبت حين تخيلت أنها من الممكن أن تتركني وترحل هي الأخرى... بعد أن وجدتها لتملأ حياتي الفارغة.

ابتسمت روهان، وهي تعتدل قائلة:

حسنًا ماذا تريد مني الآن؟

أجابها مرتجيًا:

-أريد منكِ مساعدتي روهان، يجب أن تعود لي دانا، أنتِ لا تتخيلين معاناتي في السنوات الماضية، وأنا أبحث عنها في كل شارع من شوارع المدينة كمن يبحث عن إبرة في كومة قش!

أجابته روهان، وهي تضم حاجبيها قائلة:

-لقد سافرنا إلى بلدة أبي بناءً على طلب دانا وإلحاحها الرهيب.

ابتسمت وهي تقول:

-الآن عرفت سبب إصرارها أن تترك المدينة هنا!

شعر عز بالحزن والندم الشديد على ما فعله، دلك جانب رأسه بقوة وهو يقول:

-أنا السبب روهان، ولو عاد بي الزمن لكنت صارحتها.

دخلت دلال بالقهوة، ليأخذ كل منهما فنجانه.

تكلمت روهان بعدها..

-حسنًا سيد عز الدين، سأحاول إقناعها بالجلوس معك لمرة واحدة أخيرة، وهذه أقصى خدمة أستطيع أن أقدمها إليك.

ضحك عز بشده، وهو يرتشف فنجانه بنهم قائلاً:

- أنتِ أخذتِ المقابل مقدمًا آنسة روهان.

رفعت كفها في وجهه، لتبحث عن ورقة وضعتها في حقيبتها حتى وجدتها، لتناوله إياها قائلة:

-خدمتي لم تكمل بعد.. هذه بيانات صديقتي التي حدثتك عنها من قبل.

أخذ منها الورقة، وهو يحرك رأسه يمينًا ويسارًا قائلاً:

- حسنًا روهان... سأنتظر اتصالاً من دانا في غضون يومين.

وقفت روهان، وهي تصافحه قائلة..

- اتفقنا، ولكن هذه هي خدمتي الوحيدة، لو لم تستطع إقناع دانا بالرجوع إليك، فلن أساعدك مرة أخرى.

هز رأسه موافقًا، وهو يدعو الله أن يصدق حدسه، ودعته روهان وذهبت، ليبتسم بعدها بانتصار...

دانا ما زالت تحبني، بل تعشقني، وإلا لما انهارت هكذا عند رؤيتي! نظر لسقف الغرفة، وهو يناجيها...

-أرجوكِ دانا لا تخذليني.

خــرجــت روهــان مــن مــكتب عــز، وهــي تــحاول الاتــصال بصديقتها حتى أجابتها أخيرًا، فتحت روهان باب سيارتها لتدلف للداخل وتغلق الباب خلفها وهي تقول:

-أين أنتِ يا ريم؟ منذ يومين وأنا أحاول الاتصال بكِ وهاتفك مغلق!

تثاءبت ريم وهي تقول:

-لم أغلقه يا روهان، الإرسال سيء جدًا منذ يومين.

ردت عليها روهان، وهي تشغل السيارة لتنطلق:

-أنتِ نائمة في العسل، وأنا أركض هنا وهناك حتى نستطيع إعادة الامتحان الذي تغيبنا عنه في أقرب وقت مع عدم التأثير على تقديرنا العام .

ضمت ريم حاجبيها، لتقول وهي تشهق بصدمة:

-الامتحان! يا إلهي!

ضحكت روهان قائلة:

-لقد تذكرتِ أخيرًا!

ضربت ريم جبهتها بالحائط، وهي تقول:

- كيف نسيت؟ لقد أخبرتني مها أنني تعبت وأنا ذاهبة، ولم أحضر الاختبار وأنتِ كنتِ معي.

أجابتها روهان باستهزاء:

-وماذا فعلتِ بعدها يا قرة عيني؟!

تنهدت ريم، وهي تستريح مرة أخرى على سريرها قائلة:

-جسمي يؤلمني كثيرًا روهان، وأشعر دائمًا بالنعاس! لا أعلم ماذا حدث لي؟!

شعرت روهان بالأسف الشديد على صديقتها وما حدث لها بسببها، فأجابتها تواسيها:

-لا تقلقي ريم، فهذه مجرد توابع لما حدث لكِ، لقد تدبرت الأمر، وحُدد لنا موعد في منتصف الشهر المقبل، سنعيد الاختبار ولن يتأثر تقديرنا العام.

صرخت ريم بفرح، وهي تنتفض من مكانها قائلة:

- حمدًا لله، لقد كنت مرتعبة من أن نخسر مجهود أربع سنوات ويتراجع تقديرنا بسبب مادة!

شهقت روهان، وهي تنحرف بشدة حتى كادت أن تصطدم بشجرة أمامها على الطريق، لتجد السيارة تهدئ من سرعتها دون تدخل منها، نظرت بجوارها فوجدت زمردة تجلس براحة وتبتسم لها.

فزعت ريم على الجانب الآخر، حين سمعت صوت فرامل السيارة، فتساءلت برعب:

- ماذا حدث روهان؟ أنتِ بخير! أجيبيني أرجوكِ؟!

زفرت روهان وأخذت عدة أنفاس، لتقف بعدها على جانب الطريق.

أجابت ريم، التي مازالت تتحدث معها بفزع:

- اهدأي ريم أنا بخير، مجرد سائق غبي ظهر أمامي فجأة.

نهرتها ريم قائلة بغضب :

- تكلميني وأنتِ تقودين روهان! أجننتِ؟

- أغلقي الهاتف الآن وطمئنيني عليكِ حين تصلين للبيت.

ودعتها روهان، وهي تنظر لزمردة بغضب قائلة:

- ما بكِ زمردة أفزعتني؟! كنت سأموت .

أجابتها زمردة بعدم مبالاة:

-لا تفزعي روهان، أنتِ بخير، لن أسمح بأن يحدث لكِ مكروه، اهدأي قليلاً لأتكلم معكِ.

تنفست براحة، وهي تخلل شعرها بأصبعها، وما زال القلق ينتابها متسائلة:

-ماذا حدث؟!

واجهتها زمردة، فتفحصتها روهان عن قرب في نور الصباح، لتجدها جميلة، بل أجمل جنية رأتها من قبل، عينان بلون الزمرد اللامع، اسمها بلون عينيها، وجهها شديد البياض ونحيل أيضًا، جسدها صغير وتماثلها في الطول، شعرها شديد السواد وبطول فاره.

والغريب أنها لا ترتدي إلا ملابس باللون الأسود، وبرغم أن من يراها من بعيد يصيبه الهلع، إلا أنها حين اقتربت منها، وجدتها شديدة الألفة ووجهها بريءٌ جدًا.

ابتسمت زمردة، وهي تقول:

- لو لم أعرف أنك رأيت الكثير منا، كنت ظننت أنك أول مرة تري جنية!

قالت لها روهان، وهي ما زالت تنظر إليها بانبهار:

- لماذا ترتدين الأسود دومًا في حين أن بني النعمان يرتدي درجات الأبيض كلها؟!

اقتربت منها زمردة قائلة، وهي تهمس كمن تخشي أن يسمعها أحد:

- بني النعمان، ابن الملك الأبيض وهو خادم يوم الجمعة، هم لا يرتدون سوى الأبيض، وكذلك قصره وتاجه باللون الأبيض.

أما أنا فابنة الملك ميمون أبانوخ خادم يوم السبت، لا نرتدي سوى الأسود، وكذلك قصرنا وتاج أبي أسود.

ضمت روهان حاجبيها بغرابة شديدة، وهي تقول:

-أنا لا أفهم شيئًا.

استراحت زمردة في مجلسها، وهي ما زالت تنظر لروهان قائلة:

-ما الذي لا تفهمينه تحديدًا؟!

أجابتها روهان قائلة، وعلامات التعجب على محياها:

-لقد صادفت من قبل الكثير من طوائف الجن على مدار اكثر من خمسة عشر سنة، ولكن لم يكلمني أحدهم عن عالمكم، برغم أني كونت منهم الكثير من الصداقات.

سألتها زمردة:

-وماذا حدث لأصدقائك؟ لماذا تركوك؟!

أشارت لها روهان برأسها قائلة:

-لقد تأذيت من بعضهم كثيرًا حتى تعالجت، أو هكذا أقنعت من حولي حتى يتركوني بحالي، ولهذا لم أخبرك في البداية أنني أراكِ.

نظرت لها زمردة باهتمام قائلة:

-أنا أراكِ لطيفة وغير مؤذية، فلمَ يؤذونك إلا إذا سحرك أحدهم!؟

أجابتها روهان نافيه الأمر:

- لا، لم يكن سحرًا، كنت أراهم فقط.. حتى بدأ بعضهم في مضايقتي، وأصدقائي هم من كانوا يدافعون عني ويتصدون لهم..

حتى أصرت أمي أن أتعالج حين وصل الأمر للأذى جسديًا، لم أكن أريد العلاج، كنت سعيدة بصداقاتي معهم، ولكن تحت ضغط من أمي وأبي وأختي وافقت.

وحين علم الشيوخ أنني أراهم استغلوني بشدة، ظلوا يدورون بي في المنازل المسكونة؛ لأخبرهم عن أماكن مكوث الجن بها، حتى غضبوا مني بشدة، ولم يستطع أصدقائي وقتها الدفاع عني كما يجب، فآذوني كثيرًا حتى لازمت البيت ولم أكن أخرج منه.

وقتها أتاني شيخ فاضل قرر أن يعالجني لوجه الله، وحدث بالفعل، ولكني بعد فترة وجدت نفسي أراكم مجددًا، فتجاهلت الأمر تمامًا حتى لا أثقل على أهلي؛ فقد عانوا معي كثيرًا وطالهم بعض الأذى.. إلى أن جاء بني النعمان.

توقفت روهان، لتتكلم زمردة قائلة:

- أنا أتيت إليكِ بخصوصه.

فزعت روهان، فهي لم يطمئن قلبها من تحذير زمردة صباحًا..

-ماذا حدث له؟!

أجابتها زمردة تطمئنها:

-لا تقلقي، لن يستطيع أحد إيذاء بني النعمان أقوى عفريت في الجن، بل وأكثرهم حكمة وذكاء.

شعرت بالسعادة للحظة، لتشعر بعدها بالخوف في اللحظة التي تليها، دومًا كل ما يخصه يشعرها بسعادة ممزوجة بخوف شديد لما سيحدث في المستقبل.

أكملت زمردة متجاهله شرود روهان:

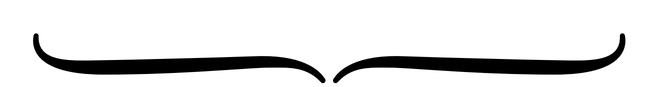
-كل ما في الأمر أنه من المفترض أن نتزوج أنا وهو في آخر الأسبوع الحالي.

طنت أذنها من مقولة زمردة، لتشعر بعدها بمشاعر لم تختبرها من قبل... هل هي غيره أم ألم أم ماذا؟؟

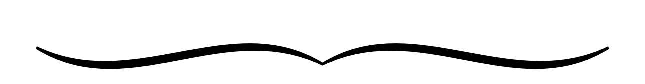
طعنة دخلت قلبها من دون رحمة، لتبدأ في التساؤل... هل كان يخدعني؟؟!

نظرت إليها زمردة، فوجدت وجهها أبيض تمامًا وشفتاه قد انفرجتا من الصدمة.

لتشهق روهان بفزع؛ عندما اهتزت السيارة بشدة، لتجد بعدها بني النعمان ينظر لزمردة بغضب شديد، قبل أن يصفعها صفعة جعلتها تدك أرضًا، ليخرج بني النعمان روهان من السيارة في أقل من ثانية، قبل أن تتحطم لمئات الشظايا...



الفصل الثامن



لم تستطع تحمل رؤية ما حدث فأغمى عليها، فتحت روهان عينيها ببطء بعد عدة دقائق من فقدناها الوعي، لتجد نفسها في أحضانه تجمدت نهائيًا، لترتفع دقات قلبها وتبدأ في التعرق الشديد.

أحس بدقات قلبها المتسارعة بالقرب من صدره العاري وأنفاسها الساخنة، التي بدأت تلفح جانب رقبته، فأبعد وجهها، لينظر إليها بتوتر، بعد أن قرع قلبه داخل صدره من قربها هكذا، ليقول بعدها بصوت مرتعش:

-أعتذر منكِ حبيبتي، لقد تملكني الغضب منها ولم أستطع إلا أن أعاقبها على ما فعلته.

- ابتلعت ريقها بصعوبة بالغة، وهي تشعر بأنفاسه المشتعلة قريبة منها، وبصعوبة بالغة حاولت أن تتكلم، ليخرج صوتها متحشرجًا:

-ماذا فعلت زمردة لكل هذا؟!

حرارة جسمها بدأت تتصاعد بسرعة شديدة، وهو يتفرس في ملامحها بعينه التي بدأت تضئ، وكأنه في عالم آخر.

يا إلهي! لماذا تضئ هكذا؟ شعرت بيديه اللتين بدأتا في التحرك ببطء على ظهرها، فأغمضت عينيها تحاول التملص منه، ولكنه لا يتحرك وهو يقترب منها أكثر، تكلمت روهان بقلب يكاد يتوقف عن دقاته:

-أرجوك ابتعد عني.

أجابها بعد أن توقف عن اقترابه.

- لماذا تحاولين الابتعاد عني روهان؟

فتحت عينيها لتلتمع بدموع حبستها بقوة قائلة:

-هذا لا يجوز، لن أستطيع!

حاول تمالك أعصابه وهو يقول:

-أنا واثق أنه لا يوجد غيري هنا.

ثم أشار على قلبها، لتكمل هي:

-لن أنكر تأثري الشديد بك، ولكن هذا لا يجوز؛ أنت جني!

ابتعد عنها تمامًا بعد أن انطفأت عيناه وبدأتا في التحول للون الأحمر، حتى بدأ الخوف يتسلل إلى قلبها، ليقول بني النعمان بصوتٍ، يحاول أن يخرجه طبيعيًا.

- لن نكون أول زوجين مختلفين في الجنس روهان، يوجد بيننا العديد من الإنسيات متزوجات برجالٍ من الجن.

انتفضت روهان واقفة، وهي تنظر إليه بعينين تكادان تخرجان من محجريهما قائلة:

-مستحيييييل!!!

نظراته اخترقتها، وهو يجيبها:

-هل تريدين الذهاب بجولة للعالم السفلي حتى تصدقي؟!

لم يخطر ببالها أبدًا هذه الإجابة، فشعرت برعب شديد يغزو جسمها بالكامل، حتى بدأت في الارتعاش ولم تعد تستطيع التحكم في قدمها التي بدأت تتهاوى وهي تنظر للغرفة التي تجلس فيها معه بغرابة شديدة.

أسرع بني النعمان إليها يمسك بخصرها بيد واحدة، وهو يقول:

-لماذا ارتعبتِ هكذا؟! روهان، لقد قلت لكِ سابقًا أني لن أفعل شيئًا رغمًا عنكِ.

بدأت في استعادة انفاسها الهاربة، وهي تقول:

-أين أنا؟!

فأجابها، وهو يحملها بخفة شديدة ويضعها لتستريح على الأريكة الموجودة في الغرفة، ليجلس جوارها بركبتيه على الأرض قائلاً:

-لا تقلقي هذا مكاني السري، ولم يدخله أحد قبلك.

ثم بسرعة كالبرق ذهب ليزيح الستار من على النافذة الموجودة في آخر الغرفة أمامها مباشرة، لتعتدل روهان وهي تنظر بانبهار شديد للمشهد الرائع الذي تراه بعينيها، لتجزم بعدها أنها ليست على الأرض

ابتسم وهو يهمس في أذنها:

-أنتِ في الجنة.

التفتت إليه سريعًا وهي تنزل من على الأريكة تتجه نحو النافذة، وكأن النهر يسحبها بسحره الخاص، ضحكت حتى أدمعت عيناها تأثرًا، وهي تسمع تغريد الطيور من حولها كمن تعيش في أجمل حلم رأته في حياتها.

وقف بني النعمان خلفها وهو يتفحصها بعشق ويبتسم بسعادة لسعادتها، ليهمس مرة أخرى في أذنها، ولكن هذه المرة كان همسه أشد حميمية، وهو يقول:

-تريدين الجلوس بالخارج؟!

التفتت إليه، تشعر أنها تريد احتضانه بشدة على تواجدها في هذا المكان الساحر، لتقول سريعًا..

-يمكنني ذلك!

ضحك بصوت مرتفع، وهو يقول:

-أنا لم أختطفكِ روهان!

ثم أمسك بيدها، لترتعش يدها تأثرًا، وهو يخرجها من الغرفة، فتضحك بعدها حتى كاد قلبها أن يتوقف، وهو يحملها ليضعها على أرجوحة معلقة بين شجرتين في وسط المياه، ثم جلس بجوارها قائلاً:

- لو كنت أعلم أن هذا المكان سيجعلك سعيدة هكذا، لكنت أحضرتكِ إلى هنا من سنين.

توقفت عن الضحك بسعادة، لتستعيد جديتها وهي تقول:

-ماذا فعلت زمردة لتضربها هكذا؟

تنهد قائلاً:

-لقد ارتكبت خطأ جسيمًا.

اعتدلت في جلستها، وهي تربع قدميها مستمتعة بهذا المشهد الرائع، لتقول وهي تشعر بوخز في قلبها:

-هل لأنها أخبرتني أن زواجكم في نهاية الأسبوع؟!

أشار إليها برأسه بعدم اهتمام قائلاً:

-لن يحدث زواج روهان، فأنا بالفعل متزوج بك.

دقات قلبها بدأت في التقافز مرة أخرى، ولكنها تجاهلتها قائلة:

-أرى أنها تريد إتمام الزواج.

اعتدل هو الآخر، ليواجهها قائلاً:

-مستحيل روهان.. زمردة تحب رجلاً آخر منذ صباها وستتزوجه قريبًا، لقد وعدتها بذلك.

ضمت حاجبيها، ولكنها أكملت:

- حسنًا، لماذا فعلت هذا بها إذًا؟

أجابها بوجه ممتعض من كثرة السؤال:

-ستتعافى سريعًا روهان، لا تقلقي.

زفرت بقوة وهي تقول:

-حسنًا لا تريد إخباري ماذا فعلت؟

اقترب منها قائلاً بهمسٍ واضحٌ مقصده:

-ماذا سأحصل بالمقابل؟!

رجعت روهان بظهرها للخلف، وهي تقول:

- في أحلامك، لا أريد معرفة شيء.

ضحك بني النعمان، ليقترب أكثر منها قائلاً:

- أستطيع أخذ ما أريد في يقظتي وليس في أحلامي.

تنهدت بأنفاس حارقة، لتغير مجرى الحديث الذي إن استمر هكذا فلن يؤدي في النهاية إلا أخذ ما يريده هو، وهي لن تستطيع الاعتراض وسط هذا المشهد الخلاب.

- لماذا تشبه الإنسان هكذا؟! لم أرَ مثلك من قبل.

قالتها وهي تتفحصه بإعجاب، احمرت عيناه كلهبٍ مشتعل وهو يقول :

- وهل رأيتِ الكثير من رجال الجن؟!

رجعت روهان للخلف بخوف، لتتدارك أمرها قائلة:

-كنت أراهم دومًا مرعبين، ولكني لم أصادق منهم سوى الفتيات.

هدأت عيناه وهو يقول:

-يكفي أنك لا ترينني مرعبًا .

ليكمل بعدها:

-أنا من الجن الضوئيين، ونحن أقرب شبهًا لبني آدم، ولا يوجد من فصيلتنا سوى المسلمين.

نظرت إليه بانبهار، تتفحص ملامحه في ضوء النهار قائلة:

-احكِ لي عن عالمكم نعمان.

وجدت عينيه تضئ مرة أخرى، ولكن هذه المرة بلون كالعسل المصفى، فضمت حاجبيها استغرابًا؛ كيف يستطيع أن يغير لون عينيه هكذا!! ليقول لها بشغف قاطعًا استرسالها:

-ماذا قلتِ الآن؟!

هزت رأسها بعدم فهم قائلة:

-ماذا قلت؟!

أجابها بصوت متأثر:

- لقد نطقتِ اسمي روهان، وهذه أول مرة أسمع اسمي يُنطق من بين شفتيكِ.

وكأنها تتحداه أن يقترب منها أكثر، وقد باءت كل محاولاته في الابتعاد عنها بالفشل، بدت تائهة، وهو يقترب بأنفاس جعلتها تذوب من حرارتها، فلم تستطع المقاومة، وفي لحظه واحدة، اقترب من شفتيها عازمًا على لمسهما، بعد مقاومة وجوع داما لسنواتٍ طوال.

أغمضت روهان عينيها بقوة ولم تستطع أن تبتعد هي الأخرى، لتفتح عينيها في أقل من ثانية، فوجدته أوشك على تقبيلها. نظرة لعينيه جعلتها تدرك أنه لن يتوقف حتى ينهي الأمر، فهمست بكلمات يكاد أن يفهمها جعلته يبتعد سريعًا، وهو يلهث، حين قالت:

-حرام نعمان، لا أريد أن أغضب ربي.

بعد أن تذوق قربها لهذا الحد، لن يستطيع الابتعاد ثانية، نظرات غضب مختلطة بالأسف وبعض من الإصرار على المضي قدمًا في الأمر وليحدث ما يحدث، انتفض بعدها بقوةٍ، وهو يزفر غاضبًا ليلقي نفسه في الماء؛ عله يطفئ بعضًا من نار

تمددت على الأرجوحة وهي ترتعش تفكر فيما حدث وكيف سيكون ردة فعله حين يخرج من الماء، تشعر أنها تلعب بالنار وحان الوقت لتحترق هي الأخرى، شعرت باهتزاز الأرجوحة، فلم تتحرك من مكانها، حتى انتفضت، وهو يقول:

- هيا بنا نعقد قراننا اليوم روهان، لن أستطيع التحمل بعد الآن.

ليخلل أصابعه في شعره المبلل، وهو يضيف:

-أنا أخشى أن أرتكب فعلاً خاطئًا معكِ، ووقتها لن ينفع الندم.

هزت رأسها نافية وهي تقول:

-لن أستطيع، أرجوك إن والداي سيموتان قهرًا إن علما بالأمر، ولن أسامح نفسي إن حدث لهما مكروهُ بسببي.

فباغتها بالقول:

-وأنا لن أستطيع حمايتهما إن لم نتزوج رسميًا في مملكتي.

شعرت بالرعب من حروف كلمته الأخيرة، فقالت وهي ترتعد:

-لم أفهم مقصدك!

زفر بقوة، وهو يقول:

-لهذا كدت أن أقتل زمردة اليوم.

ما زالت تنظر إليه لا تفهم شيئًا..

فاقترب منها وهو يقول:

-حسنًا روهان، والدي يسمى الملك الأبيض، وهو خادم يوم الجمعة وخليفة الملك شمهورش في القضاء.

تكلمت روهان بعدم فهم قائلة:

-لقد قالت لي زمردة مثل هذا الكلام، ولكني لم أفهم منه شيئًا!

أجابها وهو ينظر للسماء:

-خادم يوم كذا.. أي أنه يقف في الخدمة إلى من يناديه، ولا يقف في غيره هناك سبعة من ملوك الجان، وهم كلهم مسلمون، وكل ملك يحكم تسعة وأربعين قبيلة، وكل قبيلة تحكم تسعة وأربعين مثلها، وكل قبيلة يتعدى عدد أفرادها ملايين الأشخاص.

قالت روهان بتعجب:

-هذه قبائل المسلمين فقط؟

أجابها قائلاً:
- نعم روهان، فنحن نتناسل ولا نموت إلا بعد الآلاف من السنوات، ولهذا نعد أكثر من البشر عددًا بمليارات الأفراد.

ثم أكمل، وهو ينظر إليها قائلاً:

- دعيني أكمل لكِ الأمر المهم... أنا من طائفة الجن الضوئيين، كما قلت لكِ سابقًا، أحفاد من حضروا بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما زمردة فهي من طائفة الجن القمريين، ونحن، الطائفتان، لا نتزوج إلا من بعضنا.

وجدها تنصت إليه بكامل انتباهها، فأكمل:

-لقد تربيت مع زمردة منذ سنوات طوال، ولهذا أعتبرها مثل أختي، ولكن أبي أراد أن يزوجني إياها، وأنا أعلم جيدًا أنها تحب رجلاً آخر من طائفة أخرى، وفي أعرافنا لا يجوز أن تتزوج منه، وأنا وعدت بمساعدتها في إقناع والدها، ولكن أبي فاجأني اليوم بما قرره هو والملك ميمون والد زمردة، وهو تحديد موعد زواجنا الجمعة المقبلة؛ فلم أجد إلا أن أقول له أنني متزوجٌ بالفعل.

قاطعته روهان قائلة:

-وماذا حدث بعد؟!

أجابها، وعيناه بدأتا تضيئان مرة أخرى :

-غضب بشدة، وأصر أن يعرف من هي زوجتي، ولكني تركته دون إجابة، فما كان منه إلا أن ذهب للملك ميمون وآتوا بزمردة ليستدلوا منها على أية معلومات.

ليرتفع صوته بغضب، حتى أجفلت روهان، وهو يقول:

-هذه الغبية قالت لهم إني أحب إنسية.

شعرت روهان بالقلق الشديد، فقالت:

-لم تقل لهم اسمي، أليس كذلك؟!

ضحك بني النعمان بصوت مرتفع، حتى بدأت الأرجوحة بالاهتزاز الشديد، فأمسكت روهان طرفها ليتوقف هو قائلاً:

وهل هذا صعب على أبي؟ أقول لكِ أبي ملك من أكبر ملوك الجان، ويحكم عدد أفراد لا تستطيعين إحصائهم، ألن يعرف من أنتِ روهان!!؟.

وضعت يدها على صدرها برعب شديد، وهي تقول:

-وما الحل الآن؟! لا ذنب لي أنك أحببتني، وكيف تقول إني زوجتك؟!

اقترب منها، ثم أخذ كفها الموضوع على صدرها بين يديه برفق، وهو يقول:

- اهدأي حبيبتي، أقولها لكِ ثانية.. لن يستطيع أحد أن يمسك بأذى، وأنتِ بالفعل في قانون الجان زوجتي، ولكن ديني يحتم عليّ موافقتك أولاً حتى أعقد عليكِ.

حاولت إخراج يدها من بين يديه، ولكنه شدد عليها قائلاً:

-ما لا أستطيع فعله هو حماية عائلتك، إلا في حالة واحدة.

لم ينتظر سؤالها، فأكمل:

-أن توافقي على الزواج بي رسميًا في مملكتي وفي حضور جميع القبيلة؛ حتى لا يستطيعوا مس عائلتك بأذى، لأنهم إن لم نتزوج سيبدؤون بالضغط عليّ من خلال عائلتك وإيذائهم.

انتفضت روهان، وهي تسحب يدها سريعًا..

-أنت تحبني أنا، فما ذنب عائلتي؟!

لتنزل بعدها من على الأرجوحة بتوتر شديد، فيعلق حذاؤها في شبكتها، ليلحق بها بني النعمان حاملاً إياها بين ذراعيه، وهو يدعها تقف على الأرض، ليقول:

-هم الآن يعرفون أني أعشقك، فلن يتجرأ أحد على إيذائك، أما عائلتك فلا سلطان لي عليهم إن لم نعقد القران رسميًا.

القلق والتوتر والرعب هو ما تشعر به روهان لقد وقعت في مأزق لا فرار منه،

اختيار مميت بين سلامة عائلتها وزواجها من جني، انتفضت على إثر جملتها الأخيرة، لتدمع عينيها وهي تقول:

-أريد العودة لمنزلي.

لم يرد الضغط عليها أكثر؛ فمن الواضح أنها مرهقة ومشوشه للغاية، فمد يده إليها قائلاً:

-هيا بنا لأعيدك.

انتبهت روهان وهي تشهق قائلة:

-سيارتي!

لم يجبها، وهو يسحب يدها ويحتضنها بشدة يشم رائحتها العطرة بعشق.. أجفلت وهي على صدره، فدفعته بكلتا يديها، فابتعد سريعًا وهو يرفع يديه الاثنتين قائلاً:

-لقد وصلنا .

لم تفهم مقصده وهي تنظر حولها بدهشة، لتجد سيارتها عادت أفضل مما كانت، التفتت إليه وما زالت الدهشة تعلو ملامحها لينعقد لسانها، فلم تعد تدري ما تقوله، تكلم وهو يقترب منها قائلاً:

- أمامك ثلاثة أيام لتتدبري فيهم أمرك روهان.

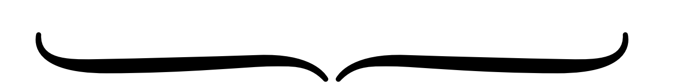
رفع سبابته ليكمل..

-لن تريني خلال الأيام الثلاثة القادمة، ولكنكِ بعدها ستكونين ملكي للأبد.

وقبل أن يختفي، اقترب منها أكثر قائلاً لها:

- قودي بهدوء روهان، وإن احتجتني في أي وقت، ما عليك سوي أن تنادي نعمان.

قال جملته الأخيرة وهو يهمس في أذنها، التفتت لترى عينيه للمرة الأخيرة، ولكنه أحبطها حين اختفى نهائيًا!!



الفصل التاسع

رجعت روهـان إلـى منزلـها مثقلة القلب والعقل، بعد أن كادت ترتكب أكثر من عشرين حادثة في طريق العودة، بداية من حـافـلـة ركـاب، تـوقـفت بـقدرة الله فـي آخـر لحـظة قـبل أن تـدهـسها... ثـم سـيارة نـقل كـادت أن تـلتصق بـها لـتجعلها تنحـرف عن مسـارهـا الـصحيح، وأخـيرًا أوشـكت أن تـصطدم بشجـرة عـلى الـطريـق لـتتوقـف قـبل عـدة سـنتيمترات مـن الاصـطدام بـها، لا تـسمع ولا تـعي سـوى صـوتـه الـذي يـرن بأذنـها «أمامك ثلاثةِ أيام».

لتردد هـي ببلاهة:

- ماذا سأفعل؟

قالتها وهـي تخرج سلسلة مفاتيحها لتفتح باب الشقة ضمت حـاجبيها حـين سمعت صـوت شـجار بـين أمـها وأبـيها ودانـا، أصـواتـهم متداخلة لا تفهم منها شيئًا.. توقفت حين انتبهت لآخر جملة من أمها، وهـي تقول:

- لـن أسـمح لكِ بـتدمـير نـفسكِ دانـا، ولـتضربـي رأسـكِ فـي الجدار.

ما زالت خطواتـها مثقلة ولا تعرف أي شـعور يسيطر عليها؛ فـهي حزينة لمغادرة مكان ساحر كالذي كانت فيه منذ دقائق قليلة ...أم هـي حزينة لأنها لن تراه لثلاثة أيام متتالية؟

تَوقّف الثلاثة عن الكلام جعلها تنتبه لأبيها الذي قال:

-تأخرتِ كثيرًا روهان! أين ذهبتِ بعد الجامعة؟

حدقوا فيها جميعًا، عندما لاحظوا أنها بدأت بالتعرق، ووجهها أصبح جامدًا، حتى أن لون بشرتها شحب تمامًا..

اقترب منها والدها سريعًا ليطمئن عليها قائلاً:

- ما بكِ روهان؟ لقد قلقنا عليكِ ودانا اتصلتِ بك أكثر من مرة وهاتفك مغلق!! هل تشعرين بتوعك حبيبتي؟

ظلت تنظر إليه، ورأسها يدور بجملة واحدة.. «ثلاثة أيام وتصبحين ملكي».

نفضت رأسها يمينًا ويسارًا لتبدأ بالكلام:

-أنا بخير أبي لا تقلق، لقد مررت على ريم لأطمئن عليها وأخبرها أنهم حددوا لنا موعد منتصف الشهر القادم لإعادة الامتحان..

ابتسم والدها وهو يربت على كتفها، ليقبل بعدها جبهتها قائلاً:

- حمدًا لله حبيبتي، سنظل معكِ إذن حتى تنتهي من امتحانك ونعود لبلدتنا سويًا.

انقبض قلبها فجأة عندما قال نعود! هل حقًا سأعود معهم أم سأذهب لعالم آخر؟!

أوقفت استرسالها عنوة، حين طفقوا ينظرون لبعضهم باستغراب من حالتها الساهمة، فانتبهت لهم أخيرًا لتقول:

- ماذا حدث للتشاجر هكذا؟

كأن أميرة كانت تنتظر هذا السؤال، لتهب قائلة:

-أختكِ ستصيبني بجلطة.

تأففت روهان، وهي تجلس على أقرب مقعد بجوارها، لتقول:

-ماذا فعلت أمي؟!

فصاحت مرة أخرى قائلة:

- لقد أخبرت ساهر اليوم أنها موافقة على خطبته.

ليتدخل محمود قائلاً:

-اهدأي أميرة، ولتتركيها تفعل ما تريد.

التفتت روهان لدانا تنظر إليها بغيظ، فتجنبتها الأخرى وهي تنظر في اتجاه مخالف.

ما زالت أميره تتكلم بضيق شديد قائلة :

جننتم جميعًا؟؟ ابنتي أنا، الدكتورة دانا، تتزوج من شابٍ لم يكمل حتى تعليمه الأساسي؟؟ ما بك محمود؟ هل لأنه قريبك سترضخ لابنتك المجنونة هذه؟!

هبت روهان واقفة، لتمسك بيد دانا تسحبها خلفها على الغرفة، متجاهله تذمرها وهي تسبها قائلة:

-اتركيني روهان أجننتي؟؟ اتركي يدي يا حمقاء.

دخلت روهان الغرفة، وهي تغلقها خلفها بالمفتاح، لتضع يدها في خصرها أمام دانا التي ما زالت تزبد، وهي تتفحصها بعينين شبه مغلقتين، لتتوقف دانا أخيرًا وهي تلهث، لتجلس بعدها على السرير الموجود في الغرفة، فتدخل في حالة هستيرية من البكاء المرير.

اقتربت منها روهان ومن دون أن تتكلم احتضنتها بقوة، وهي تمسد على شعرها، حتى بدأت تهدأ قليلاً قائلة:

-أكرهه روهان، هو من فعل بي هذا.

أجابتها روهان بثقة:

-بل تعشقينه، ولهذا تعذبين نفسك، تريدين الانتقام من قلبكِ الذي ينبض بحروف اسمه.

أبعدت دانا رأسها، وهي تشعر بالتوهان، لتقول بعدها:

-ماذا أفعل روهان؟!

ابتسمت لها قائلة:

-اذهبي إليه.

انتفضت دانا بقوة، وهـي تقول:

-مستحيل.

أمسكت روهان بيدها مرة أخرى قائلة:

- اسمعيني حبيبتي... ارتباطكِ بساهر لن يجعلكِ تنسين عز، بالعكس، سيجعلك تكرهـين ساهـر، ولن تستطيعي تقبل أي شيء منه، واجهي آلامك دانا، لم أعرفك يومًا ضعيفة وجبانة هكذا!

تكلمت دانا، وهـي ساهمة تفكر فيما قالته أختها:
-سـيقنعني بـالـعودة إلـيه، ووقـتها أنـا مـن سـأكـره نـفسي روهـان... أنـا واثـقة أن سـاهـر يـحبني بشـده لـذاتـي، ولـيس لأنني أشبه حبيبته القديمة.

قالت جملتها الأخيرة، وهـي تنظر لروهـان والألم يقطر من عينيها..

أمسكت روهان بكفها قائلة:
-وأنتِ تحبين من؟!

أغمضت عينيها لتكمل روهان:
- ستؤذيـن نـفسكِ وتـؤذيـن سـاهـر دانـا، أرجـوكِ افـهميني.. قـابـلي عـز لـلمرة الأخـيرة وتـكلمي بـكل مـا يـحزنـكِ ويـقلقكِ... اصرخي بوجهه، اضربيه واغضبي وافعلي كل ما يريحك، ولكن في النهاية اسمعيه.

ثم أشارت بسبابتها على قلبها قائلة:

-اسمعيه بقلبك.

لتنتقل بسبابتها مشيرة إلى رأسها:

- وبعقلكِ أيضًا.

أنزلت دانا يدها، لتفتح عينيها ببطء، فأكملت روهان:

-بعدها اتخذي قرارك، وأنا معكِ أساندك في أي قرار.

تنهدت دانا براحة و اقتناع، وخصوصًا أن قلبها الخائن يريد رؤيته مرة أخرى..

فهزت رأسها موافقه وهي تقول:

-أنتِ قابلتيه اليوم؟!

ابتسمت لها، وهي تهب واقفة:

- سأذهب لآخذ حمامًا وأتناول بعضًا من الطعام؛ لأنني أتضور جوعًا.

لتكمل بحزنٍ مصطنع:

-لقد أكلتم من دوني!

لاحت على شفتيها ابتسامة، وهي تقول:

-أنتِ تعرفين مواعيد أمي للطعام.

أشارت إليها روهان مودعة، وهي تبعث لها قبلة طائرة بمرح وتقول بصوتٍ مرتفع:

-سأموت جوعًا يا أمي، أرجوكِ احضري لي الطعام حتى أنتهي من حمامي.

لتسمع والدها وهو يضحك قائلاً:

-ستظلين دومًا طفلة مدللة.. متى ستكبرين يا فتاة؟

فعادت إليه سريعًا، وهي ترفع حاجبًا واحدًا بمكر وتضع يدها على صفحة الجريدة التي يقرأها والدها.

-لقد سمعتك محمود بيك.

ثم أشارت إليه بإصبعها مهددة:

-اعتذر الآن.

ليدخل أبوها في نوبة ضحك حتى بدأ يسعل، فقبّلته سريعًا قائلة:

-اهدأ أبي، سيقف قلبك من الضحك!

فأجابها، وهو يسحبها نحوه لتجلس في حجره:

-يجب أن أعاقبك على مناداتي باسمي مجردًا.

ليبدأ بعدها بدغدغتها، حتى بدأت في الضحك الشديد، وهي تصرخ عاليًا:

-آسفة توقف أبي أرجوك.

خرجت أميرة من المطبخ وهي تدفع بمنضدة متحركة على عجلات تحوي طعامًا شهيًا، لتقول بغضب:

-تأدبي يا بنت، صوتكِ عالٍ جدًا.

فهمس أبوها في أذنها، وهي مازالت في حجره، ليقول:

-أمكِ تغار.

ابتسمت روهان لتهمس له هي الأخرى:

- أعرف ذلك.

ثم قامت من على حجره، لتتجه لأمها تقبل يدها، وهي تقول:

-لا حرمني الله منكِ أمي.. سآخذ المنضدة في غرفتي حتى أتناول الطعام وأنام.

ربتت أميرة على كتفها قائلة:

-الوقت ما زال مبكرًا على النوم روهان، فالساعة لم تتعدَ التاسعة مساءً!

أخذت المنضدة من يدها برفق تجرها من مقبضها خلفها وهي تتجه لغرفتها قائلة:

-لقد استيقظت اليوم باكرًا وأنا مرهقة جدًا أمي... سآخذ حمامًا سريعًا وأتناول طعامك الشهي هذا وأنام على الفور.

وضعت المنضدة خلف باب الغرفة، ثم أغلقته لتلقي بنفسها على سريرها، وهي تزفر قائلة:

-يا إلهي دلني على الصواب.

ثم دمعت عينها لتكمل:

-لن أستطيع أن أبتعد عنهم نعمان، ولن أستطيع تركك أنت الآخر.

قامت سريعًا لتدخل الحمام لم تستغرق سوى عدة دقائق لتخرج بعدها وهي ترتدي المنشفة نفسها التي ارتدتها آخر مرة حين رآها بها بني النعمان...ابتسمت بحزن وهي تغمض عينيها على هذه الذكرى وهي مازالت عاجزة عن التفكير في حل يخرجها من هذا المأزق والأغرب من هذا أنها تفتقده من الآن.. لن تستطيع النوم الليلة دون أن تسمع صوته يتلو لها القرآن حتى تغفو ..

فتحت عينيها سريعًا، وهي تشهق قائلة:

-ألم تخبرنِ أنني لن أراك لثلاثة أيام؟

اقترب منها ببطء، وهو يقول:

-ألهذه الدرجة غضبتِ لرؤيتي؟

ابتلعت ريقها بصعوبة، وهي تقول:

-لم أغضب بل فوجئت.

اقترب بضع خطوات أخرى قائلاً:

- لقد ناديتني نعمان!!

ضمت حاجبيها قائلة: أنا لمـ.... ثم توقفت وهي تتذكر:
- لن أستطيع أن أبتعد عنك نعمان.

وجدته يقف قبالتها ينظر إليها هذه النظرة التي تعشقها بلون عينيه الذي تحول للون الذهبي، ليقول بصوت هامس متأثر، ونظره معلقٌ بشفتيها....

- قوليها مرة أخرى.
قدمها بدأت بالتخبط، وقلبها بدأ يقرع عاليًا، لتنتفض سريعًا حين وضع يده على خصرها، لتشعر بعدها بتيار بارد يتوغل بأوردتها يزيدها تأثرًا ولهفة.. نطقت أخيرًا، وهي تقول:

- لن أستطيع الابتعاد عنك نعمـا...

لم تكمل جملتها، ليغرقها بقبلة جعلتها تدور بغرفتها كفراشة تحلق في جنة الخلد...

توقف أخيرًا، وهو ينزع نفسه بشق الأنفس، ليتركها تهوى على سريرها شبه فاقدة للوعي، لم يعاود الاقتراب منها، ولكنه ظل ينظر إليها بشغف يتزايد، وخاصة وهي ترتدي هذه المنشفة وشعرها ما زال رطبًا.... توقف سريعًا عن استرساله، قبل أن يرتكب خطأ أبشع، وهو يشعر بالاحتراق الآن... فقرر أن يختفي تمامًا وبأقصى سرعة!

فتحت روهان عينيها ببطء بعد عدة دقائق، لتبحث عنه في الغرفة فلم تجده، للحظة ظنت أنها تتوهم ما حدث، ولكن بنظره واحده للمرآة تأكدت أنه قبلها حين رأت شفتيها محمرتين كحبة فراولة.. عضت على شفتيها، وهي تتحسسها قائلة:

-يا إلهي! ماذا فعلت ؟!



الفصل العاشر

جحظت عيناها بدهشة وانبهار، وهي تحبس أنفاسها مرددة:

-هل ما أراه حقيقي؟

بدأت تتلمس في الجدار اللؤلؤي، فشعرت ببرودته تحت أصابعها، فأدركت فورًا أنه ليس حلمًا، تفحصت المكان بعينيها سريعًا، لتتيقن أنها في مكانٍ ما ليس على الأرض، تكلمت بعدها بصوت عالٍ، وهي ما زالت تخطو ببطء شديد..

-أين أنا؟!

لم تسمع أية إجابة في المقابل سوى تردد صوتها... ظلت تلتفت يمينًا ويسارًا تنظر للغرفة بإمعان، قائلة بهمس:

-المكان ليس مخيفًا على الإطلاق.

شعرت ببعض الراحة، فبدأت تسرع بخطواتها نحو باب شبه مغلق، وهي تتفحص كل شيء أمامها.. بداية من السقف الذي يحوي سارية ضخمة جدًا تكاد تصل لمنتصف الغرفة، تعكس ضوءًا ذهبيًا على بلور الحائط مماثلاً لضوء الشمس الساطع، فيجعل الغرفة تلمع كذهبٍ خالص!

ما زالت تتقدم بخطواتٍ، بدت هادئة، لتتوقف فجأة حين وجدت انعكاسها في مرآة لم تلاحظها من قبل كانت المرآة على أحد جوانب الغرفة،

تبدأ من منتصف الحائط لآخره ببرواز ذهبي منقوش بنقشات، بدت غريبة جدًا، ولكنها مبهرة لم تتأمل البرواز طويلاً لتواجه المرآة، فشهقت بشدة عندما رأت انعكاسها.

للحظة تخيلت أنها فتاة أخرى، ولكنها عندما أصدرت بعض الحركات التلقائية كتحسس وجهها وشعرها، وجدت انعكاسها يفعل ما تفعله، فتيقنت أنها هي روهان، ثوب أبيض حريري بذيل طويل يصل إلى كاحلها، به فتحة على جانبه تصل لركبتها، فتظهر بشرتها البيضاء، شعرها مسدل تمامًا بتموجات بسيطة، وهناك تاج من ذهب على شعرها! بدت كأميرة من زمن بعيد، فابتسمت بإعجاب شديد بمظهرها، ضيقت عينيها تتأمل ملامح وجهها، وجدته صافيًا ولامعًا بشكلٍ مبهر.

شعرها أيضًا أصبح مائلاً للأشقر، ضمت حاجبيها وهي تسمع طرقًا على الباب لتقول بعدها بتوجس:

-من؟

صوت جهوري رخيم وقوي يدل على صاحبه الذي تعدى الستين في اعتقادها، لم تتحرك وهي تقول:

- تفضل سيدي.

هالها مظهره الوقور بثوب أبيض طويل وفوقه عباءة بيضاء، وجهه شديد البياض مع لحية تصل لصدره ولا يوجد بها شعرة سوداء... بل خصل بلاتينية لامعة،

ظلت تنظر إليه بانبهار حتى طرق عدة طرقات بعصاه التي في يده، وهو يقول:

-أعتذر منك بنيتي، أتيت بكِ هكذا دون معرفتك.

ما زالت تنظر إليه فاغرة فاها، فعلم أنها لم تسمعه، فطرق بعصاه على الأرض مرة أخرى، ولكن هذه المرة بصوت أعلى!..

انتفضت روهان قائلة:

-عفوًا، لم أسمعك سيدي.

فأجابها مرة أخرى قائلاً:

-السلام عليكِ أولاً.

فأجابته السلام، وهي ترتجف.

لاحظ توترها، فابتسم لها قائلاً:

-اجلسي بنيتي.

هزت رأسها بعدم فهم؛ فهي فلم تجد في هذه الغرفة الكبيرة سوى السرير الضخم التي نزلت من عليه منذ قليل!

أشار إليها بعصاه خلف ظهرها، التفتت روهان لتجد مقعدًا ممهدًا خلفها، نظرت إليه مرة أخرى فوجدته قد جلس على مقعد مماثل فجلست وهمت أن تتكلم فأشار إليها قائلاً:

-سأشرح لكِ كل شيء أنا الملك الأبيض، أحد الملوك السبع في ممالك الجان المسلمين.

برقت عيناها، ليكمل هو:

-بني النعمان هو ولدي الأكبر وخليفتي للمُلْك في وقت لاحق إن شاء الله حين توافيني المنية.

بدأ الرعب يتسلل مسامها، وهي تقول:

-لماذا أتيت بي إلى هنا؟

باغتها بالقول:

-أنتِ زوجة ولدي، وكنت اريد أن أراكِ.. ثم إن هذا هو بيتك الجديد.

انتفضت روهان، ووقفت بذعر قائلة:

-أنا لم أتزوجه!

طرق على الأرض بعصاه، وهو يقول:

-اجلسي بنيتي لأكمل كلامي.

ارتعبت روهان من نبرة صوته القوية، فجلست سريعًا.

أكمل الملك بصوتٍ بدا رقيقًا:

- أعرف أنكِ لم توافقي إلى الآن، وأنه لم يعقد عليكِ بعد، ولكنكِ في عرف الجان زوجة ولدي منذ أن اشتهاكِ.

سمع دقات قلبها التي تتسارع برعب، فحاول أن يطمئنها قائلاً:

-اهدئِي قليلاً ولا تخافي حتى أشرح لكِ باقي الأمر.

حاولت روهان الاسترخاء، ولكنها لم تستطع لشعورها بأن القادم أسوأ.... فصمت، حتى وجد ملامحها بدأت بالاسترخاء، وإن كان مصطنعًا؛ فهو على يقين أنها لن تستطيع الهدوء وستظل مرتعبة هكذا، ولكن في نهاية الأمر عليها أن تعتادهم جميعًا... أرجع ظهره للوراء، وهو يستند بكفيه على عصاه قائلاً:

- نحن هنا لا نعيش بأمان يا بنيتي؛ فكل فترة يفرض علينا أن نشترك مع بعض الفئات في حرب مع طائفة شريرة من سلالة إبليس شياطين قوية جدًا، نحن كطائفة من الجن النصبيين، أو كما يطلق البعض علينا الجن الضوئيين، نحاول ألا ندخل هذه الحروب أبدًا... نحاول تجنبها بكل حكمة، ولكن في بعض الأوقات لا نستطيع الفكاك منها.

توقف حين وجدها تنظر إليه ببلاهة لا تفهم شيئا، فاقترب منها قائلاً:

- أسرار الجن لا ينبغي علينا أن نخبر بها أحدًا، فما بالكِ بإنسية!

ابتلعت ريقها بصعوبة، ليضيف الملك:

-أنا أثق باختيار ولدي، لو لم تكوني امرأة صالحة، ما عشقكِ لهذا الحد، وما كنت لأبوح لك بأسرارٍ كهذه.

حاولت أن تتكلم فتبعثرت حروفها وهي تنظر لعين الملك التي بدأت تضئ كعيني نعمان التي تعشقهما، فهمست قائلة وهي تتأمل عينيه:

- يا إلهي! إنهما متماثلتان تمامًا!

ابتسم الملك، وهو يقول:

- لم يرث مني سوى عينيّ وبعضًا من حكمتي.

قال جملته الأخيرة بمزاح، حتى وضعت روهان يدها على فمها في حرج، لتقول بعدها مغيرة مجرى الحديث:

-لم أفهم إلى الآن سبب وجودي هنا!

اقترب برأسه، وهو يقول:

- بني النعمانِ قائد جيوش طائفة الضوئيين جميعًا، وكما ذكرت لكِ سابقًا أننا بعد أشهر قليلة سنخوض حربًا شعواء، وبني النعمان أقوى جني في قبيلتنا، بل أقوى عفريت من الجن في طائفة المسلمين جميعًا، وفي المرات القليلة جدًا خلال القرون الماضية، لم نخض حربًا ضد الشياطين، إلا وانتصرنا بها بفضل الله أولاً وبني النعمان ثانيًا.

أحست بقلبها ينبض بسعادة، وهي تشعر بنبرة فخر من والده، فأكمل الملك:

-لن يستطيع ولدي الانتصار وهو في هذه الحالة!

انتبهت روهان للحظة، وهي تقول:

-ما هي حالته؟ أهو مريض؟!

ضحك الملك على سذاجتها قائلاً:

-أقول لكِ إنه أقوى عفريت من الجن في طائفة المسلمين، التي تتعدى عدد سكان الأرض بعدة ملايين من الجن، وقائد جيوش المسلمين، وأنتِ تقولين لي أنه مريض!!

شعرت روهان بالغباء الشديد، ليفاجئها الملك قائلاً:

-في الحقيقة لقد أصبتِ قليلاً.

ما زالت روهان تنظر إليه بعدم فهم، فقال لها:

-هو مريض القلب بنيتي، ودواؤه بيدكِ أنتِ..

ارتعشت للحظة، وأصبح قلبها يدق بشدة، ليكمل الملك:

-وأنتِ أيضًا تحبينه، فلم تعذبينه!؟

نفضت رأسها تظن أنها في حلم، مؤكد هي تهذي.. ملكٌ من ملوك الجان يتكلم معها الآن عن الحب! ما هذا الهراء؟!

وقفت تنظر بجميع أركان الغرفة، التي بدأت بالدوران بشكل رائع ومخيف في نفس الوقت نظرت أمامها مرة أخرى، فلم ترَ المقعد ولا الملك الذي كان يجلس معها منذ لحظة.

-يا إلهي! ماذا يحدث لي؟!

شعرت بالغثيان والدوار وبعض أصوات الهسيس التي لم تتبين صاحبها، ليأتيها الهمس أوضح وهي تغمض عينيها بقوة.. لتجد الهامس يقول:

-أمامكِ يومان حتى انتهاء المدة التي حددها نعمان، ولن أسمح لكِ بالتلاعب بولدي، وإن رفضتِ بعدها فلن أستطيع التوقف عن إيذاء عائلتك.. فأنا لن أؤذي زوجة ولدي أبدًا.

قلبها كاد أن يتوقف حين سمعت طرقًا شديدًا على الباب، لتفزع بشدة وهي تفتح عينيها، فوجدت نفسها في غرفتها ممددة على سريرها،

ظلت تتفحص وجهها وما ترتديه، فوجدت نفسها قد غفت بمنشفتها انتفضت روهان وهي تنظر حولها جيدًا وتفرك عينيها بيدها، ولكن لا جدوى.. هزت رأسها وهي تقول:

-لم يكن حلمًا أبدًا.

سمعت صوت أمها الذي تحول لصراخ وهي تحاول فتح باب الغرفة عندما وجدته مغلقًا بالمفتاح، وهذه ليست عادة روهان! فقامت بسرعة قصوى تحاول ارتداء ملابسها، ولكن والدها أتى على صوت والدتها، وبدأ الذعر يتملكهم بشدة أن يكون قد حدث لها مكروه.

جرت روهان مسرعة تفتح باب غرفتها من الداخل، وهي لا تعلم من أغلقه هكذا، لتجد أمها تعنفها ووالدها يتفحصها قائلاً:

- أنتِ بخير حبيبتي؟!

تكلمت سريعًا بصوت خفيض:

-أنا بخير أمي، ما بكِ؟ كنت نائمة فقط.

تكلمت أميرة ببعض الحدة:

-منذ متى وأنتِ تغلقين غرفتك بالمفتاح!؟

ارتبكت قليلاً، وكادت أن تنفي إغلاقها، لكنها توقفت في آخر لحظة لتقول:

أغلقتها بالخطأ أمي، لم أقصد.

انصرفت أميرة من أمامها، وهي ترميها بنظرة غاضبة تدل على عدم تصديقها، هم والدها أن يدخل غرفتها فاصطدم باب الغرفة بالمنضدة خلفه، فقال لها:

-أخرجي هذه المنضدة من غرفتك حتى أعطيها لأميرة؛ فهي كانت تريدها منذ قليل.

أخرجت روهان المنضدة، وهي تعض شفتيها، لينظر لها والدها بينما يرفع حاجبه قائلاً:

-أنتِ لم تأكلي شيئًا من الطعام!

تلعثمت وهي تقول:

- أخذت حمامي ونمت فورًا .

أخذ محمود المنضدة من أمامها ولم يتكلم معها مرة أخرى.. تنهدت هي بألم، فهي لم تستطع يومًا أن تغضب والدها، هو لا يغضب منها إلا حين يشعر أنها تخفي عليه شيئًا ما.

همت أن تنادي عليه ولكنها وجدت هاتفها يرن فالتفتت لتجيب، فوجدته عز الدين...

أجابته قائلة بإرهاقٍ شديد:

-صباح الخير دكتور.

فأجابها:

-صباح الخير روهان.. هل أزعجتك؟!

-لا دكتور، أنا استيقظت منذ قليل.

ثم أكملت قائلة من دون مراوغة:

- لقد أقنعت دانا بمقابلتك.

كاد أن يقفز من فرحته قائلاً:

- ووافقت؟!

ابتسمت روهان بعقل مشغول، وهي تقول:

- قلت أقنعتها ولم أكلمها.

سكت للحظة مدركًا أن روهان ليست بمزاج جيد اليوم، فقال لها:

-ما بكِ روهان! هل هناك ما يشغلك؟!

بدت تائهة لفترة قصيرة، ثم أجابته قائلة:

-هذا رقم هاتفها الشخصي، سأرسله لك بعد انتهاء المكالمة. تستطيع الآن أن تكلمها وتحدد ميعاد لمقابلتها... توقفت قبل أن تغلق الخط.

-ولكن تذكر إن فشلت هذه المرة فلن أساعدك مرة أخرى.

لم تنتظر رده، لتغلق بعدها الخط تمامًا..

نظر عز للهاتف في يده بغرابة، وهو يقول:

-كم هي غامضة هذه الفتاة! أكاد أجزم أنها تخفي سرًا خطيرًا!

تنهد وهو يغمض عينيه، لتصله رسالة روهان لم يتردد وهو يضغط زر اتصال، تنفس بعدها عدة أنفاس، وهو ينتظر الرد على الجانب الآخر.

أجابته دانا بصوت ما زال ناعسًا، جعل قلبه يهوي، وهو يستمع لصوتها الأثير الذي عشقه من قبل وما زال، كادت أن تغلق الخط، ولكنها توقفت حين سمعت أنفاسه القريبة منها، فأغمضت عينيها تستشعرها بشوقٍ يمزق أضلاعها، ولكنها حاولت التماسك قليلاً، ليتكلم عز قائلاً:

-أموت شوقًا لكِ دانا.

لم تكن هذه الكلمات التي أراد أن يحدثها بها، ولكنها خرجت من قلبه كسهمٍ قُذف بقوة، فلم يستطع لسانه إلا أن يخضع لها، تعرقت يدها بشدة، حتى كاد الهاتف أن ينزلق منها، ولكنها قالت بقلبٍ غاضب وجسدٍ مرتجف:

-ماذا تريد عز؟!

أجابها مباشرة:

-وافيني بعد ساعة من الآن في مكاننا القديم،

سأنتظركِ هناك.

انتظر عدة ثواني على جمر من نار، حتى أجابته:

-حسنًا سأقابلك هناك، حتى ننهي ما بدأناه سويًا منذ سنوات.

لم يجادلها كثيرًا؛ فهو يعلم مدى غضبها الشديد منه أغلق هاتفه بعد أن أنهى المكالمة معها، وهو يفكر بكل شيء تحبه ليفعله لها اليوم؛ فهذه فرصته الوحيد لاسترجاعها.

تمددت روهان بعد أن أغلقت هاتفها تمامًا وهي تتذكر تفاصيل لقائها مع ملك الجان، شعرت أنها تريد التحدث إلى زمردة؛ فهي مثقلة القلب، ولن تستطيع البوح بما يجول في خاطرها إلا مع زمردة.

نادتها بصوت مرتفع على أمل أن تسمعها:

- أين أنتِ زمردة؟! وكيف حالكِ الآن؟!

لحظة واحدة وتمددت زمردة بجوارها، التفتت إليها روهان سريعًا وهي تعتدل جالسة، لتقول بفرحٍ شديد:

-أنتِ بخير؟ كنت أظن... تذكرت أنها لو ذكرت اسمه، فسيأتي على الفور... فأدركت سريعًا لتكمل... كنت أظنه يكذب على!

ابتسمت لها زمردة قائلة:

-لا تقلقي؛ فأنا قوية أيضًا، وبني النعمان لم يصفعني بشدة، فأنا معتادة على عنفه معي.

انقبض قلب روهان للحظة وهي تتخيله يضرب النساء ماذا لو فعل معها بالمثل؟! نفضت رأسها سريعًا لتقول:

-أهو عصبيٌ هكذا دائمًا؟!

تفهمت زمردة خوف روهان، فقالت لها:

-أنا معتادة منه على ذلك، لا تقلقي؛ فهو لن يفعل معكِ بالمثل... لا يستطيع.

لم تحاول فهم أو طمأنة نفسها، فآثرت أن تتكلم فيما استدعتها من أجله فقط.

تنهدت روهان قائلة:

-نحن صديقتان، أليس كذلك؟!

نظرت لها زمردة بابتسامة عذبة ثم قالت:

-نعم روهان، نحن صديقتان، وفي الواقع ليس لديّ أصدقاء غيرك.

فضمت روهان حاجبيها قائلة:

- لماذا؟ أليس لديك صديقات من الجن؟

أجابتها زمردة قائلة:

- أنا شخصية لا يستمتع الفتيات معها.

تكلمت روهان، وهي تعتدل لمواجهتها:

-ألستِ غاضبة مني أنني أنا سبب ما حدث لكِ؟

ابتسمت زمردة، وهي تشعر بمدي طيبة روهان، لتقول:

-أنتِ طيبة القلب روهان؛ لهذا أحببتك وعشقكِ أخي.

ظهرت التعاسة على ملامحها، وهي تقول:

-سأحدثكِ بسرٍ خاص، ولا أريدك أن تقولي لأحد، حتى هو.

هزت زمردة رأسها موافقة، فتكلمت روهان قائلة:

-كنت بالقصر اليوم وقابلت الملك الأبيض.

انتفضت زمردة، فهي تعلم علم اليقين أن قصر الملك لم يدخله إنسيٌ قط منذ خلق الله الجن، فقالت باندهاش شديد:

-وماذا قال لكِ؟!

سألتها وهي تشك أنها كانت تحلم ولم يحدث حقيقة..

-لا أعلم زمردة تحديدًا .. هل كان حقيقيًا أم كنت أحلم!؟

أجابتها زمردة قائلة:

-حسنًا صفي لي القصر أو ما رأيته؟

تكلمت روهان، وهي في وادٍ آخر:

-كنت في غرفة جدرانها من اللؤلؤ الأبيض، أرضيتها تشبه الزجاج، ولكنه صلد كالفضة، كانت هناك ثريا كبيرة في منتصف الغرفة مضيئة باللون الذهبي.

فأشارت لها زمردة أن تتوقف، لتقول بعدها وهي فاغرة فاها:

-لم تكوني في حلم روهان، هذه غرفة الملك.

انتفضت روهان قائلة:

- حقًا؟ لم يكن حلمًا!

هزت زمردة رأسها نفيًا، فأكملت روهان بقلقٍ شديد:

-لقد حذرني إن رفضت زواجي منه خلال يومين، فسيؤذي أهلي زمردة!

تاهت زمردة للحظة، وهي تقول بفزع:

-زواجك من الملك!؟

أشارت روهان نافية للأمر بشدة:

-لا لا، ماذا فهمتِ؟ أقصد منه...

تنهدت زمردة براحة، وهي تقول:

حسنًا فهمت الآن... ماذا ستفعلين؟! الملك الأبيض شديد جدًا روهان، فلا تتحديه حتى لا يغضب، وأنا واثقة أنكِ لا تريدين ذلك.

بدت مشتتة، وهي تقول:

-ماذا أفعل زمردة؟ أغيثيني!

نظرت لها زمردة بتمعن قائلة:

-ألا تريدين فعلاً الزواج ببني نعمان؟

تنهدت روهان بألم، وهي تتذكر قبلته التي نستها في خضم الأحداث، ليقشعر بدنها تأثرًا، وتشعر أنه يفعلها لمرة أخرى، فاحمرت وجنتاها، وعضت على شفتيها السفلي بتوتر، وهي تقول:

- بلى زمردة، أنا أرغب بالزواج به ولكني لن أستطيع سيموت أهلي قهرًا عليّ إن اختفيت.

وقبل أن تكمل، كان نعمان بجوارها في الجانب الآخر يهمس لها:

-ترغبين بالزواج بي!! وافقتِ إذًا حبيبتي؟

انتفضت سريعًا، وهي تقول:

-لا لم أوافق.

نظر لزمردة بغضب، وهو يقول:

- أنا لم آتِ لهذا السبب، سنتحدث بأمرنا في وقتٍ لاحق، أنا جئت لهذه الفتاة التي تسعى لأقتلها.

قال جملته الأخيرة، وهو يشير لزمردة، لتقف زمردة في مواجهته قائلة:

- ماذا حدث؟!

اقترب منها، وبدت عيناه محمرتين للغاية، وهو يقول لها:

-لم تخبريني من قبل أن حبيبكِ من طائفة الشياطين؟!

تلون وجهها، وبدأت ترتعش وتعود للخلف مرتعبة، وهي تقول:

-اهدأ بني النعمان هو وعدني أن يشهر إسلامه ليتزوجني.

لم تكمل جملتها الأخيرة، ليرفع يده يصفعها مرة أخرى، فوقفت روهان سريعًا، وهي تحذره:

-ابتعد عنها لن تصفعها مرة أخرى.

نظرة واحدة لعينيها جعلته يهدأ قليلاً، وهو يقول:

-ابتعدي روهان، فالأمر لا يخصك.

لم تتحرك، وهي تحذره بسبابتها قائلة:

- تخطاني لتصل إليها.

أنزل يده، ووضعها بجواره قائلاً:

-لقد أخطأت زمردة خطأ شنيعًا، روهان! لا يجب عليكِ التدخل.

اقتربت منه، وهي تقول:

-اسمعها أولاً، من المؤكد أن عندها سبب مقنع.

قربها هكذا يجعله يذوب شوقًا إليها، ليلته الماضية كانت قاسية جدًا من دونها، رغمًا عنه نظر لشفتيها التي ما زالت حمراء بفعل قبلته الليلية، فأخذته قدماه ليقترب منها عنوة وهو يلهث، فأدركت روهان الأمر، فابتعدت سريعًا لتقف خلف زمردة تدفعها بالقول:

-اجلسي معه زمردة، وحاولي أن تشرحي له ما حدث.

نظر لها من فوق كتف زمردة، وهو يرفع حاجبه، ليهمس بشفتيه بحميمية:

-يومان فقط ولن تستطيعي الابتعاد مرة أخرى!

كاد قلبها أن يتوقف، وما زالت زمردة تنظر إليها متعجبة على فعلتها، وهي تقف أمامه تدافع عنها! أما عن روهان فكانت تعيش بعالمٍ آخر، وهي تنظر لنعمان الذي يتحدث معها همسًا، مستغلاً وقوف زمردة باتجاهها، ليكمل هدره:

-يومان فقط و سأقبّلك حتى تفقدي الوعي، وبعدها سأجعلك تفيقين على قبلاتي الحارة، ولن أدعكِ تأخذينَ أنفاسك،لتفقدي الوعي مرة أخرى.. وسأظل هكذا لأسبوعٍ كامل...

الفصل الحادي عشر

أمعنت زمردة النظر في روهان فوجدت وجهها شديد الاحمرار وشفتاها بيضاء وبدأت تلهث كمن تجري في سباقٍ سريع، التفتت سريعًا لنعمان ظنًا منها أن هناك خطبًاً ما، ولكنها لم تتبين الأمر حين أخذ نعمان بيدها متجاهلاً روهان التي ما زالت تقف مصدومة من وقاحته الجديدة عليها

ولكنها تعرف أنها هي من أجبرته أن يثبت لها أنها ملكه، فلم يجد غير طريق الوقاحة مسلكًا.. تكلم نعمان وما زال صوته غاضبًا، وهو يقول:

-أنا سحبت وعدي لكِ بمساعدتكِ زمردة، وستقطعين الآن علاقتكِ به.

هبت زمردة بوجه مكفهر، وهي تقول:

-لن يحدث أبدًا، لن أبتعد عنه.

حاولت روهان التدخل مرة أخرى، ولكن بنظرة واحدة من عينيه دب الرعب في أوصالها، فأيقنت أن عليها الانسحاب فورًا، لم تتجرأ على التدخل مرة ثانية، فآثرت السلامة، وجلست على مقعد خلفها وهي تتربع؛ لتخفي رعبها منه وتوهمه أنها هي من قررت ألا تتدخل مرة ثانية...

أخفى نعمان ابتسامته بشق الأنفس، ليتوجه بنظره لزمردة التي ما زالت تعاند ليقول لها بنبرة آمرة:

-لن أكرر كلامي مرة أخرى، ولو حدث وسمعت أنكِ ما زلت تقابلينه فلن أكتفي بقتله بعيدًا عنكِ، ولكنني سأقتله أمامَ عينيكِ زمردة..

ليكمل تهديده وهو يهز رأسه:

-لا، لن أقتله و حسب.

ثم رفع سبابته أمامها قائلاً:

- سأخبر الملك ميمون بالأمر، وحينها ستتمنين الموت أنتِ وهو.

جحظت عيناها، لتقول بغضبٍ شديد:

-هذا ليس عدلاً؛ أنت أيضًا لم تحب فتاة من جنسك، فلماذا تحل الأمر لك وتحرمه عليّ؟

اقترب منها وهو يصك أسنانه بقوة محاولاً أن يتمالك أعصابه، وهو يجيبها:

-أنا أحببت امرأة مسلمة مثلي، وليست كافرة من فصيلة الشياطين زمردة!!

فناطحته بالقول:

-وأنا أخبرتك أنه سيسلم حتى يتزوجني.

أجابها وهو ينظر لعينيها بتحدٍ واضح:

- وقتها سيقتله سيده ويقتلك أنتِ أيضًا.

ظلت تناظره غير مبالية لكلماته، وهي تقول:

-لن يعرف أحدٌ بالأمر.

تفحصها قليلاً ليقول بعدها:

-تظنين أن ملكهم لن يعرف بالأمر! وبسذاجتك وعنادك هذا ستوقعيننا في حرب ستدر علينا دمارًا شاملاً.

شعرت زمردة بالإنهاك الشديد من مواجهته فجلست على سرير روهان لتبدأ في البكاء، وهي تقول:

-من المفترض أن تشعر بي، قلت لك لن أستطيع الابتعاد عنه، أنا أعشقه نعمان.

قالت جملتها الأخيرة وهي تضرب صدرها بيدها... دموع روهان بدأت في السقوط تأثرا بما تراه، وكأن زمردة تتكلم بلسان حالها!

وجد نعمان الأمر فوق احتماله، وخاصة بعد أن بدأت روهان بالبكاء فبدأ يزفر بقوة وهو يقول:

-توقفا أنتما الاثنتان!

لم تسمعه أي منهما، وكلتاهما غارقتان في الدموع.

أمسك بيد زمردة قائلاً:

-اهدأي وسنجد حلاً، ولكن عديني أنكِ لن تقابليه إلا عندما نجد هذا الحل.

هزت له رأسها موافقة، وهي تمسح دموعها بفرح، لتقول بعدها وهي تشير إلى روهان، التي ما زالت تبكي على حالها:

-سأذهب الآن، وحاول تهدئتها.

وقبل أن تختفي، اقتربت من روهان هامسة لها:

-أشكركِ على كل شيء.

اقترب منها نعمان ودون أن يتكلم سحبها لأحضانه وهو يمسد على شعرها حتى بدأت تهدأ قليلاً، شعر بحرارة جسمه تعلو؛ فأبعدها برفق ليقول:

-لماذا تبكين حبيبتي؟!

أجابته بحزنٍ شديد:

-لا أريد أن أبتعد عن عائلتي.

حارب إحساسًا بدأ يهاجمه بأن يأخذها الآن عنوة وليكن ما يكن، ولكنه تراجع قائلاً:

-لقد تكلمنا بهذا الموضوع من قبل روهان، أنا تيقنت الآن أنكِ تريدين العيش معي، كما أحلم أنا بذلك ليلاً ونهارًا، فلماذا تقاومين إحساسكِ حبيبتي؟!

بدأت في البكاء مرة أخرى ولكن بصمت، لتقول بعدها:

-أنا أتعذب نعمان، ولكني سأقولها لك مرارًا وتكرارًا.. لن أترك أهلي إلا وأنا جثة هامدة.

كان على وشك الانفجار بها، ليتوقف عند كلمتها... «أنا أتعذب»!

اقترب منها قليلاً، وهو ينظر لعينيها الدامعة قائلاً:

-ماذا تعرفين عن العذاب روهان؟! هل شعرتِ يومًا أن قلبك يتمزق مثلما تمزق قلبي وأنا أراكِ كل ليلة ولا أستطيعَ الاقتراب منكِ!

بدأت روهان تمسح دموعها، وهي تنظر لعينيه التي بدأتا تتلونان باللون الأزرق الناري، ليكمل هو:

-هل شعرتِ بجسدك يتمزق وأنتِ تدخلين جسد شخصٍ آخر؟!

أنا شعرت بهذا حتى أنني مكثت ثلاثة أيام في غرفة صديقتك حتى أعتاد جسدها لأجل ماذا يا تري؟!... هل تتذكرين؟

لأجل أن أخبركِ كم أحبكِ دون أن أمسكِ بأذى.. ففضلت أن أؤذي نفسي وأؤذي صديقتك!!

حاولت روهان أن تتكلم، فلم يعرها اهتمامًا وهو يقول:

-هل حدث يومًا أن شعرتِ بالخيانة؟! لقد قتلني هذا الإحساس عندما علمت أنه كان بإمكانكِ رؤيتي وسماعي، وفضلتِ بكل بساطة أن تتجاهليني!

أكمل، وما زال قلبه يهدر بغضب:

- وبرغم أن مرارة خيانتكِ حتى الآن ما زالت تترك أثرًا في حلقي، إلا أنني سامحتك بكل بساطة، بل وركضت نحوك لأجلس بجواركِ طوال الليل، كم أكره قلبي المنقاد إليكِ رغمًا عني!

بدأت روهان في البكاء مرة أخرى، فلم يمنعه ذلك من القول:

- هل نظرتِ في عين والدكِ مرة ووجدت الخذلان في عينيه؛ لأنك أخبرته أنك تحبين شخصًا ليس من جنسك ومتزوجة منه، ضاربة بكلمته ورغبته عرض الحائط؟

اقترب منها حد الالتصاق، وهو يصك أسنانه قائلاً:

-أنا بني النعمان، كنت دومًا الفخر لأبي وعشيرتي، بل ومملكتي كلها!!.

أدار لها ظهره بغضب وهو يقول:

-لا تتكلمي معي عن العذاب روهان، فأنا وحدي من يتعذب هنا لأجلكِ أنتِ!

التفت إليها مرة أخرى، وهو يعد على أصابعه قائلاً:

-اقترابي منكِ عذاب، وبعدي عنك عذاب، وأنتِ تتجرئين بقول كلمة عذاب أمامي؟

لم تستطع روهان أن تتماسك أكثر من ذلك، فاقتربت منه على الفور تحتضنه بكل ما تملك من قوة، تأفف بضيق؛ لا يستطيع مهما حاول مقاومتها.. فلم يجد أمامه إلا أن يشدد من احتضانها قائلاً، وهو يلهث من الانفعال:

-هيا روهان يكفيني عذاب لسنوات، هيا بنا نتزوج اليوم، وأعدكِ أنني سأجعلك سعيدة طوال حياتك.

طرقٌ على باب غرفتها جعله يختفي سريعًا.

فقالت روهان بأنفاس متسارعة:

- تفضلي أمي.

دخل والدها، وهو ينظر إليها بغرابه قائلاً:

-لماذا تلهثين هكذا روهان؟!

أجابته بارتباك:

- كنت أتمرن قليلاً أبي؛ فأنا لم أمارس الرياضة منذ وقتٍ طويل.

اقترب محمود من ابنته فجلس على سريرها وأشار إليها أن تأتي بجواره، ذهبت روهان نحوه بخطوات خجولة حتى جلست بجانبه وأحاطها بذراعه قائلاً:

-أحوالكِ منذ أن جئنا إلى هنا لا تعجبني، ماذا يحدث معكِ؟؟ من دون مراوغة روهان، وأعدك أنني لن أخبر أحدًا ولا حتى والدتك.

ترددت للحظات أن تبوح له بما يثقل قلبها، ولكنها تراجعت لتقول:

-لي صديقة لي تمر بأزمة تثقلني.

ابتسم لها يشجعها أن تكمل، فأخفضت روهان نظرها وهي تقول:

-تحب شخصًا ما، ولكنه مختلفٌ عنها.

رفع ذقنها بإصبعه ليوجهها إليه قائلاً:

- ما معني مختلف؟!

لم تجبه، فحاول استشفاف الأمر قائلاً:

-هل هو من غير ديانتها؟!

هزت روهان رأسها سريعًا، لتقول:

لا أبي، هو مسلمٌ أيضًا.

ابتسم والدها قائلاً:

-أنا لم أحدد الديانة روهان!!

ارتبكت للحظة فأكمل محمود:

-هل هو من بلد آخر ومختلفٌ في عاداته وتقاليده ولغته عنها؟!

تنهدت روهان بحيرة، وهي تقول:

-هو مختلفٌ وحسب.

قاطعتهما دانا وهي تستأذن والدها في الخروج على موعد مع إحدى زميلاتها.

أذن لها محمود:

-لا تتأخري دانا وقودي على مهل.

نظرت لروهان، لتقوم الأخيرة لتلحق بها قائلة:

-انتظري دانا، أريدكِ أن تبتاعي لي شيئًا من الخارج... ثم سحبتها بعيدًا عن والدها، لتهمس لها:

-مثلما اتفقنا دانا اسمعيه أرجوكِ.

اكتفت دانا بهز رأسها، لتغادر سريعًا وقلبها يقفز من القلق تارة ومن الفرح تارة أخرى.

رجعت روهان لوالدها، وهي لا تعرف سبيلاً لإخباره

أوقفتها والدتها قائلة:

-هيا روهان، نادي والدكِ، لقد أحضرت الطعام، هيا بنا.

تنهدت براحة، لقد أعطتها والدتها قليلاً من الوقت لتفكر فيما تقول لوالدها..

بعد قليل وصلت دانا للمطعم، حيث كان لقاؤهما الأول... بدأت تدور بعينيها في المكان، لقد تغير بعض الشيء.. الديكورات أصبحت حديثة، أماكن الجلوس تغيرت... وأصبح المطعم أكبر قليلاً!...

بحثت عنه بعينيها فلم تجده أمامها، رفعت معصمها تنظر لساعة يدها، فوجدت نفسها متأخرة ما يقرب من النصف ساعة...

زمـت شـفتيها، وهــي تحـدد وجهـتها نـحو إحـدى الـطاولات الفارغة، ليوقفها أحدهم وهو يمسك يدها من الخلف هامسًا في أذنيها:

-لقد كدت أفقد الأمل من مجيئك، وخصوصًا عندما أغلقتِ الهاتف.

حاربت شعورها بالدوار، لتلتفت إليه وهـي تسحب يدها، فيفاجئها عز بباقة زهور من الياسمين، الذي يعتقد أنـها تعشقه!

رغم تأثرها الشديد، إلا أنها تجاهلته قائلة:

-هيا بنا نجلس هناك.

قالتها وهي تشير إلى طاولة أمامها في ركنٍ بعيد نسبيًا.

سارت أمامه، وتركته يأتي خلفها، وما زال يحمل باقتها وهو يبتسم ليسرع في خطواته سابقًا إياها، فأخرج لها المقعد وأشار إليها أن تجلس بحركة مسرحية، جلست دانا ورغمًا عنها ابتسمت من مزاحه، ليباغتها بالقول:

-لقد اشتقت لرؤية ابتسامتكِ هذه؛ فقد كانت رفيقتي طوال السنوات الماضية.

تنهدت دانا بألم قائلة:

-ماذا تريد الآن عز؟!

من دون تردد قالها:

-أريدكِ أنتِ دانا.

أجابته بألم:

-بعد أن خدعتني!

تنهد قائلاً:

أرجوكِ دانا اسمعيني قليلاً.

أشارت إليه بباطن كفها، وهي ترفعه أمامه:

- حسنًا عز، أنا أتيت اليوم لسماعك... تفضل.

أشار للنادل، قبل أن يبدأ حديثه وهو يحاول أن ينظمه في عقله:

-أريد كوبين من الشوكولاتة الساخنة وقطعتين من كعكة غارقة بالشيكولاتة أيضًا.

بللت شفتيها بلسانها، وهي تتمتم بغيظ قائلة:

-هل هذا أقصى ما لديك؟

١٥٣

انفجر عز بالضحك حتى انتبه له بعض الجالسين، فتوقف بشق الأنفس وهو يقول:

-باستطاعتي أن ألغي الطلب إن أردت!

حدجته دانا بنظرة غاضبة وهي تقول:

-أنا لم آتِ اليوم لآكل كعكتي المفضلة وأشرب مشروبي المفضل عز!

اعتدل عز في مجلسه، وهو يقول:

-كنت أريد هذه النظرة فقط دانا، لماذا تريدين أن تحرميني منها؟

رفعت حاجبها، فأكمل عز:

-حسنًا دانا... أنا لم أخدعكِ ولم أكذب في حرف قلته لكِ من قبل.

اقترب ينظر لعينيها البندقيتين قائلاً:

-أنا عشقتكِ دانا، لن أنكر أن سبب قربي منكِ مطابقة وجهكِ لسارة، ولكني بعدها أحببتكِ أنتِ، أحببت دانا، لم تكوني سارة يومًا ما بل أنتِ مختلفة عنها قلبًا وقالبًا، أنا أراكِ مختلفة تمامًا؛ ولهذا عشقتكِ دانا.

بدأ قلبها يهدأ وهـي تتأكد من الأمر، ولكنـها ما زالت تـحارب مـخاوفـها، ظـلا يتبادلان النظرات حتـى أتـى النادل بالمطلوب، لم تـتوقـف دانـا عن النظر فـي عينيه؛ تـحاول قـراءة مـا يـدور بـعقله، ولـكنه كـما كـان سـابـقًا لا يـرضــي فـضـول الأنــثى بداخلها.

أشار إليها عز قائلاً:

-هـيا تـناولـي قطعتكِ، فـأنـا أعرف جيدًا لن تقاومـي التـهامـها أمامـي.

فاجأته دانا تسأله:

-هل تتذكر ما هو يوم عيد مولدي عز؟!

ارتبك عز قليلاً، ليقول بعدها:

- نـعم دانـا أتـذكـر جيدًا عيد مـولدكِ، لقد احـتفلنا بـه سـويـا لثلاث سنوات كاملة.

تقدمت بوجهها إليه قائلة

-حسنًا أخبرنـي به!؟

نظر إليها مبتسمًا وهو يقول:

-هـو يوم الخامس والعشرين من شـهر نوفمبر.

انفجرت دانا في الضحك، وهي تقول:

-كنت أعلم جيدًا.

ضم عز حاجبيه قائلاً:

-ما بك دانا؟ كنتِ تعلمين ماذا؟

توقفت دانا قائلة:

-كنت أعلم أنك تخدع نفسك وتخدعني أنا أيضًا... أنت لم تنسها عز ولم تتجاوز الأمر يومًا... أنا أتيت اليوم فقط لأثبت لكِ هذا؛ حتى تبتعد عني تمامًا.

ثم هبت واقفة لتأخذ حقيبتها، فأمسك عز بيدها قائلاً:

-أنا لا أفهم شيئًا.

سحبت يدها بحدة، وهي تقول له:

-أنا أكره الشيكولاتة عز، ولم أكن من عشاقها يومًا، كما أن الياسمين ليس زهرتي المفضلة، أنا أحب زهرة اللافندر.

ثم أكملت بقلبٍ يتمزق:

-يوم مولدي هو التاسع من شهر أغسطس عز، وليس الخامس والعشرين من شهر نوفمبر!

ثم تركته على وقفته المشدوهة وذهبت.

وقف عز ينظر خلفه لا يدري ماذا يحدث معه، للحظة تخيل أنها تخدعه! هل خانته الذاكرة لهذا الحد؟ مستحيل!!

أخرج قسيمة زواجه من محفظته، ليهبط على المقعد بصدمة شديدة، وهو يري تاريخ ميلاد سارة المدون في القسيمة، وهو الخامس والعشرين من شهر نوفمبر!

دخلت زمردة خلفه وهي تلتفت خلفها مرتعبة، ليغلق زيتون الباب الضخم بهدوء، أمسكته زمردة من يده تهدر به:

-أجننت زيتون؟ ماذا تفعل هنا؟

اقترب منها قائلاً:

-استدعيتك فلم تأتي إليّ!

ابتعدت زمردة، لتوقفه بيدها قائلة:

-لقد وعدت بني النعمان ألا نلتقي مرة أخرى حتى نبحث عن حل في ورطتنا هذه .

أبعد يدها من أمامه ليقترب منها، فلم تستطع إبعاده هذه المرة، ليقول لها بطريقته الحميمية التي اعتادت عليها:

-وهل تستطيعين الابتعاد عني زمردة؟!

تنهدت، وهي تنظر لعينيه بألم:

-لا زيتون، لن أبتعد، أنا أقولـ....

لم ينتظر منها أن تكمل، وانقض عليها بقبلة حارقة، فأبعدته زمردة لتلتقط أنفاسها وهي تحذره بغضب:

-كم قلت لك لا تقترب مني زيتون؟ هذا لا يجوز!

أجابها وهو يلهث قائلاً:

-اهدأي حبيبتي لن أفعلها ثانية ولكنني اشتقت إلـ...

قاطعته بغضب:

-لا تتكلم معي الآن، اتركني زيتون ولن نتقابل مرة أخرى حتى نجد حلاً لعلاقتنا.

تنهد بألم ليقول:

-حسنًا زمردة، سأذهب ولن تريني مجددًا.

صكت أسنانها بغيظ دومًا يفعل ما يغضبها، وحين تغضب منه، يهددها بمقاطعتها رضخت له كالعادة وهي تقول:

- حسنًا أعتذر منك زيتون.

أشار برأسه رافضًا، وهو يقول:

-ما زلتِ غاضبة؟!

فاقتربت هي منه لتهمس له:

حسنًا، سامحتك زيتوني.

ابتسم، وهو يقول:

-هذه هي زمردتي الغالية.

لتشهق زمردة بفزع حين انفتح باب غرفتها وظهر والدها، وقبل أن ينطق توقف الملك فجأة وهو ينظر لزيتون الواقف أمامه بجوار زمردة وهو يحبس أنفاسه من الرعب...

بعد أن تناول ثلاثتهم طعام الغداء، شعرت أميرة بالإرهاق الشديد، فوقفت قائلة:

-سأدخل غرفتي لأنام قليلاً؛ فأنا أشعر بالتوعك.

ذهبت روهان إليها لتحدثها بقلقٍ واضح:

-بماذا تشعرين يا أمي؟!

ربتت أميرة على كتفها قائلة:

-لا تقلقي حبيبتي، فأنا لم أنم البارحة جيدًا، سأخلد للنوم الآن، وحين أستيقظ سأكون بخير بإذن الله.

ذهب محمود خلفها قائلاً:

-مؤكد لم تأخذي دواءكِ أميرة، هيا لأعطيه لكِ قبل أن تنامي

دخلت روهان غرفتها وهي تفكر بالأمر، فوجدت نعمان ينتظرها ليسألها بمكر:

-لماذا لم تخبري والدكِ بأمرنا؟ من الممكن أن نجد عنده حلاً لترددكِ هذا!!

تجاهلته روهان، وهي تتمدد على سريرها قائلة:

-ما الذي تهذي به نعمان؟ والدي إن عرف بالأمر سيموت قهرًا عليّ، أرجوك اتركني الآن حتى أستطيع التفكير.

جلس بني النعمان بجوارها، وهو يداعب خصل شعرها قائلاً:

-لم يتبقَ من مهلتكِ سوى يومٍ واحد!

التفتت إليه برأسها، وهي تقول:

-لا تضغط عليّ نعمان أرجوك.. يكفيني والدك!

توقف نعمان عن مداعبة خصلها قائلاً وهو متفاجئ:

-هل كلمكِ والدي؟

أجابته، وهي ساهمة لتقول:

-نعم، لقد تحدث معي.

وقبل أن يتكلم نعمان مرة أخرى، دخل عليها أبوها دون أن يطرق الباب، لتهب روهان جالسه، وهي تقول بارتباكٍ واضح:

-تـ.. تفضل أبي.

ابتسم لها محمود قائلاً:

-كنتِ نائمة؟!

أجابته سريعًا:

-لا لم أنم بعد، أنا كنتـ...

قاطعها محمود:

-كنتِ ماذا؟ جالسة معه؟

جحظت عيناها، وهي تنظر لبني النعمان الذي لم يختفِ بعد، بل ما زال جالسًا كما هو ينظر لوالدها ويبتسم.

حدجته بنظرة زاجرة حتى يغادر، وهي تعلم جيدًا أن والدها لا يراه.

فنظرت لوالدها مرة أخرى قائلة له بكلمات متقطعة:

-من هو أبي؟

اقترب منها والدها، ليشير إلى نعمان بسبابته قائلاً:

-الرجل الذي بجوارك.

انقطع صوتها وأبى لسانها أن يتكلم.

لينظر محمود لبني النعمان قائلاً:

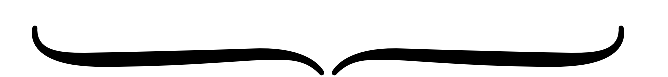
-ما اسمك ولدي؟

فأجابه نعمان بابتسامة قائلاً..

-اسمي بني النعمان، من قبيلة الملك الأبيض، فهو والدي، وعمتي هي فاتنة.

شحب وجه محمود تمامًا، وتوقفت نبضات قلبه وهو يقول:

-هل ما زالت فاتنة على قيد الحياة ؟!



الفصل الثاني عشر



أجابه نعمان قائلاً:

- نعم سيدي، هي ما زالت حية، ولقد قصت عليّ ما حدث معكما.

ليحك رأسه ويضيق عينيه مكملاً:

-منذ ما يقرب من أربعين سنة تقريبًا.

تنهد محمود بقلب موجوع، متجاهلاً روهان التي فغرت فاها وانعقد لسانها.

فأشار إليه بني النعمان، لينظر لروهان.

فوجه محمود نظره لروهان قائلاً:

-ما بكِ روهان؟ أغلقي فمكِ هذا... تظنين أنكِ كنت ترين الجن هكذا من دون سبب؟!

نفضت روهان رأسها، وهي ما زالت لا تصدق أن والدها يجلس معها هو وبني النعمان ويتكلمان سويًا على امرأة من الجان أيضًا!

خرج صوتها عنوة، وهي تقول:

-ماذا يحدث أبي؟ أنا لا أفهم شيئًا! هل كنت ترى الجن طوال حياتك وأخفيت الأمر عني؟

همس نعمان بأذنها:

-هل شعرتِ الآن بالخيانة؟

التفتت إليه بنظرة تحمل ألف معنى، فنظر محمود لنعمان قائلاً:

-أستأذنك بنيّ أن تتركني وابنتي بمفردنا وسأستدعيك لاحقًا.

هز بني النعمان رأسه موافقًا ليقول:

-حسنًا سيدي كما تريد.

وحين اختفى نعمان، نظر محمود لابنته فوجدها بدأت تبكي بصمت، فحذرها قائلاً:

-إن لم تتوقفي عن البكاء، فلن أخبركِ شيئًا روهان.

بدأت تشهق بخفوت، وهي تقول:

-لماذا خبأت عني أبي؟

أدار وجهه إليها قائلاً:

-أنتِ على علاقة بعفريت من الجن وتجرؤين أن تقولي خبأت عنكِ؟ من الذي يستحق العقاب هنا؟

لم تستطع الدفاع عن نفسها، أو حتى الغضب، فآثرت الصمت، ليكمل أبوها وهو يقبل جبينها قائلاً:

-ورغم ذلك سأحكي لك حكايتي.

جففت دموعها سريعًا وهي تتربع، لتنظر إليه بانتباهٍ تام، ابتسم محمود على ابنته التي ما زالت تتصرف كالأطفال حين يقرر أن يقص عليها بعض القصص، فتملأ السعادة وجهها وتوقظ كل حواسها لتبحر معه إلي الماضي..

لفظ بعض التنهدات وهو يتذكر ما حدث، ليبدأ بالقول:

-كنت أبلغ الخامسة من العمر مثلكِ حين رأيتهم لأول مرة، ولكن لم أخبر أحدًا على الإطلاق.. كنت أرتعب وحدي وأنا أنظر إليهم، وهم يأتون من كل حدب في شوارع المدينة، وفي منزلنا، وفي بيت جدي، وحتى في غرفتي..

كانوا يسكنون في كل مكان، ويتجولون في كل بقعة، رأيت جميع طوائفهم وأشكالهم حتى بدأت أعتاد الأمر... وقتها لم يعرف أحد منهم أنني أراهم، كنت أكتم الأمر جيدًا حتى لا يشعروا بي!

قاطعته روهان قائلة:

-وهل بحثت عن سبب رؤيتنا لهم أبي؟!

أشار إليها قائلاً:

-لا تقاطعيني مرة أخرى يا بنت!

ابتسمت له وهي تغلق فمها بيدها.

أكمل محمود قائلاً:

-كانت عادتنا أن نذهب إلى بيت جدنا يوم الجمعة كل العائلة يجب عليها الذهاب. كان ذلك قانون جدي الصارم، في يومٍ ما ذهبنا إليه كعادتنا ولم نجد أحدًا من عائلات أعمامي، فسأل أبي عنهم، ليجيبه جدي:

إنّ كلاً منهم حدث له ظرف مختلف ولم يستطيعوا المجيء اليوم.

جلسنا معه لفتره ليست بقصيرة، وحين كنت ألعب في الحديقة، رأيت منهم فتاة جميلة جدًا لم أرَ مثلها من قبل... تعلقت نظراتي بها لبعض الوقت، حتى أنني توقفت عن اللعب ووقفت أنظر إليها بانشداه، للحظة تخيلت أنها إنسية، ولكن لون شعرها وطوله أكدا لي أنها جنية، بدأت تقترب مني وأنا أقف كالأبله... ثم اختفت على الفور حين ناداني جدي أن أصعد فورًا.

قاطعته روهان متسائلة:

-كم كنت تبلغ من العمر حينها؟!

هز رأسه، وهو يحاول أن يتذكر قائلاً:

-ما يقرب من خمسة عشر سنة تقريبًا.

لتقول بعدها بمرح:

- هيا أكمل يا أبي.

اتكأ محمود برأسه على حافة السرير قائلاً:

- صعدت فورًا لأجد أبي يصافح جدي ويقبّل يده، ويطلب مني فعل ذلك حتى نغادر.. فأوقفه جدي قائلاً:

- اترك محمود معي اليوم ولدي.

اندهشت لطلبه؛ فجدي لم يكن رجلاً مرحًا كنت أظنه قويًا وصلبًا.. لم يكن حانيًا ولا قاسي القلب، ولكنه كان متحفظًا، أو هكذا ظننت!

اعتدلت روهان، لتنام على صدره قائلة:

- وماذا حدث بعد ذلك؟!

أجابها محمود:

- لم يعترض والدي، وتركني وذهب هو وأخي وأمي... وحين انصرف الجميع، طلب جدي من خدمه، الذين كانوا جميعًا من الرجال أن ينصرفوا، وأعطاهم اليوم بأكمله إجازة... على أن يعودوا في الصباح الباكر.

ارتعبت قليلاً مما فعله جدي؛ لأنني ولأول مرة رأيت البيت فارغًا، حتى أن كلمات الخدم المندهشة وصلت مسامعي قائلين:

-ماذا يحدث معه؟ لم يفعلها من قبل!

وردد آخر:

-أنا لم آخذ إجازة منذ ما يقرب من خمس سنوات وقت أن أتيت إلى هنا.

انتفضت حين وجدت جدي يناديني.. ذهبت إليه مسرعًا، فقال لي:

-اتبعني محمود.

لم ينتظر ردًا مني تبعته فوجدته يذهب أمام مكتبته الضخمة التي يضعها في غرفة مستقلة، كنت دومًا أتساءل ما هذه الغرفة العجيبة التي لا يوجد بها سوى مكتبة فقط!

جحظت عيناي، وأنا أرى جدي يحرك بعضًا الكتب من مكانها، فتنفتح المكتبة على مصراعيها.. أخرج جدي من جيبه مفتاحًا، وفتح بابًا خلف المكتبة، وأشار إليّ أن أدخل أمامه.

دخلت الغرفة وجدت بها سريرًا ضخمًا جدًا تحتضن جوانبه ستارة حريرية مرسوم عليها حروف عربيه بطريقة لافتة، تمدد جدي على السرير وقال لي:

-تعال ولدي بجواري.

ذهبت أجلس بجواره، فوجدته يقول لي:

-ارفع قدميك على السرير.

رفعت قدمي وتمددت بجواره، وإذا به يغلق الستائر علينا بإحكامٍ تام... ثم نظر لي قائلاً:

-هل تراهم بني؟

تسمرت للحظة لأسأله:

-أرى من جدي؟

فربت على كتفي قائلاً:

-لا تخف، لن يسمعنا أحد منهم؛ فأنت هنا محصنٌ تمامًا.

ضممت حاجبي تعجبًا، فأضاف وهو يشير للستائر:

-هل ترى هذه النقوش؟

هززت رأسي بنعم، فأجاب:

-هذه تعويذة تحفظنا عن عيونهم، فلا يستطيعون رؤيتنا ولا سماعنا ونحن داخل هذه الستائر.

شعرت روهان بالإثارة، فابتعدت عن والدها جالسة مرة أخرى وهي ترفع حاجبها باندهاش.

ابتسم محمود قائلاً:

-حسنًا، أعرف أنني أثرت فضولك.. سنكمل لاحقًا.

وهب قائمًا، فصرخت روهان وهي تبرق بعينيها قائلة:

- لا أبي أرجوك

ثم أشارت بإصبعها مهددة:

حذارِ أن تقوم من مقامك.

ضحك بشدة على مظهرها وهي تقفز من على السرير، فاعتدل مرة أخرى وهو يقول:

-أريد مقابلاً لأكمل.

أجابته سريعًا:

- اطلب أي شيء.

اقترب منها بملامح جادة قائلاً:

- كنتِ ستذهبين مع نعمان وتتركيني؟

ابتلعت روهان ريقها بصعوبة وهي تنظر لوالدها:

- من أين عرف بالأمر؟

طال صمتها، ومحمود ما زال ينتظر ردها، لتقول روهان:

-لا أعرف أبي، أنا خائفةٌ عليكم.

ظل ينظر إليها، وهو يقول:

- تحبينه؟

ترددت للحظة في إخباره، ولكنها آثرت أن تقول الحقيقة:

-نعم أبي أحبه ولا أعرف ماذا أفعل؟!

ظل ينظر إليها للحظات يعيد شريط ذكرياته مع فاتنة، ليبتعد بعدها قائلاً:

-تريدين مني أن أكمل؟

أشارت إليه بقلب مثقل، وهي تقول:

-نعم.

فتصنع الجدية قائلاً:

-أريدها بحماس.

ابتسمت روهان، وهي تقول بأعلى صوتها:

-نعم.

مد كفه أمامها، فمدّت كفها هي الأخرى ليصفقا سويًا بحركة اعتادت أن تفعلها معه دومًا، أكمل محمود بعد وصلة المرح بينه وبين ابنته...

- طلب مني جدي أن أقص عليه كل ما رأيته من قبل حكيت له كل شيء منذ أول مرة رأيت بها أحدهم وحين انتهيت نظر إليّ قائلاً:

-هل قصصت حكايتك هذه على أي شخص؟

أجبته:

- لا جدي، لم يحدث.

فأكمل سؤاله:

-وهل تكلمت مع أحدٍ منهم؟

أجبته أيضًا بالنفي، فأمسك بيدي قائلاً:

-لأول مرة ترى الفتاة التي رأيتها بالحديقة اليوم؟

اندهشت بشدة أنه رآني ورآها!!

أجبته سريعًا:

-نعم جدي أول مرة أراها.. هل تعرفها؟!

أجابني قائلاً:

-نعم بني، هي مسلمة من قبيلة مسلمة.. ولكن كما اتفقنا، سيبقى الأمر سرًا ولن يعرف أحد شيئًا.. لا إنسٌ ولا جن.

فضولي كاد يقتلني لأعرف كيف يراهم جدي؟ ولماذا أراهم أنا أيضًا؟!

فسألته مباشرة:

- لماذا نراهم أنا وأنت جدي دون باقي العائلة؟ ولماذا تريد أن نُبقي الأمر سرًا؟!

ربت على كتفي، وهو يقول:

- والدي كان ساحرًا عظيمًا ولدي.. كان مؤمنًا موحًدا بالله، ولكنه أخطأ خطأ شنيعًا حين ظن أنه سيدخل عالم الجن وسيخرج منه سالمًا، فضوله كان قويًا جدًا.. لدرجة أنه كان يجلس معهم شهورًا طويلة لا نراه في غرفته كان يأتي إلينا من حين لآخر يطمئن علينا ويذهب إليهم مرة أخرى.. كان يمارس السحر لخدمة الناس.

كما كان يحارب الشياطين والسيئين منهم، وكان قادة الجن المسلم يحبونه جدًا.. حتى أنهم أطلعوه على جميع أسرارهم، ودوّنها هو في كتابٍ احتفظ به عندي، وسوف أهديه لك عند رحيلك.

أثار جدي فضولي بشدة لأسأله:

-وماذا حدث لوالدك جدي؟

فأخبرني بحزن شديد أنه ذهب مع بعض قادة المسلمين في حرب ضد الشياطين ولم يعد من يومها.. وإلى أن بلغت عامي السادس عشر لم أعرف ماذا أصاب أبي!

فأخذت على عاتقي تربية إخوتي وعملت في سن صغيرة، ولغرابة الأمر أنني كنت أُدر الكثير من المال على عائلتي ولم أعرف وقتها ما سبب ذلك!! رغم أنني لم أعمل في مجال يمكنني أن أكسب منه المال الكثير، حتى جاء يومٌ عدت فيه من عملي مرهقًا، فوجدت شابًا جميل المظهر

بغرفتي يخبرني أن والدي قد توفي في الحرب القائمة بينهم وبين الشياطين...

وإكرامًا له دفنوه في مدافن عائلتنا، وسيكافئوننا بالمال ورغد العيش.. وأمرٌ آخر جعل قلبي يهوي؟!

سألته سريعًا:

- ما هو الأمر الآخر جدي؟!!

أجابني بأسى أن والدي طلب منهم أن يصبح لكل فرد قوي وطيب القلب في العائلة ميزة رؤية الجان.. فكل ولد من نسله سيرى الجان، إن كان قويًا وطيب القلب...

١٧٤

يلقون عليه تعويذة منذ مولده تجعله يراهم.. وأنا أول ولد وجدوا فيه ضالتهم، فألقوا عليّ تعويذتهم.

اندهشت بشدة وأنا أسمع هذا الكلام العجيب، فقلت لجدي:

-لماذا فعل والدك ذلك؟!

أجابني، والحزن ما زال يسيطر عليه:

-كان يظن أنه يحمينا بني، هكذا اعتقد!

كان من الواضح على جدي عدم الاقتناع والغضب من وجهة نظر والده التي أفقدته أعز أولاده.

سألته روهان برعب:

-أولاد من يا أبي؟

أجابها، وهو يتذكر حديث جده الذي أبدل حياته رأسًا على عقب:

-عمي يا روهان.

كان أحد أعمامي الذي لم يأتِ على ذكره أحدٌ سوى أبي.. لقد حكى لي أبي يومًا أنه كان له أخ توأم يشبهه تمامًا، ولكنه توفي في سن صغيرة وهو لم يبلغ العشرين عامًا، شعرت روهان أن القادم أسوأ ما في الأمر، فأكمل محمود:

-وقتها سألت جدي ماذا حدث لعمي؟!

فأخبرني أن عمي كان أطيب وأقوى إخوته؛ لهذا اختاره الجان ليراهم حسب وصية والده، ولكن عمي لم يكتم الأمر، بل أشاع أنه يرى الجان ويتحدث معهم كون منهم عدة صداقات، وكان يستمتع بالأمر تمامًا، ولم يلقِ لتحذيرات جدي العديدة بالاً!

بل تطور الأمر معه إلى معاشرة النساء منهم، كان ينزل معهم لأسفل عندما يقيمون الحفلات ويصعد مرة أخرى أخر، وظل هكذا إلى أن تزوج منهم، ثم رأى واحدة أخرى أجمل منها أغوته ليقيم معها علاقة، وحين فعل قتلته زوجته شر قتلة، أو هكذا أخبروه!

ضمت روهان حاجبيها قائلة:

-ما معنى ذلك أبي؟ هل تقصد أنهم كذبوا على جدك؟

شرد محمود للحظة قائلاً:

-نعم روهان، القصة كانت مختلفة تمامًا كما حكتها لي فاتنة.

أسرعت روهان بالقول:

-فاتنة عمة نعمان؟

هز رأسه بالإيجاب ليقول بعدها:

-هي الفتاة التي رأيتها في حديقة جدي.

شعرت روهان أن القصة ما زالت طويلة، فانتظرت ليكمل والدها:

-عدت لبيت أبي في اليوم التالي، ومعي كتاب أسرار الجان الخاص بجدي الأكبر أهداه لي جدي، وأخذ عليّ عهدًا ألا أبوح بسري لأحد، امتثلت لأوامره، وكنت من وقتٍ لآخر أقرأ في كتاب أسرارهم، حتى عرفت كل ما يخصهم..

بعد لقائي الأخير مع جدي بفترة قصيرة توفاه الله حزنت كثيرًا لفراقه، وبعد مرور عدة سنوات... كنا نجتمع مع أعمامي في منزل جدي، فتسللت من ورائهم دون أن يشعروا بغيابي، وقادتني قدماي للغرفة السرية، وحين فتحت بابها، وجدت الستائر مفتوحة على مصراعيها،

وفاتنة تجلس على السرير تنظر إليّ نظراتٍ ذات معنى، ولكني تجاهلتها تمامًا، وخرجت من الغرفة كما دخلت.

بعدها بعدة أيام أتت لغرفتي، كنت أتجاهلها أيضًا لثلاث سنوات كانت تعيش بغرفتي وتنام بجواري كل ليلة، حتى اعتدتها واعتدت وجودها إلى اليوم الذي توفي فيه أبي، انكسر ظهري وشعرت بالتعري، كنت أبكي ليلاً ونهارًا، لثلاث ليالٍ متواصلة لم أغادر غرفتي، وأنا أبكيه وأنتظر منه أن يعود إلَيّ مرة أخرى...

دمعت عينا محمود من الذكرى المؤلمة، فاحتضنته روهان قائلة:

-حفظك الله لنا أبي.

أبعدها برفق وهو يبتسم لها، ليكمل:

- فاتنة كانت تبكي معي طوال الثلاثة أيام، شعرت بقلبي ينقاد إليها، فقررت أن أتكلم معها أشفقت عليها وعلى حزنها لأجلي، فوجئت وأنا أطلب منها أن تكف عن البكاء.... شرد محمود تمامًا وهو يتذكر أول حديثٍ له معها.......

- ما اسمك؟!

توقفت فاتنة، وهي تمسح دموعها سريعًا، وتقترب منه بوجل لتتأكد أنه يحدثها هي.

فأعاد محمود سؤالها:

- ما اسمك يا فتاة؟

أجابته سريعًا:

- أنت تراني؟

ابتسم لها محمود، والحزن ما زال يرسم ملامحه:

- نعم أراكِ.

هاله مظهر الفرح بعينيها ووجهها الذي أصبح منيرًا، فقالت له:

-اسمي فاتنة.

فأجابها محمود بغزل:

-اسم على مسمى.

خجلها جعله يشك للحظة أنها جنية أخرجته روهان من شروده، وهي تلوح بكفها أمام عينيه قائلة:

-أين ذهبت أبي؟

ابتسم لها محمود قائلاً:

-إلى الماضي بنيتي.

قالت له روهان:

-أكمل أبي، ماذا حدث بعد؟!

تنحنح محمود قائلاً:

-من يومها وتعلقت بها.. وهي أيضًا.

ولكني رفضت مكوثها معي بالغرفة، ووافقت هي على الفور قائلة:

-كنت أعيش معك وأنا لا أعرف أنك تراني! لن آتي إلى هنا إلا إن استدعيتني.

فكنت أستدعيها وقت أن أشعر بالملل وأريد أن أتحدث إلى صديقٍ مخلص، وهي كانت طيبة القلب ونقية جدًا.

تفهمت روهان أن والدها لا يريد أن يبوح لها بحبه مع فاتنه لكي لا تنجرح على والدتها..

فاحترمت والدها ولم تسأله، ولكن فضولها جعلها تقول:

-وكيف انتهت علاقتكما؟

ارتبك محمود للحظة ليجيبها:

-علم أخوها الملك بالأمر، وهددها إن قابلتني مرة أخرى، فسيقتلني.

انفجرت روهان بالضحك وهي تقول:

-أخوها هذا لا يملك غير التهديد.

ضم محمود حاجبيه قائلاً:

لا أفهم شيئًا! هل هددكِ أنتِ أيضًا؟

لم ترد روهان أن يتدخل والدها حتى؛ فيؤذيه الملك فقالت له:

-شيءٌ من هذا القبيل.. لا تكترث أبي وأكملْ.

ظل ينظر إليها لعدة ثوانٍ، ثم قال:

-خافت فاتنة عليّ واختفت تمامًا، بعثت لي بمرسال مع إحدى واختفت تمامًا، بعثت لي بمرسال مع إحدى صديقاتها أنها ماتت لئلا أستدعيها مرة أخرى.

تقبلت الأمر رغم عدم منطقيته، ولكنني خفتُ على أمي وإخوتي، فآثرت السلامة، وتركت الأمور كما خلقها الله لنا.

بعدها تعرفت على والدتك كانت زميلتي في الجامعة أحببتها بشدة وتزوجنا فور تخرجنا.

تساءلت روهان:

-لم تقل لي كيف مات عمك؟

أمسكها والدها من وجنتيها قائلاً:

-لا تنسين التفاصيل أبدًا!

ابتسمت وهي تشير إليه بسبابتها يمينًا ويسارًا قائلة:

-أبدًا.

فأجابها:

-قالت لي فاتنة أن من قتله كان رجلاً من الجن وليست زوجته.

أثار فضولها مرة أخرى، لتقول:

-ولماذا قتله؟ ألم تخبرك؟

فقال لها محمود بغموض:

على الأغلب هو جني كان يحب زوجته، وكان يريد أن يتزوجها قبل أن يتزوجها عمي، ولكنها فضلت عمي عليه، فأصابته الغيرة والكبر؛ كيف تفضل عليه إنسيًا؟! فقتله..

هذا ما أخبرتني به، والله أعلم أين هي الحقيقة، سمعوا إغلاق باب الشقة الخارجي، فوقفت روهان قائلة:

-مؤكد دانا عادت.

فأمسك والدها بمعصمها قائلاً :

-تهربين كعادتك؟

نظرت إليه روهان برجاء قائلة:

-أرجوك أبي، لا تضغط عليّ أنت الآخر. اتركوني قليلاً حتى أستطيع أن أتخذ قرارًا صائبًا.

ضيق محمود عينيه بتركيز وهو ينظر إليها ليرى في عين ابنته حيرة وتيهًا جعل قلبه يتمزق لأجلها، ورغم أنه وجد حلاً لمشكلتها، لكنه أراد أن يحترم قرارها ويتركها تختار بملء إرادتها، فقال لها:

-حسنًا روهان، إن احتجتِ مساعدة، فأنا موجودٌ دائمًا.

تنهدت براحة، وهي تقترب منه تحتضنه بقوة، وهي تقول:

-أنا سعيدة جدًا أبي أنك معي وتشعر بي.. لقد خففت الحمل عليّ، وهذا يكفيني حاليًا... أدام الله عزك، وجعلك لي خير سند حبيبي.

ثم قبّلت يديه بعشق وتأثر، وهي تحمد الله على نعمة أبيها.

تركته ما زال جالسًا على سريرها، وذهبت مسرعة لترى دانا وتطمئن على ما حدث معها، حين خرجت روهان من الغرفة استدعى محمود بني النعمان، ثم تمتم بكلمات غير مفهومة وخلال لحظات جاءه نعمان قائلاً:

-هل وجدت حلاً؟

أشار له محمود أن يجلس بجواره قائلاً:

-نعم وجدته، ولكن أولاً أخبرني... هل عمي بخير؟!

أجابه نعمان بثقة:

-هو بخير تمامًا وقد أبلغته رسالتك.

ثم أضاف نعمان باهتمام:

-هل الكتاب معك؟

فأجابه محمود بثقة:

-هو في مكانٍ آمن تمامًا، لا تقلق، وسوف أخبرك ماذا سنفعل بعد.

شهقت روهان، وهي تجلس بصدمة أمام دانا قائلة:

-أنا لا أصدق دانا! ماذا تقولين؟

أجابتها دانا بشرود:

-أقول لكِ إن عز مريض نفسيًا روهان، لقد ذهبت لأحد الأطباء النفسيين الذي أعرفه جيدًا بحكم عملي في شركة الأدوية، وسألته عما فعله عز معي اليوم، وقد أكد لي أنه يعاني من مرض يسمى هيستريا، وأن أحد أسبابه هو أن يتعرض الشخص لصدمة كبيرة، كوفاة شخص عزيز عليه مثلاً!.

ولكن عز حالة نادرة؛ فهو قد أوهم نفسه بأنه تجاوز الأمر، وهو في الحقيقة لم يتجاوزه يومًا، بل ظل حبيس حبه القديم، وحين رآني أشبهها أقنع نفسه بأنه يحبني لذاتي ولكنه انكشف اليوم عند أول مواجهة حقيقه روهان.

أزاحت روهان يدها من على فمها، لتقول وما زالت الدهشة تعتلي ملامحها:

-وما الحل دانا؟ هل هناك علاج لحالته؟

وقفت دانا تبدل ثيابها، وهي تقول:

-أولى مراحل علاجه هو أن يقتنع أنه مريض أولاً.

ظلت روهان تنظر لأختها بإشفاق، وهي لا تعلم سبيلاً لحل معضلتها، انتهت دانا من تبديل ملابسها وجلست على سريرها بإرهاق شديد.

سألتها روهان بخوف:

-ماذا ستفعلين دانا؟

نظرت إليها للحظات قبل أن تقول:

-لن أبتعد عنه روهان.. ولن أخدع نفسي بأنني أستطيع البدء من جديد.

احتضنتها روهان وهي تقول لها:

- حسنًا حبيبتي استريحي الآن، ولكل مشكلة حل بإذن الله.

ثم تركتها روهان تحارب أفكارًا كثيرة راودتها ومشاكل أكثر ستواجهها فيما بعد كما أخبرها الطبيب النفسي دخلت روهان غرفتها شاردة منفصلة عن عالمها، تفكر بكل ما حدث لها اليوم، تمددت على سريرها تشعر بالإنهاك الشديد، أسرار كثيرة انكشفت ومشاكل أكثر ستقابلها، والأكبر من ذلك أن مهلتها قاربت على الانتهاء ولم تعلم إلى الآن كيف سيكون مصيرها غدًا؟!

وبينما هـي شاردة تمامًا، وجدته فوق رأسـها...

انتفضت للحظة قبل أن تقول بغضب:

-أصبحت تتعمد إفزاعي.

اعـتدل نـعمان ليجـلس بـجوارهـا، ثـم أمـسك بـيدهـا يـرفـعها لتجـلس هــي الأخـرى أمـامـه، تـذمـرت روهـان وهــي تـسحب نفسها ولا تريد الجلوس، لتقول:

- أريد أن أنام نعمان، اتركني أرجوك!

لم يستمع لتذمرها وأجبرها أن تعتدل أمامه، فجلست وهـي تتأفف قائلة:

- ماذا تريد الآن؟!!

لم يجبها وهـو يقف على قدميه ويحملها بخفة، حتى وقفت هـي الأخرى، ليهمس لها:

-هيا، فلنرقص سويًا.

جحظت عيناها في ذهول، وهـي تقول:

-أمجنونٌ أنت؟

لم يعرها اهتمامًا، فتركها وذهب ليمسك بهاتفها الموضوع على الطاولة ويشغل عليه بعض الموسيقى الهادئة التي تحتفظ بها وتشغلها حين تريد تصفية ذهنها،

عاد إليها وهي ما زالت على وقفتها المشدوهة مما يفعله...

وضع كلتا يديه على خصرها وأخذ كلتا يديها ليضعها على كتفيه، ثم همس لها بعشق:

-أغمضي عينيكِ حبيبتي واتركي نفسك لي تمامًا.

شعرت روهان بقلبها يهوي أرضًا، وكأنه ألقى عليها تعويذة سحرية جعلتها تفعل ما أمرها به.

أغمضت عينيها، وهي تتمايل معه على نغمات الموسيقى الهادئة لتشعر فجأة بهواء شديد ومنعش يتسلل لمسامها، أقنعت نفسها أنها ترقص مع جني، ولهذا تشعر بأنها تحلق في السماء!

توقفت للحظة لتتأكد أن قدمها لا تلمس الأرض، ضمت حاجبيها، وأصبح قلبها يقرع وهي خائفة من أن تفتح عينيها... بعد عدة ثوانٍ فتحت عينيها ببطء شديد لتتسع بعدها على آخرها، وهي ترى نفسها محلقة في السماء.

كأن الكلمات اختفت ولم تعد تعرف معنى النطق، وهي ترى نفسها تطير بين ذراعيه في مكانٍ ساحر وخيالي!

يرقصان تحت ضوء القمر... مساحة شاسعة بيضاء لا تعلم حقيقة هل هي سحاب أم جليد!! سماء صافية وغريبة لم ترَ مثلها من قبل!

نظرت للقمر الساطع حولها كأنها تستطيع أن تلمسه بيدها، كان حجمه كبيرًا جدًا ومضيئًا بشكل يخطف الأبصار..

نظرت لنعمان بانبهار شديد قائلة:

-ماذا تفعل بي؟

قربها برفق لصدره، ليهمس لها:

-أحلق بكِ بعيدًا عن عالمنا.

ابتلعت ريقها بصعوبة، لتبتعد قليلاً عن أحضانه، نظرت لعينيه لتجده ينظر إليها بعشقٍ خالص، مع إضاءة عينيه البراقة، التي تضاهي جمال ضوء القمر، سألها بصوت متأجج بنار قربها:

-هل تحبيني روهان؟

فلم تتردد للحظة كأنها حررها، لتقول:

-أحبك بجنون.

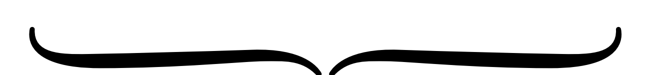
لم يستطع تمالك نفسه، وقبل أن يلتهم اعترافها بشفتيه أصابه الفزع فابتعدت روهان مرتعبةً وهي تقول:

-ماذا حدث نعمان؟

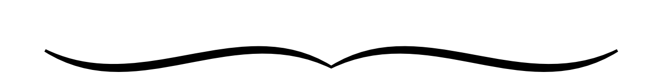
وقبل أن تكمل جملتها كان قد حلق بها عائدًا لغرفتها في أقل من دقيقة واحدة، ليقول لها برعب:

-زمردة في خطر روهان!

ثم تركها واختفى سريعًا.....



الفصل الثالث عشر



دخل بني النعمان سريعًا لقصر الملك، متجاهلاً بعض الحرس المعترض على دخوله من دون إذن الملك ميمون... هاله ما رآه حين دخل غرفة زمردة، ليجدها متمددة على الأرض غارقة في دمائها، ونزيفٌ حاد يخرج من عدة جروح غائرة في جسدها!

رفع نظره سريعًا للرجل الضخم الذي يتعارك مع الحرس، يلكم هذا، ويلتفت سريعًا ليضرب ذلك في بطنه بشراسة.. حتى أنه أصاب اثنين منهم إصابة بالغة...

تدخل بني النعمان بسرعة شديدة، وقيد يديه للخلف وهو يهدر به:

- ماذا فعلت بها؟

ثم بلكمة قوية على وجهه، جعلت زيتون يترنح للحظات، فأصابه الغضب الشديد، وقبل أن يلكمه نعمان مرة أخرى، أمسك زيتون يده بقوة وكاد أن يضربه برجله.. إلى أن توقف الاثنان عند دوي صوتٍ جعلت الغرفة ترتج من حولهم..

وفي أقل من ثانية كان الحرس يقيدون زيتون، وهو يحاول بجنون أن يفك قيده ولكنه لم يستطع.. انحنى نعمان للملك ميمون يحييه، ثم نظر للحرس قائلاً بغضب:

-أين الأطباء؟ أسعفوا زمردة على الفور!

ارتبك للحظة، وهو يرى الملك لم يأذن لهم بالتحرك، فشعر أن هناك قطعة مفقودة، ليتدخل الملك قائلاً بصوت غاضب ومؤلم في نفس الوقت:

-لن يسعفها أحد، أريدها ميتة.

ثم نظر لزيتون قائلاً:

- وخذوا هذا الشيطان وأحرقوه.

انتبه نعمان أخيرًا لما حدث، لقد كُشفت زمردة! هذه الفتاة الغبية سيقتلها حين تفيق.

تحرك بعض الحرس نحو زمردة الفاقدة للوعي، وما زالت تنزف بشدة، وحملوها خارجين بها من الغرفة، متجاهلين زيتون الذي يزأر بقوة خلفهم، وهو يهدر بالقول:

- أسعفوها واقتلوني أنا، ليس لها ذنب.. أنا من أتيت هنا وهي لا تعلم، أقسم لكم لا تعلم بمجيئي.

ابتلع نعمان ريقه بصعوبة، وقد توقف عقله عن التفكير... زمردة بريئة لم تخلف وعدها معي. بسرعةٍ كالبرق أوقف الحرس قائلاً:

- توقفوا .

ضم الملك حاجبيه، ليهدر بصوت جهوري:

- ماذا تفعل بني النعمان؟

وقف في وجهه، لأول مرة يعصي أوامر الملك، ولكنه يجب أن يجازف من أجل زمردة.

-أريد أن أتكلم معك على انفراد سيدي، وأرجو منك أن تؤجل حكمك لحين انتهاء محادثتنا.

نظر له الملك بتمعن قائلاً:

-أنت تعرف جيدًا أن حكمي نافذ، وأنني لم أتراجع يومًا في حكمٍ أصدرته بني النعمان!

اقترب منه نعمان يترجاه بالقول:

-أرجوك سيدي، اسمعني لدقائق معدودة وبعدها افعل ما شئت، لن أتدخل أبدًا.

التفتت الملك وبصوته الجهوري قال:

-اتبعني لغرفتي...

ثم أضاف قائلاً للحراس:

-توقفوا مكانكم لبضع دقائق.

كان بني النعمان يعلم أن جميع ملوك الجان السبعة يحبونه بشدة وله عندهم مكانة خاصة،

فحاول استغلال الأمر لأجل فتاته المجنونة.

جلس الملك على مقعده، وأشار لنعمان أن يجلس أمامه قائلاً:

-إن لم يكن حديثك ذا أهمية، فسأعاقبك عقابًا شديدًا.

تنهد بني النعمان وهو يقول:

-أنا من دفعت زمردة لتجعل هذا الشيطان يحبها سيدي.

وقف الملك بحدة وهو يضرب الأرض بعصاه، حتى اهتزت الثريا المعلقة في الغرفة وكادت أن تقع فوق رؤوسهم!

وقف بني النعمان أمامه قائلاً:

-أحتاجه بشدة في حربنا معهم سيدي... أعرف أنني أخطأت وورطتها بالأمر، ولكنني لم أجد أخلص منها، ولا أثق بأحد آخر؛ فهي أختي وصديقتي وأنت تعلم هذا.

لم تهدأ عين الملك التي اشتعلت بالنيران، وهو يقول:

-هل تعرف عقاب ما فعلته بني النعمان؟

أجابه وهو يطأطئ رأسه:

-سأرضى بحكمك سيدي، ولكن بعد أن أكمل حديثي.

نظر له الملك بعينين شبه مغلقتين قائلاً:

- لماذا أشعر أنك تخدعني لتنقذ زمردة؟

كان يعرف تمامًا كيف يجعلهم جميعًا يخضعون له،

ولكن اليوم الأمر مختلف وخطير؛ لذلك لم يهتز نعمان وهو يقول:

-لا أجرؤ على فعلها سيدي.

جلس الملك مرة أخرى، وهو يقول:

-أكمل بني النعمان.

أكمل نعمان، وهو يحاول ترتيب أفكاره سريعًا؛ لئلا يشعر الملك بخداعه:

-لقد رأى زمردة ونحن في حفل زفاف أخت الملك برقان.. حاول بعدها أن يتحدث معها فصدته زمردة بشدة، بل وصفعته على وجهه، وحكت لي بعدها ما فعله هذا الشيطان وكيف تسلل لملكتنا من أجل أن يتحدث معها، وطلبت مني أن أتصدى له، ولكني قبل أن أواجهه تقصيت عنه جيدًا؛ فعرفت أنه من أحد أقوياء الشياطين،

وأنه ولد من أولاد عزازيل... وأنت تعرفه جيدًا... لم يتكلم الملك ميمون، فأكمل نعمان بثقة:

-اتفقت مع زمردة أن توافق على مقابلته لنحصل منه على بعض المعلومات، ولكن ما حدث فاق كل توقعاتنا.

انتبه له الملك تمامًا، فأكمل نعمان قائلاً:

-لقد أحبها بجنون.. حتى أنه وعدها أن يشهر إسلامه ليتزوجها.

أشار له الملك أن يتوقف عن استرساله، ليقول له بنبرة عتاب:

-وهل كنت تعلم كل ذلك ولم تخبرني؟

وضع نعمان كفه على صدره قائلاً:

-أقسم لك سيدي أنني لم أعرف هذا الحديث سوى اليوم، ومجيئي الآن لم يكن إلا لأخبرك بهذا الأمر.

ظل ينظر لعينيه لبضع ثوانٍ، ثم قال له:

-حسنًا بني النعمان.. ماذا تريد بعد؟

اقترب منه نعمان بمقعده قائلاً:

-أريد أولاً أن تعالج جراح زمردة؛ فهي لم تفعل شيئًا خاطئًا.

ثانيًا:

- أن تترك زيتون لي لأستجوبه وآخذ منه بعض المعلومات، وأن يصبح تحت تصرفي، وأعدك ألا أخلف ظنك أبدًا سيدي.

اعتدل الملك في جلسته قائلاً:

-وماذا ستعطيه في المقابل بني النعمان؟!

فكر لثوانٍ؛ حتى لا يغضب الملك، ولكنه قال بثبات:

- بعد انتهاء الحرب يشهر إسلامه، وتزوجه أنت زمردة كمكافأة له على مساعدتنا.

ابتسم الملك قائلاً:

-كنت أعرف أنك ستقول ذلك.

انتظر نعمان حتى يخرج الملك ما في جعبته، ليكمل ميمون:

-وهل تضمن موافقة زمردة؟

علم أنه يحاصره بذكاء حتى يوقعه، ولكنه أبدًا لن يقع، فأجابه نعمان:

-سأحاول إقناعها كما أقنعتها من قبل أن توافق على مقابلته.

أيقن الملك ميمون أنه مع بني النعمان سيدور في دائرة مفرغة ولن يطلع على حقيقة يريد نعمان إخفاءها، فوقف الملك قائلاً:

-حسنًا، سأعفو عنهما.

فوقف أمامه بني النعمان وهو يتنهد براحة، حتى قال الملك:

- وسأعاقبك أنت على ما فعلته بابنتي.

نعمان برأسه...

-افعل بي ما تريد سيدي.

التفت الملك ليخرج من غرفته، وهو يبتسم من هذا الشاب الذي جعله ولأول مرة في حياته يرجع في حكم أصدره.. تبعه نعمان وهو يحمد الله أن الملك لم يكشف خداعه، جلس الملك على مقعده في ساحته الكبيرة وأصدر قرارًا بعلاج زمردة على الفور وتسليم المدعو زيتون لبني النعمان، امتثل الحراس للأمر، وأخذ بني النعمان زيتون وذهبوا سويًا لمكانٍ بعيد.

جلس الاثنان يتطلعان إلى بعضهما للحظات، ثم بدأ بني النعمان حديثه:

-هل تعلم أنني خاطرت بحياتي اليوم من أجلك أنت وفتاتي الغبية؟

أجابه زيتون بامتنان:

-أشكرك على ما فعلته لأجلنا، وأدين لك بأي شيء تطلبه.

اقترب منه نعمان يتفحصه قائلاً:

-تحبها إلى أي مدى؟

لم تحد عين زيتون عن نعمان وهو يقول:

-سأتخلى عن أهلي وديني وحياتي السابقة من أجلها، وأفعل ما تطلبه مني، وأنا أعلم جيدًا أنك أنقذتني لغرض ما، وأنا مستعدٌ لمساعدتك في أي شيء.

نظر بني النعمان لحجمه الضخم وجسده الفارع قائلاً:

-أنت مخطئ زيتون، فأنا أنقذتك أولاً لأجل زمردة التي تعني لي الكثير، وثانيًا أريد منك أن تثبت ولاءك لأطمئن عليها معك.

فقال له زيتون متسائلاً:

-وكيف أثبت لك ولائي؟

حاول نعمان قراءة أفكاره وهو بارعٌ في ذلك، لم يخطئ يومًا في قراءة أحد، وهذا الشيطان صادقٌ فيما يقول... ولكن ورغم كل شيء، يجب أن يأخذ حذره فقال له نعمان:

- مؤكد أنت في صفوف المحاربين من سلالة عزازيل.

هز زيتون رأسه:

-بل أنا قائد كتيبة قتل العفاريت من الجن.

ضم نعمان حاجبيه بصدمة، ليقول له زيتون:

-ألم يخبرك جاسوسك بذلك؟

ابتسم نعمان قائلاً:

- حقيقة لم يخبرنِ بذلك.. هل أخفاه عمدًا أم أخطأ! في كلتا الحالتين سيُعاقب.

رفع زيتون كفه قائلاً:

-لا تعاقب أحدًا، فهو لم يكن ليعرف على أي حال، حتى لو كان من سلالة الشياطين، فمهمتي إخفاء الأمر، حتى عن الشياطين مثلنا، ولا يعرف بأمري سوى قادتنا الكبراء.

شك نعمان للحظة أنه يكذب ولكنه يعرف الكذب ويشمه على مسافة أميال... احتار في أمره قليلاً حتى قال زيتون:

- أعرف جيدًا أنه يصعب عليك تصديقي، ولكني سأقول لكَ أنني حتى اليوم لم أعرف أني أحبها بهذا الشكل، رؤيتها تُعذب أمامي وأنا مكبل اليدين جعلتني أشعر بالموت البطيء بضربات سوط تجلدني وتمزق جسدي، صدقني بني النعمان أنا مستعدٌ لفعل أي شيء من أجلها.

فكر نعمان قليلاً، ثم قال له:

-حسنًا زيتون، سأصدقك وأراهن عليك أمام ملوكي، ولكن إن خذلتني أو أو خذلتها فلن أكتفي بموتك أو حرقك كما كان الملك ميمون سيفعل بك.

هز زيتون رأسه موافقًا، فأكمل نعمان:

- قبل أي شيء تعلن إسلامك، وقبل أن تسلم ستجلس مع كبار حكمائنا ليعرّفوك بدينك الجديد؛ حتى تؤمن عن اقتناع وليس لمجرد حبك لزمردة.

أجابه زيتون بثقة:

-وأنا مستعدٌ من الآن.

وقف بني النعمان ليذهب به عند أحد حكماء الدين، فأوقفه زيتون قائلاً بحزن شديد:

-أرجوك بني النعمان أريد أولاً أن أطمئن عليها؛ لقد كانت تنزف بشدة.

ربت نعمان على كتفه قائلاً:

-صدقني هي بخير لا تقلق عليها، وسأجعلك تراها قريبًا.

ليرفع بعدها إصبعه قائلاً:

- ولكن كن عند حسن ظني أولاً.

تحركا سويًا إلى المسجد الكبير المقام وسط السبع ممالك كلها... مسجد ضخم جدًا على مساحة شاسعة تمتد على طول البصر، به أكثر من مائة مأذنة ومصنوع من الذهب الخالص.

انبهر زيتون برؤية هذا الصرح الضخم، فظل ينظر إليه مشدوهًا، فابتسم بني النعمان قائلاً:

- سيعجبك أكثر من الداخل.

حين وصل نعمان لأحد أبواب المسجد، سأل أحد الخدام عن «أبي يزيد الحكيم» أجابه الرجل وهو ينظر لزيتون باستغراب قائلاً:

-فيمَ تريده بني النعمان؟!

أجابه نعمان بقولٍ آمر:

-أمرٌ مهم، أخبره الآن أنني أريده.

ذهب الرجل، وهو يضرب كفًا بكف.. كيف لنعمان أن يأتي بأحد الشياطين للمسجد؟

أخبر كهيال أبا اليزيد الحكيم، وهو غاضبٌ بشدة.

ابتسم الحكيم للخادم قائلاً:

-لقد جاءنا تائبًا كهيال، وأبواب الملك الغفار لا تُغلق أبدًا، فكيف تريد منا أن نغلق باب التوبة أمامه؟ اذهب إليه ولدي وقل له أن يغتسل ويتوضأ ثم ليأتي إليّ.

أخبرهم الخادم كهيال بما قاله الحكيم، فأخذه نعمان لبيته وأدخله غرفته وعلمه كيفية الوضوء، فعل زيتون ما أخبره به نعمان وهو يشعر براحة وأمان، وحين انتهى أخذه إلى الحكيم مرة أخرى.

دخل الاثنان على أبي اليزيد وألقوا عليه السلام، ليرد عليهم وهو يبتسم ببشاشة وجهه قائلاً:

- تفضل بني النعمان وأجلس ضيفك.

جلس نعمان وأشار لزيتون أن يجلس بجواره على الأرض تكلم نعمان:

- زيتون أحد أبناء عزازيل، وقد قرر أن يدخل الإسلام حتى يتزوج زمردة بنت الملك ميمون.. ولكني رفضت أن يسلم للزواج فقط، فأردته أن يعلم بدينه أولاً حتى يؤمن عن اقتناع.

ابتسم له الحكيم قائلاً:

- خيرًا فعلت بنيّ، ولكنني لا أريد أن يعرف والده بإسلامه حتى لا يقتله، وأنت تعرف البقية.

زيتون هو من تكلم.

- لا تقلق سيدي، فأنا حريص على سلامتكم أولاً، وأتبع خطة ستجعلني أخرج من أرضهم بسلام.

اطمأن له الحكيم...

-حسنًا بنيّ سأخبرك الآن بديننا السمح ورسولنا الكريم.

وقف بني النعمان قائلاً:

-سأذهب أنا سيدي، وحين تنتهي زيتون، لاقيني غدًا في منزلي.

تغير وجه زيتون وانقلب برعب ليقف سريعًا ممسكًا يد نعمان، وهو يقول بذعر:

-سيؤذون روهان.

انقبض قلب بني النعمان وهو ينظر إليه ببلاهة لا يفهم شيء صرخ به زيتون، وهو يقول:

-الحق بها الآن سريعًا.

لم يكمل صراخه حتى اختفي نعمان، ليصل لغرفتها في طرفة عين.. فوجد والدها يصرخ في غرفتها بقهر وحسرة شديدتين.

-لقد خطفوها نعمان!

دخلت دانا مسرعة تتخبط على صراخ والدها وبعدها أميرة وهما تقفان لا تفهمانِ شيئًا وتنظران في جوانب الغرفة بحثًا عن روهان ...

وفـي لحظة واحـدة اختفي محمود أيضًا مـن أمـامـهم؛ لتقع بعدها أميرة مغشيًا عليها، وتقف دانا فاقدة للنطق مذهولة لما يحدث وكأن عز استمع لقلبها النازف، انتفضت بارتعاب حـين سـمعت رنـين هـاتـفها، وكـأنـها كـانـت فـي غـيبوبـة واستيقظت للتو، ففتحت الـهاتـف وصـرخـت بـأعلى صـوتـها حتى ارتجت جدران الشقة..

-أغثني عز.

وفـي أقل مـن عشـر دقـائـق جـاء عـز إليها ليجد بـعضًا مـن الـجيران اجـتمعوا إثـر صـراخ دانـا، الـتف بـعضـهم حـول والدتها التي ما زالت مغشيًا عليها، وسيدة تعدت الخمسين تـمسك بـأمـيرة وتـضـع بـعض المـاء الـبارد عـلى وجـهها وهـي تسمي الله....

ودانـا تـبكي بهسـتيريـا، وتـقول كـلماتٍ غـير مـفهومـة، مـلتفًا حولها بعض النسوة الباقين، اقترب عز برعب من السيدة التي تحاول أن توقظ أميرة قائلاً:

-عطرٌ نفاذ سيدتـي، أو مـادة النشادر ستجعلها تفيق على الفور.

ثم اتجه لدانا جالسًا على ركبتيه أمامها قائلاً..

-اهدأي دانا، ماذا حدث لكم؟ وأين والدكِ وروهان؟!

توقفت حين سمعت صوته لتنظر إليه ووجهها ملطخ بدموعٍ ما زالت تنهمر وهي لا تفهم أين اختفت روهان، وبعدها والدًها من أمام عينيها..

ظلت تلهث لثوانٍ، وهو يقاوم احتضانها وهي تشهق هكذا، لتقول أخيرًا:

-لا أعلم أين ذهبوا!

بعد أن أخذه نعمان إلى الغرفة السرية في بيت جده القديم، أسدل الستائر سريعًا، ومحمود ما زال تحت تأثير الصدمة وما زال يتمتم بكلمات غير مفهومة، جلس نعمان أمامه، وهو يحاول التماسك حتى يعرف من أخذ روهان ولماذا أخذها؟

تكلم بعدها نعمان بصعوبة قائلاً:

-احكِ لي سريعًا ماذا حدث؟

ابتلع محمود ريقه بصعوبة، وهو يقول:

-أخذوها من أمام عيني.

صك نعمان أسنانه بقوة وهو يتوعد من تجرأ على لمسها بأشد العذاب، صدم السرير بكل قوته حتى كاد أن يحطمه قائلاً:

-ماذا يريدون؟

أجابه محمود وهو ما زال في صدمته:

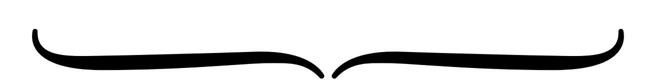
-الكتاب.

جحظت عينا نعمان برعب قائلاً:

- ولمَ لم تعطه لهم حتى يتركوها؟

نظر محمود لنعمان وقلبه يكاد ينفطر على ابنته، ليقول بعدها بألم:

-هو معهم بالفعل، ولكنهم لا يعرفون.



الفصل الرابع عشر



هدر به نعمان بغضب:

-ماذا فعلت بها؟

نظر له محمود وهو تائه:

-كنت أحميها.

توقف بني النعمان قليلاً وهو يشعر بالتخبط ثم أغمض عينيه وللحظة تخيل أن أحدهم مسها بسوء، فانتفض بفزع وغضب لم يشعر به من قبل، حتى شعر محمود بالرعب من مظهره؛ لقد تحول لمارد غاضب لن يهدأ إلا إن وجدها ومزق كل من سولت له نفسه أن يؤذيها أو يمسها بسوء.

تكلم محمود والخوف يسيطر عليه قائلاً:

-أريد رؤية عمي وابنته فاتنة.

نظر إليه بني النعمان وما زال الغضب يسيطر على كل حواسه، ليصرخ به محمود قائلاً:

-الآن نعمان.

أخذه نعمان في أقل من ثانية إلى قصر أبيه وحين وصل إلى القصر صرخ بأعلى صوت:

-يا قوم اجتمعوا.

سمعته المملكة بأكملها، فبدأوا يهرولون إليه من كل حدب وصوب حتى اجتمعوا بأعداد مهولة البعض ينظر إليه بغرابة، والبعض الآخر بغضب من اصطحابه إنسيًا لمملكتهم، حضر الملك الأبيض فتنحى الجميع ووقفوا صفًا واحد احترامًا وإجلالاً له.

تخطاهم الملك ليجلس على كرسيه ينظر لبني النعمان الغاضب بإشفاق وهو يعلم ما حدث، تكلم بني النعمان وهو ينظر لوالده بصوت قاتل من الحزن:

-أين ذهبوا بها أبي؟

يعرف الملك أن نعمان لا يناديه أبي إلا إذا وقع بمأزق واحتار بأمره، تجاهله الملك وهو ينظر لمحمود الواقف بجوار نعمان يرتجف من رؤيته ولكنه يحاول الثبات، فقال له الملك:

-أجلس الضيف أولاً نعمان.

أشار له بني النعمان أن يجلس فامتثل محمود للأمر وذهب بخطوات متثاقلة حتى المقعد، بعد أن جلس محمود تكلم الملك بصوت حاد ومباشر.

-أعرفكم على هذا الإنسي.

انتبه الجميع وهم ينظرون لمحمود فأكمل الملك الأبيض قائلاً:

-هو يكون من العائلة الملكة؛ فعمه حافظ هو زوج والدتي ووالد أختي فاتنة.

تحت نظرات الاستغراب من جموع الحاضرين، أكمل الملك قائلاً:

-وابنته روهان حين تعود ستصبح زوجة ولدي بني النعمان.

بدأ الجميع يتذمرون، والبعض منهم يهمس قائلاً:

-لقد تخطينا وجود عمه بصعوبة بيننا، سيأتي بإنسية أخرى؟

طرق الملك بعصاه، وهو يقول بصوت مرتفع آمر:

-هدوء.

توقف الجميع عن الهمس إلا عن فتاة تقف وسط الجموع تنظر لبني النعمان بغضب مختلط بحزن دفين.. اقتربت منها فتاة تقف بجانبها تهمس لها بسعادة:

-سمعتي روزا؟ سيتزوج حبيبك إنسية!

التفتت إليها روزا بعينين شديدتي الحمرة، لتقترب منها بفحيح أفعى قائلة:

-لن يحدث إلا على جثماني يا فتاة!

التفتت مرة أخرى لبني النعمان تنظر إليه نظرة خاطفة،قبل أن تزيح الفتاة من أمامها وتنسحب بهدوء من القاعة، وهي تقول:

-تتحداني بني النعمان؟ حسنًا، وأنا قبلت التحدي! سنرى كيف تحميها مني؟

أشار الملك لأحد الحرس قائلاً:

-خذ سيد محمود واذهب به إلى سيد حافظ واستدعِ والدتي وفاتنة كي يقابلونا في غرفة الاجتماعات السرية.

فعل الحارس ما أمره به سيده، وذهب محمود وهو مطأطئ الرأس حزين على ما فعله بابنته.

وقف الملك الأبيض قائلاً:

- روهان ابنة محمود اختطفت من إحدى قبائل الشياطين، والسبب هو حمايتنا وفوزنا في الحرب القادمة.

بدأوا ينظرون لبعضهم بعدم فهم فهم انتبهوا جميعًا للملك، وهو يقول:

-يريدون كتاب أسرار الجن ليعرفوا به نقاط ضعفنا، وأنتم تعلمون جيدًا أنهم إن حصلوا عليه سيقومون بإبادتنا جميعًا.. أعدوا عدتكم للحرب الآن من بني النعمان، ولا تعودوا إلا والإنسية معكم.. أمامكم أقل من نصف ساعة..

نظر إليه نعمان بغضبٍ قائلًا:

-لن أنتظر نصف دقيقة، سأذهب الآن.

أوقفه الملك بيده، ثم أشار للبقية قائلاً:

-هيا اذهبوا وتجهزوا للحرب سريعًا.

امتثل الجميع للأمر، وبدأوا في الانتشار كلٌ إلى موقعه.

نزل الملك من كرسيه ليتخطى نعمان الذي ما زال يقف غاضبًا، فأشار له الملك أن يلحق به في غرفة الاجتماعات السرية،

اختفى الملك في لمح البصر وتبعه نعمان إلى الغرفة.

وجد نعمان عمته فاتنة، وجدته والدة الملك، وبجوارها عم محمود «السيد حافظ» وزوج الملكة الأم، وقف محمود بجوار حافظ الذي ما زال يضع يده على كتفه ويربت عليه ليطمئنه، ألقى الملك الأبيض عليهم السلام .. أول من تحدثت هي فاتنة لتقول:

-ماذا حدث لروهان أيها الملك؟

جلس الملك على المقعد الرئيسي للطاولة وأشار للجميع أن يجلسوا.

تفحص بعينيه الحيطان الملقى عليها تعويذة؛ تمنع أي جني خارج الغرفة أن يسمع ما يجري بداخلها، انتهي من فحصها ثم نظر لفاتنة قائلاً:

- جماعة عزازيل هم من خطفوها.

وقف نعمان بحدة ليقول:

-سأقتلهم جميعًا بيدي هذه، وأقسم بالله أن من تجرأ على فعل ذلك سأمزقه لأشلاء، ثم سأحرقه في أخدود سأصنعه من الآن لهم جميعًا.

أوقفه الملك وهو يقول بغضب:

-اجلس بني النعمان واهدأ حتى أنتهي من حديثي وبعدها افعل ما شئت.

ولأول مرة لم يخضع لأوامره قائلاً بصوت يمزق القلب:

-لن أستطيع الجلوس للحظة واحدة أبي وأنا أتخيل أنهم يؤذونها.

تراجع الملك، وهو يشفق عليه وعلى محمود الذي بدأ يبكي بكاءً مريرًا على ابنته.. وفاتنة تشد من أزره على جانب، وفي الجانب الآخر يقف عمه حافظ يحاول تهدئته، وبجوار الملك والدته التي تعلم جيدًا أن ولدها يحاول إنقاذ المملكة، وقبلها ولده العزيز نعمان.

تنهد الملك بأسى قائلاً:

-اجلس بني أرجوك واطمئن لن يستطيعوا إيذاءها.

ضم نعمان حاجبيه وهو يجلس معتقدًا أن والده يقول ذلك لتهدئته ولكنه أبدًا لن يهدأ إلا وهي في أحضانه.

فسأله بنبرة شك:

-لماذا لن يستطيعوا إيذاءها؟! ما الذي يمنعهم أبي!

انتبه الجميع للملك وعلقوا أبصارهم به، فأجابه الملك:

-روهان تحمل الكتاب بداخلها بني، وتعاويذه ستحميها ولن يستطيعوا إيذاءها؛ لذلك لم تستطع أنت الاقتراب منها.

التفت نعمان لمحمود بغضب شديد قائلاً..

-لهذا أخبرتني أن الكتاب معهم وهم لا يعرفون؟!

هز محمود رأسه وهو يجفف دموعه قائلاً:

-نعم بني، ولكنهم إن عرفوا بالأمر فسيقتلونها ببساطة، طعنة واحدة في قلبها وينتهي الأمر.

انتفض بني النعمان، وهو يقترب من محمود ممسكًا بياقة قميصه هادرًا به:

-ولماذا فعلت ذلك؟

أبعد محمود يد نعمان، وهو يقول بحرقة ومرارة:

-كنت أحميها منكم جميعًا.. كانت تتعذب وينالها الأذى من كل فردٍ من الجان.. تارة كان أحدهم يجلدها لتقوم من نومها تنزف من كل موضع في جسمها، وتارة أخرى كانوا يجعلونها لا تنام، فتظل تدور بالبيت هائمة على وجهها لا تعلم كم من الوقت مر عليها وهي مستيقظة...حتى في يوم من الأيام فزعنا من صراخها المدوي، فركضنا نحوها لنجدها لنجدها تمسك بإحدى المشارط الحادة!

توقف محمود وهو يلهث من الذكرى، ليكمل بصوت موجع:

- كانت ستقتل نفسها لتتخلص من العذاب.

حتى أنهم بدأوا في إيذائنا جميعًا... فلم يكن أمامي حلاً إلا أن أحمي ابنتي، بعد أن أصبحت ضحية للدجالين والمتسلقين والباحثين عن الشهرة والمال.

جلس نعمان على مقعده يشعر بوخز شديد في قلبه الذي تمزق للتو، وهو يستمع إلى محمود قائلاً بهمس يقطع نياط القلب:

-يا إلهي! كم تعذبت حبيبتي!

جلس حافظ محمود على مقعده هو الآخر قائلاً:

-اهدؤوا حتى نجد حلاً، وسنجده إن شاء الله .

مسحت فاتنة عبرة سقطت على وجنتها من التأثر لتقول بعدها:

-ماذا فعلت محمود احكي لنا حتى نستطيع إيجاد حل.

أجابها محمود بصوتٍ واهن:

-بعد حادثة محاولة انتحارها بأيام قليلة.. أخذت إجازة من عملي وذهبت لبيت جدي جلست على السرير المحصن وبدأت في دراسة كل حرف من الكتاب؛ لعلي أجد فيه حلاً لابنتي، حتى خرجت بعد عدة أيام بتعويذة أستطيع بها إدراج الكتاب بداخل روهان؛ حتى لا يستطيع إنسٌ ولا جن إيذاءها بعد ذلك.

وتوصلت لها أخيرًا وجربتها على بعض أشياء، حتى أنني أدرجت الكتاب بداخل ورقة من المال ألقيت عليها التعويذة، فاختفى داخل الورقة دون وجود أثر خلفه، توقفت لبضع ساعات أحاول إخراج الكتاب من الورقة بتعويذة مضادة، فلم أستطع إلى أن وجدت أنني إن عكستها، سيخرج الكتاب من مكانه مرة أخرى.

تساءلت جدة نعمان:

-هل يعرف أحد بهذه التعويذة غيرك؟

أجابها محمود بتأكيد:

-أبدًا سيدتي، لا يعرف أحد بها، حتى أنني ألقيتها على روهان في السرير المحصن بغرفة جدي، وهناك لن يستطيع أحد سماعنا، لا إنس ولاجن.

قالت الجدة:

-الحمد لله بني، خيرٌ ما فعلت.

زفر نعمان بقوة، وهو يقول:

-لم يجد أحدكم لي حلاً حتى الآن.

تكلم حافظ:

-اهدأ بني.. الحل واضح وضوح الشمس لو حاول الشياطين أذيتها فلن يستطيعوا، ووقتها سيعرفون السبب على الفور؛ فهم ليسوا جهلاء لهذا الحد، وخصوصًا سيدهم.

ثم أشار للملك الأبيض قائلاً:

-وأنت تعرف ذلك جيدًا، الحل الآن هو أن نهجم على موقعهم الذي يخبؤون به روهان ونسترجعها على الفور بأي ثمن.

وقف بني النعمان سريعًا ليقول:

-حسنًا، سآخذ فريقًا من المحاربين الأشداء لاسترجاعها، وأنت يا أبي أبلغ الملك ميمون ليعد عدته وينضم إلينا هو والمملكة الحمراء لنغير عليهم الآن.

نظر الملك الأبيض لوالدته قبل أن يقول:

-لن نستطيع الحرب من دون الكتاب نعمان!

توقف نعمان، لينظر لأبيه بصدمة ويقول:

- أكنت تعلم أن الكتاب بداخلها من قبل؟ لهذا وافقت على زواجي بها بكل بساطة، بل وهددتها أن توافق أيضًا!

تبادل الملك الأبيض نظرات حادة مع نعمان، ليردها له نعمان بخيبة أمل، حتى تكلمت الملكة الأم لتنهي هذا الخلاف قائلة:

-والدك يبحث عن مصلحة الجميع بني، ووجود روهان هنا في المملكة أمرٌ لابد منه حتى نحافظ على ممالكنا السبع... ولقد رأيت مجرد تأخير الأمر كيف أوقعنا بورطة كبيرة!

تسلطت أعينهم جميعًا على الملكة وولدها بصدمة كبرى كلٌ منهم يفكر بطريقة مختلفة عن الآخر.

محمود هو من قطع صمتهم ليقول:

- وضعت الكتاب بداخلها لأحميها منكم، وأنتم جميعًا خططتم للاستيلاء عليها؟

تبعته فاتنة قائلة بألم:

-وافقتم بزواج بني النعمان من إنسين لمصلحتكم رغم رفضكم التام لزواجي من محمود الذي هو ابن عمي، وأنتم تعلمون جميعًا كم تعذبت لفراقه وما زلت أتعذب! ألهذا الحد أنتم بلا قلب؟

ابتلع بني النعمان ريقه وهو يحاول استيعاب ما يقولون ليتكلم بعدها بتشتت ويقول:

- هل دفعتني لأقترب منها لهذا السبب؟

ضرب الملك الأبيض الطاولة بقوة، وهو يقول:

-كلٌ منكم أصبح ضحية الآن، وأنا أصبحت الجاني عليكم جميعًا؟

وجه نظره لمحمود قائلاً:

-أنت أردت حمايتها من الشياطين محمود، وليس منا نحن، معشر الجن المسلمين لا نؤذي أحدًا، وأنت تعرف ذلك جيدًا.

ثم أشار لفاتنة قائلاً:

-وأنتِ أختي الغالية، لقد ابتعدتِ عنه بإرادتك وليس إجبارًا منا.

تكلم محمود بحدة قائلاً:

-ولكنك هددتني لأبتعد؟

-هددتك في بادئ الأمر، ولو وجدت إصرارًا من ناحيتها لكنت انسحبت على الفور.. فلماذا أعترض أنا وأمي متزوجة من عمك وهي ابنة عمك الوحيدة؟!

التفت محمود لفاتنة لينظر لها بألم فأوقفه عن استرساله قول الملك لبني النعمان:

-وأنت أيها الغاضب، أنا لم أرغمك على شيء.. أنت أحببتها، أليس كذلك؟ أم أنني أكرهتها عليك؟

أوقفهم محمود قائلاً:

-أرجعوا إليّ ابنتي أرجوكم، وسأخرج منها الكتاب وأسلمه لكم.... ودعونا نذهب بعيدًا عنكم ونعيش حياتنا بسلام.

التفتت نعمان مع جملته الأخيرة، ليقترب منه بعينين تضيئان غضبًا:

-روهان زوجتي، شئت أم أبيت، سأعود بها لتخرج منها الكتاب الذي وللعلم لا يخصني ولا يهمني بأي شيء غير أنه لم يتسبب سوى بأذيتها، وبعدها سنذهب أنا وهي بمفردنا بعيدًا عنكم جميعًا.

قال جملته الأخيرة وهو يشدد على كل حرف ليتدخل الملك..

-تعود روهان أولاً، وما تريده الفتاة سيُنفذ... لا أنت ولا أبوها سيحكم عليها... انتهى الحديث إلى هنا.

رفع محمود يده قائلاً..

-أنا أحفظ الجزء الخاص بشياطين عزازيل وأعرف نقاط ضعفهم.

انتبه له الجميع ليكمل محمود..

أعدوا عدة الحرب.

ثم أشار لنعمان قائلاً:

- وأنت نعمان جهز أقوى رجالك وأنا سأشرح لكم ماذا ستفعلون لتخرجوا سالمين.

نامت أميرة بعد أن حقنتها دانا بالمهدئ...

تنهدت دانا بألم وهي ترى أمها ما زالت تشهق بالبكاء حتى وهي نائمة! قبّلت جبينها وتركتها في غرفتها وخرجت لعز، الذي ما زال جالسًا في غرفة استقبال الضيوف بعد أن اطمأن الجيران عليهم وكلٌ ذهب لشقته.

وقف عز بتوتر حين رآها قادمة إليه، ليقول بقلق:

-هل هي بخير الآن؟!

هزت له دانا رأسها بنعم، وأشارت إليه أن يجلس، ثم جلست في مقعد بجواره وهي صامتة لا تدري ما تقول. اقترب عز منها قائلاً:

- هل أنتِ بخير؟!

أجابته بعينين شاردتين وقلب متوجع قائلة:

-مؤكدٌ لست بخير، ولن أكون حتى تعود روهان وأبي.

قال عز بفضول:

-أين ذهبوا دانا؟ والدتك كانت تردد أنهم اختفوا! هناك أمرٌ مريب يحدث!

تلكأت دانا قليلاً، لا تعرف هل عليها إخباره بحالة روهان أم أن كتمان الأمر من مصلحتهم جميعًا؟

أجابته بتردد قائلة:

-لا أعلم شيئًا عز... أبي أخذ روهان ولم يعودا إلى الآن، ولا نعرف أين ذهبا.

شعر بأن هناك خطبًا ما لا تريد دانا إخباره به، فاحترم رغبتها، وقال لها بتفهم:

-لا عليكِ دانا، سيظهرون قريبًا.

ثم وقف قائلاً:

-سأذهب أنا الآن، وإن احتجتِ شيئًا فلا تترددي.

قاطعته دانا، وهي تقف فزعة:

-لا تتركني عز، أرجوك!

تعجب من ردة فعلها، وضم حاجبيه قائلاً:

-ما بكِ دانا؟ الوقت قد تأخر جدًا، ولا يجوز مكوثي معكم من دون وجود أبيكِ. ستكونون عرضة للقيل والقال!

شعرت برعب شديد، وأن عز هو مصدر أمنها، فقالت له بعينين زائغتين وجسمها يرتجف خوفًا:

-لا أهتم لأي شيء... سأموت رعبًا عز لو تركتني بمفردي، وأمي نائمة ولن تستيقظ إلا في الصباح.

زاد تعجبه وهو لا يفهم مما هي خائفة بالتحديد زفر عز وهو يقول:

-ما بك دانا؟ أنا لا أفهم مما أنتِ مرتعبة هكذا؟

ظلت تنظر في أركان الغرفة ويشتد ارتجافها قائلة:

- لا تتركني وحسب.. سأجلس معك هنا حتى الصباح، لن أستطيع دخول غرفتي، أرجوك عز.

ارتعاش جسمها بهذا الشكلِ جعله لا يستطيع تركها.. فقلقه عليها تضاعف الآن أضعافًا كثيرة.. جلس عز مرة أخرى مستجيبًا لإلحاحها قائلاً:

-حسنًا، سأظل حتى الصباح، اهدأي قليلاً أرجوكِ.

تنهدت براحة، وهي تجلس قائلة:

- أشكرك عز على تفهم الأمر، ولن أنسى معروفك هذا.

ابتسم عز يداعبها قائلاً:

- تسمي جلوسي معك بمفردنا حتى الصباح معروفا لن تنسيه؟

اقترب منها ليكمل؛ علها تهدأ قليلاً:

-أنا الذي لن أنساه أبدًا دانا، وأشكر والدك وروهان جزيل الشكر، بل لن اكتفي بذلك، سأقدم لهم قربانًا على ما فعلوه.

شعرت بدقات قلبها تتعالى، فتجاهلته لتقف قائلة:

-سأصنع لنا مشروبًا دافئًا.

أمسك عز بيدها، لتعلق نظراته بها قائلاً:

-لا أريد.

ابتلعت دانا ريقها بصعوبة، وهي تفكر أنها ستكون ليلة عصيبة لم تجبه، فأكمل:

-اجلسي دانا.

فامتثلت للأمر، لتجلس على مقعدها، وهي تفكر إلى ماذا ستؤول الأمور بينهم.

تكلمت دانا بصوت، ما زال مرتجفًا، وهي مطأطأة الرأس:

-أرجوك عز، لا مجال الآن للحديث بأمرنا.

رفع وجهها بكفه، ليرى عينيها الدامعتين قائلاً:

-أنا أخضع للعلاج من أجلكِ دانا.

شهقت، وهي تضم حاجبيها باستغراب، لتخرج كلماتها متقطعة:

- كـ كيـ كيف عرفت بالأمر؟

دخل نعمان غرفته يستدعي زيتون سريعًا... وبعد عدة نداءات جاء إليه زيتون، ليهدر به نعمان:

-لماذا تأخرت هكذا؟

أجابه زيتون بصوتٍ خفيض:

-كنت أبحث عنها.... لم أرد أن أسأل عليها مباشرة حتى لا يشك بي أحدهم.

وضع نعمان يده على كتف زيتون قائلاً برجاء :

- وكيف حالها الآن؟

طمأنه زيتون قائلاً:

-لا تقلق بني النعمان، فهي بخير تمامًا هم أخذوها حتى تدلهم على مكان الكتاب، وحين اكتشفوا أنها لا تعرف بمكانه، عادو ليأخذوا والدها ولكنك سبقتهم.

صك على أسنانه بغيظ وقلة حيلة، ليقول:

-هيا أخبرني بمكانها.

بعدما أخبره زيتون، استدعى الجيش بأكمله وقسمه إلى فرق... ألقى تعليمات لأقوى أقوياء رجال الجيش من طائفة العفاريت أن يذهبوا معه.. أعلمهم بالخطة وأخبرهم أن مهمتهم الوحيدة هي إعادة روهان للمملكة، وبعد أن يتم إعادتها سالمة، سيعودون للحرب مرة أخرى.

استعانوا بالله، وقبل أن يختفوا ظهرت، أمامهم روزا قائلة:

-إلى أين تذهب بني النعمان؟

أزاحها من أمامه بحدة قائلاً:

- عودي للعشيرة روزا ولا تتدخلي فيما لا يعنيكِ.

اختفت من خلفه، لتظهر أمامه وتهدر به أمام الجيش بأكمله قائلة:

- تريد أن تحرر حبيبة القلب، فتدخلنا في حرب شعواء سنفقد فيها أشجع وأقوى رجالنا... من أجل من؟ مجرد إنسية!

بدأوا ينظرون بعضهم لبعض، وكأنها تنطق بلسان حالهم.

اقترب نعمان منها يكتم غضبه، وهو ينظر للجمع قائلاً:
- هذه الإنسية ستنقذنا من الحرب القادمة.

بادلته نظراته بسخرية، وهي تستفزه بالقول:

-وما النفع الذي سيعود علينا من إنقاذ إنسية من براثن الشياطين؟ لنتركها لهم وننجو بأنفسنا، مالنا ومال الحرب عليهم؟

أصبح داخله يغلي وهو يرى البعض منهم بدأ يهمس بأن روزا محقة، فاقتربت منه تهمس في أذنه قائلة:

- من المؤكد أنك تعرف تأثيري على القبيلة بأكملها!

نظر إليها باحتقار، لتكمل هي:

- طعنة واحدة في قلب الإنسية، وسيعود كل شيء إلى وضعه وينتهي الأمر بسلام دون حرب.

جحظت عينا نعمان، وهو لا يدري كيف عرفت روزا بأمر روهان.. التفّت حوله كعقرب سام وهي تضيف:

-خمن نعماني كم سيدفع عزازيل مقابل هذه المعلومة القيمة؟ هل من الممكن أن يقتلها وننهي الحرب بيننا للأبد؟

دفعها نعمان بشدة حتى ارتطمت في عمود ضخم وسط القاعة... تمالكت نفسها سريعًا، لتقول بصراخ مدوٍ:

-أنا لن أحارب وأموت من أجل إنسية.

توقف الجميع، لتكمل روزا بنفس الحماس:

-من معي؟

رفع أحدهم يديه قائلاً:

- أنا معكِ روزا، أنتِ محقة تمامًا لماذا علينا أن نموت من أجل إنسية؟ لا يوجد سببٌ مقنع!

انضم إليهم ثالث ورابع، وتعدوا لأكثر من نصف الجيش يقف خلف روزا وهي تبتسم بخبث وقبل أن تكمل في إشعال النيران بينهم، تدخل الملك الأبيض، فتوقفوا عن الحديث، ليقول الملك بكل صرامة:

-ماذا تفعلين روزا؟!

انحنت تحية وإجلالاً للملك، وهي تنظر بطرف عينيها إلى بني النعمان الذي سينفجر فيهم جميعًا بعد قليل، وهذا ما تريده حقًا .... أجابت الملك بكل ثقة قائلة:

- أقول إنه لا يوجد مبرر لموتنا من أجل إنسية مولاي، وأنت تعرف أننا نتجنب الحرب ضد الشياطين قدر استطاعتنا.

أمر الملك الجميع بالانصراف الآن حتى يستدعيهم بعد قليل، امتثلوا لأمره، منهم المتعض ومنهم المقتنع بكلام روزا، والبعض يشعر بالحرج ممن يدينون لنعمان بالولاء التام...

بعد أن خلت القاعة، اقترب نعمان منها سريعًا يجذبها من شعرها بعنف قائلاً:

-ماذا تريدين أيتها الحقيرة الوضيعة؟

هدر فيه الملك بحدة قائلاً:

-اتركها بني النعمان.

ظلت تبادله نظراته الحارقة من الغضب بنظرات حقد من إنسية استطاعت أن تمتلك قلبه.

أطلق شعرها من يده، ليتكلم الملك:

-لماذا تفتنين القوم روزا؟

ادعت البراءة وهي تقترب من الملك قائلة:

-أنا لا أفهم مولاي، أنا أقطع الشبهات، فالعشيرة بأكملها تتكلم عن زواج بني النعمان من الإنسية المخطوفة بيد شياطين عزازيل... هم لم يجرؤوا على الاعتراض أمامك، وكل ما أردته أن أكشفهم أمامكم.

نظر لها الملك يتفحصها، قبل أن يقول:

- وما الحل من وجهة نظرك الآن؟

أجابته بفحيح أفعى مدربة:

- لو تزوجني بني النعمان فسنقطع ألسنة العشيرة ووقتها سيكون إنقاذ الإنسية لأجل مصلحتنا وليس لأجل نعمان.

لم يتمالك نعمان نفسه، وهو يصفعها صفعة مدوية، مما جعلها تنظر له بابتسامة صفراء تدل على أنها أصابته في مقتل، ليقول بعدها الملك بصوت حاد:

- تتطاول عليها امامي بني النعمان؟؟

أجابه نعمان بغضب مستعر:

-ألم تسمع حديثها أبي؟

قاطعه الملك الأبيض قائلاً:

-أنا الملك أيها القائد.

زفر نعمان بقوة قائلاً:

- أمر جلالتك أيها الملك.

فاجأه أبوه، وهو يقول:

- روزا محقة فيما قالت لن يحارب القوم دون سبب مقنع، ولن يعرضوا نفسهم للخطر من أجل إنسية... يجب أن تعلن زواجك بروزا قبل أن تذهب للحرب.

الفصل الخامس عشر

نظرت له دانا بتعجب قائلة:

-من أين عرفت عز؟؟

فبادلها نظرات التعجب باندهاش قائلاً:

-وهل كنتِ تعرفين؟؟

ابتلعت ريقها بصعوبة، وهي تقول:

-ما حدث بالمقهى أثار ريبتي؛ لهذا سألت أحد الأطباء.

نظرات الاندهاش تحولت لحزن دفين لما وصل إليه حاله ليقول:

-أنا أيضًا لم أستطع استيعاب ما حدث، فذهبت على الفور لأحد الأطباء النفسيين.. وحين أخبرته بما مررت به طمأنني أن العلاج بسيط وسيكون على عدة جلسات، بالإضافة لبعض الأدوية المهدئة.

تنهدت دانا بألم لأجله، وهي تقترب منه تتلمس ظاهر كفه، قائلة:

- ستكون بخير إن شاء الله.

أمسك بيدها، وهو ينظر لعينيها بشرود، ليعود بعدها لسنوات طويلة مضت، شعرت دانا أن به خطبًا ما، فحاولت أن تفلت يدها من يديه، فتشبث بها قائلاً:

- كانت متعلقة بي جدًا دانا.

انتبهت دانا للحظة، فلم تفهم شيئًا، فأكمل عز، وهو ما زال شاردًا:

-كنت أنا من يطعمها ويسقيها ويهدهدها حتى تنام، وبعد أن أذهب لغرفتي وأتركها في غرفتها تغط في نوم عميق... أستيقظ فزعًا بعد عدة دقائق من سماع ضجة في غرفتي، فأنظر سريعًا لمصدر الضجيج لأجدها تفترش الأرض بجوار سريري وترتجف من البرد، حتى أنها من شدة ارتعاشها تصطدم بقارورة الماء التي أضعها بجوار السرير فأوقعتها على الأرض.

فأقوم سريعًا بحملها لأعود بها لغرفتها، فتستيقظ مرة أخرى بعد دقائق معدودة لتعاود النوم بجواري على الأرض... فلم أستطع فعل شيء إلا أن أضعها على سريري وأفترش أنا الأرض بجوارها.

فكانت حين تستيقظ ترى نفسها على سريري فتنام مرة أخرى قريرة العين، وهي تنظر إليّ بجوارها على الأرض.

ابتسمت دانا بحزن على هذه الطفلة، وقبل أن تعلق بشيء، أكمل عز كأنه لا يراها:

-أمي كانت تعترض بشدة على وجودها بغرفتي، ولا تقتنع أنها مازالت طفلة صغيرة متعلقة بي..

فكانت تشكو والدتها ما حدث، فتعنفها أمها بشدة وتبدأ بإقناعها أنه لا يجوز أن تنام معي بنفس الغرفة، ثم تعاقبها بأخذها لبيتهم، فلا تمكث سوى عدة ساعات لتعود بها مرة أخرى بعد أن تيأس من جعلها تكف عن البكاء، حتى أنها كانت في نوبات بكائها تسقط مغشيًا عليها، فكانت ترعبنا جميعًا.

لم يجد والديها حلاً سوى الانتقال إلى منزل بجوارنا حتى تكف عن البكاء، ولكنها مع ذلك لم تقتنع إلا بالنوم في غرفتي، وبعد مباحثات طويلة وضعوا لها سريرًا بغرفتي وظلت تنام معي بالغرفة نفسها لسنة كاملة، حتى وصلت لسن المدرسة فأخذوها مرة أخرى لبيتها، وعادت الكرة تظل تبكي حتى تسقط مغشيًا عليها.

بعد محاولات عديدة مني لإقناعها، وافقت أخيرًا على النوم في غرفة أخرى في نفس بيتنا فلم توافق أبدًا أن تذهب لبيتهم سوى بضع ساعات وتعود على الفور.

ابتسامة شقت شفتيه، وهو يقول:

-كانت تتوقف عن اللعب طوال وجودي خارج البيت، وتبوء كل محاولاتهم بالفشل أن يجعلوها تمرح مع أي فتاة من داخل العائلة، أو حتى من فتيات الدراسة كانت تأبى أن تتفاعل مع أي طفل إلا حين أعود، وقتها تصبح فتاة أخرى.. كتلة من مرح وسعادة... لم تسمح يومًا لأحد بالاقتراب منها منذ أن كانت طفلة لا تبلغ من العمر سوى الخمس سنوات كنت مصدر الأمان لها...

أخرج أنفاسه بصعوبة وهو يقول:

-تعلقت بها أنا الآخر بشدة، فلم أستطع الابتعاد عنها لم أشعر بالسعادة إلا وأنا ألعب معها. كنت أكبرها بثلاث سنوات فقط، لم تكن تصغي لأحد إلا لي، وعندما ييأس والديها بإقناعها بشيء ما كانوا يطلبون مني أن أتحدث معها، فلم يكن عليّ إلا أن أخبرها أنني سأغضب منها ولن تنام بغرفتي الليلة كعقاب لها، فكانت تهرول والحزن يخيم ملامحها لتعتذر مني وتوافق على الفور.

حتى جاءت المأساة الكبرى حين وصلت لسن العاشرة، وبلغت أنا الثالثة عشر، فكان لابد من انفصالها وأن تعود لبيتها.. كانت تبكي ليلاً ونهارًا، ورفضت الطعام لمدة ثلاثة أيام حتى ذبلت تمامًا، وكنت أنا حزينًا جدًا على فراقها، رغم أنها لم تبعد عنا سوى بضع خطوات، ولكنها كانت كفيلة بجعل قلبي ينزف ألمًا... لم يخضع والداها لما تفعله من ضغطٍ عليهما حتى تعود إلينا، وكان جوابهما وقتها أنها يجب أن تتعود على كونها فتاة وأنا لا أحل لها، ولا يجوز اقترابي منها خارج الحدود المتعارف عليها؛ فنحن أقارب وأنا كأخ كبير لها كنت أتعذب وقتها بمشاعر شاب دخل للتو طور المراهقة، وهي كانت تملأ يومي بأكمله.

لاحظ والدي شرودي الكثير، وبدأت تتدهور علاماتي ولم أعد أتفوق في دراستي، كعادتي في سنواتي الفائتة، لم يكن حالها أفضل مني بل كانت أسوأ بكثير؛ فقد أهملت دراستها بالكامل وأصبح الوضع مزريًا للغاية!

شعرت دانا أنه يريد أن يخرج كل ما في قلبه، فحثته أن يكمل قائلة:

-وماذا حدث بعد ذلك؟

أكمل عز بنفس شروده، وكأنه يستعيد كل ما حدث بتفاصيله الدقيقة:

-اجتمعت عائلتانا ليجدوا حلاً حتى لا نضيع نحن الاثنان على حد قولهم فلم يجدوا وقتها سوى حل واحد!

جمعانا سويًا، أنا وهي، وأخبرانا بعدة قرارات...

أولها: أنهم سيفعّلون اشتراكنا في النادي الرياضي التابع لنا، وسنذهب أنا وهي سويًا لممارسة نوع من الرياضة، حسب اختيارنا لما نحب.

ثانيها: سنقضي أيام العطلة سويًا، ولكن بشرط واحد.. أن نتفوق دراسيًا مرة أخرى، وإن لم تكن درجاتنا آخر العام نهائية فسيتم إلغاء الأمر تمامًا.

ثالثها: لن نرى بعضنا أو نتقابل خلال ايام الدراسة سوى وقت ذهابنا للنادي.

وافقنا بفرح شديد على هذا الحل، وكنت أنا سعيدًا جدًا؛ لأنني سأراها خلال التمرين ثلاثة أيام في الأسبوع لساعة واحدة وفي يومي العطلة سنمكث سويًا..

سعدت العائلتان أن هذه الحلول جعلتنا من الأوائل على مدرستنا، وكنا أنا وهي سعداء للغاية... لم نكن نفعل شيء إلا الدراسة؛ حتى لا نبتعد عن بعضنا لم يكن لديّ أصدقاء سواها، وهي أيضًا.. اكتفينا ببعضنا البعض!

مكثنا على هذا النظام لخمس سنوات متتالية، حتى دخلت أنا الجامعة بتفوق وصرت أنشغل عنها لبعض الوقت، ولم أعد أستطيع الذهاب للنادي.

وقتها غضبت مني بشدة وساءت حالتها النفسية وبدأت باضطراب شديد لتأكلها الغيرة بشكل جعلها تبدو كالمهووسة، لم تعد ترتاد النادي حتى وإن ذهبت فلا أجدها؛ اعتزلت غرفتها، ولم تعد تذهب للمدرسة وتوقفت مرة أخرى عن الطعام.

حتى فقد والدها أعصابه في يوم وضربها بشدة فظلت تبكي إلى أن فقدت الوعي كعادتها.

ضم عينيه بألم، وهو يتذكر ما حدث قائلاً:

-في بادئ الأمر ظنوا أنها تتدلل عليهم ولكن حين تكرر الأمر بعدها أخذوها للمستشفى وكانت الصاعقة أنها تعاني من ورم دماغي.

شهقت دانا بتأثر، ففتح عز عينيه ليكمل:

- وكأن السد الذي بناه لسنوات عديدة انهار الآن.

ولكن الأطباء طمأنونا ألا نقلق وأن الأمر تحت السيطرة، وأنها ما زالت في سن صغيرة، تعاطف أبي وأمي معها وحزنا لأجلها كثيرًا... استغليت أنا حالتها وطلبت منهما أن أخطبها، لم يعترض أحد لصغر سننا نحن الاثنين.

وكأن والديها أرادا تعويضها عن أيام حزن وقلق عشناها سويًا... قمنا بعمل حفل خطبة كانت أسطورية، سعدنا بالحفل كثيرًا، بل كان أسعد يوم في حياتنا نحن الاثنين..

شعرت دانا للحظة بوخز في قلبها، فارتعشت للحظة أدركها عز، ولكنه لم يستطع التوقف ليقول:

-كنت أحفظ تفاصيل يومها عن ظهر قلب، كنت أعرف كل ما تحبه أو تكرهه، أو حتى الأشياء التي لا تعني لها، ملابسها كانت من اختياري.. مواعيد نومها كانت بأمري.. توقفت عن أخذ دروس وصرت أنا أستذكر لها. قضينا ثلاث سنوات من أجمل أيامي وأسعدها على الإطلاق، كنت أعمل بسنوات الدراسة في إحدى شركات الأدوية الكبيرة نظرًا لتفوقي وأنني دائمًا أحصل على المرتبة الأولى في الجامعة.

ولأجل ذلك قرر أبي وعمي والد سارة أن نتمم زفافنا، خصوصًا عندما تفوقت سارة ودخلت أيضًا كلية الصيدلة معي... فكان بيت الزوجية والزفاف وكل ما يلزم هدية منهم لنا، سعادتنا لم يكن لها حد حتى ظننا أنه لا يوجد سعادة أكثر من ذلك وأننا سنعيشها هكذا طوال العمر.

ابتلع ريقه بصعوبة بالغة من الألم ليقول:

-ولكن دوام الحال من المحال، تخرجت أنا من الجامعة لأعمل معيدًا بها، وما زلت أعمل في شركة الأدوية، حتى ترقيت وأصبحت مديرًا فرعيًا بها فور تخرجي أيضًا.

كانت سارة في سنتها الثالثة حين فقدت الوعي داخل المحاضرة، استدعوني لأركض نحوها بجنون تام معتقدًا أن السبب هو حزنها الشديد أنها لم تحمل طفلاً بعد، وقد تعدينا السنتين منذ زفافنا، ذهبت إلى المشفى وأنا أصيح بالجميع كالمحموم، ورغم أنني شاهدت إغماءاتها المتعددة لسنوات طويلة، إلا أن هذه المرة كانت مختلفة تمامًا؛ لم أشعر أنها بخير ولم أدرِ وقتها ما السبب.

حتى أتاني الطبيب بالطامة الكبرى ليقول:

-بعد الفحوصات والتحاليل التي أصريت ألا نخرج من المشفى حتى تقوم بها كاملة، أخبرني أن الورم وصل لأماكن حساسة جدًا بالمخ، وأن الأدوية التي كانت تلازمها لم تجدِ نفعًا، وعاتبني وقتها بشدة كيف أنني لم أحرص علىَ فحصها كل فترة وكيف أن إهمالي لفحصها أدى لهذه الكارثة التي لن تخرج منها حية؟!

تجمعت الدموع بعينيه كغيمة متلبدة، وهو يقول:

-بعض كلمات من الطبيب كانت كالخنجر المسموم يغرزه في كل جزء من جسمي، وحين وصل لقلبي ظل يطعنه حتى أنني ما زلت الآن أشعر بطعناته رغم مرور كل هذه السنوات.

توقف للحظات ليلتقط أنفاسه، والألم يسيطر على ملامحه كلها، لتخرج بعدها كلماته كوابل من بارود:

-ماتت بعدها سارة بعدة أشهر لأنها رفضت تمامًا إجراء أي جراحه ستجعلها تلازم الفراش ولن نستمتع بوقتنا سويًا.

أطلقت عيناه سراح دموعه التي حبسها لسنوات طوال، وهو يقول:

-كلماتها ما زالت تطرق بأذني وهي تقول لي.. لقد أخبرني الطبيب أن الجراحة خطيرة جدًا، وأن نسبة نجاحها لا تتعدى نصف المئة، وفي حالة نجاحها سأصبح قعيدة على كرسي متحرك، هل ترضى لي أن أعيش بقلب وروح ميتين عز؟ أنا راضية بقضاء الله، ولا أريد أن أقضي باقي حياتي عاجزة، سأعيش أيامي أو شهوري، أو حتى سنواتي القادمة، بجوارك وفي أحضانك، ولن أحتاج بعدها يومًا واحدًا؛ فوجودي بجانبك يكفيني.

انهار عز تمامًا، وهو يتمتم:

-أنا السبب دانا، أنا الذي أهملت بها حتى ماتت بسببي...
كنت أنانيًا حقيرًا؛ لم أعطِ الأمر أهميته وظننت أن مجرد وجودي بجانبها سيجعلها بصحة جيدة، ماتت بسببي دانا.

انفجرت دانا ببكاء مرير تأثرًا على هذه الفتاة المحبة التي فقدت حياتها وهي ما زالت في مقتبل العمر.. لم تتمنَ سوى أن تعيش مع من أحبت وتنجب منه أطفالاً تحكي لهم عن طفولتها السعيدة بقربه..

لم يتحمل عز فاختنقت العبرات في جوفه، حتى أنه توقف عن التنفس لعدة دقائق، ولم يستطع وقتها إلا أن يغادر سريعًا، وهو يعلم تمام العلم أنه بعد هذه الاعترافات قد خسر دانا نهائيًا وخسر معها حياته للأبد.

تفترش أرضًا باردة تصدر من حائطها رائحة مقززة تجعلها تتقيأ كل خمس دقائق، لتبكي بعدها بمرارة حتى جفت دموعها نهائيًا، أصبحت معدتها فارغة، فلم تعد تستطيع حتى التنفس داخل الغرفة المقززة هذه!

منذ أن أفاقت من إغمائها وعرفت أنها في براثن الشياطين قررت ألا تستدعي نعمان؛ لأنهم من المؤكد سيؤذونه بشدة، فلم تفعل شيئًا سوى البكاء والتقيؤ!

توقفت عن البكاء حين سمعت اقتراب شيء ما منها... شعرت أن روحها سُلبت منها حين وجدت أحدهم يدخل عليها بشكله الضخم المرعب، ارتعدت فرائصها، وظلت تتراجع في مكانها حتى التصقت بالجدار بجسد خالٍ من الدماء.

ظلت تنظر إليه والرعب يتملك كل حواسها، وجهه شديد الزراق مائل للون الأسود، عيناه بارزتان للخارج بلون أحمر قاتم، جسده فارع بعضلات مخيفة.

توقفت لحظة تنظر لفمه المبتسم لها بفظاظة... لديه أنياب!!!

أيقنت أنها نهايتها الحتمية، فلم تجد إلا الاحتماء بآيات الله، التي تحفظها جيدًا.

فبدأت ترددها إلى أن صرخ بقوة جعلتها تتمسك أكثر بالتلاوة، بعد أن كانت تخرج الحروف من بين شفتيها الواهنتين بضعف شديد، أصبحت تتلو بكل قوة وصوت مرتفع، كأن آيات اَلله تخرجها من قاع مظلم إلى نور تتلمس فيه نجاتها.

ظل الرجل يصرخ، والحيطان بجوارها ترتج بشدة حتى كادت تنهار عليها، وهي لا تجرؤ على فتح عينيها، فقط تتلو بصوت عالٍ ويعلو أكثر حتى لم تعد تسمع شيئًا... هدأت الأجواء تمامًا إلا من صوتها.

بدأت تقرأ بصوت منخفض وهي تفتح عينيها ببطء.. فلم تجده أمامها لقد اختفى تمامًا،

تنهدت براحة وبدأت تلتقط أنفاسها وهي تحمد الله أنه نجاها، ضمت حاجبيها وبدأت تقرأ مرة أخرى حين سمعت بعض الخطوات القادمة نحوها.. وقفت مسرعة، لتجحظ عيناها حين رأته قائلة:

-لقد رأيتك مع زمردة من قبل؟

اقترب منها ليضع يده على فمها قائلاً:

- شش.. لا تتكلمي هيا بنا.

نظرت إليه وهو يدور برأسه يمينًا ويسارًا، وينظر محدقًا في سقف الغرفة، ثم تركها ليذهب إلى باب الغرفة ينظر أمامه بترقب، وهي مازالت تتلو الآيات، فوجدته لا يتأثر بها، رغم شبهه من الرجل الآخر إلى حدٍ ما، ولكنه ليس مخيفًا كالذي دخل عليها منذ قليل!

واضحٌ أنه شيطانٌ مثلهم، فلماذا لا يتأثر؟

اطمأن قلبها قليلاً، ليعود إليها زيتون بعد أن تأكد من سلامتهم:

-هيا بنا، سأعيدكِ لمملكة الملك الأبيض.

تراجعت روهان خطوتان للخلف قائلة:

- من أنت؟

اقترب منها، وهي تتوخى الحذر، ليهمس لها قائلاً:

-أنا زيتون خطيب زمردة، اطمئني.. الملك الأبيض هو من بعثني إليكِ.

ليكمل بخوفٍ شديد:

-هيا بنا الآن أرجوكِ.

ظلت تنظر إليه لعدة لحظات، قبل أن تقول:

-لا أريد الذهاب للملك الأبيض، أنا أريد الذهاب لبيتي ولوالدي.

اقترب منها مرة أخرى هامسا بوجل:

- والدكِ السيد محمود في مملكة الجان عند الملك الأبيض، أسرعي؛ فهم قادمون.

ارتجفت روهان بشده ثم أعطته يدها سريعًا ليختفي بها زيتون بسرعة البرق، بدأت تسمع أصواتًا كثيرة جعلتها تفتح عينيها ببطء حين سمعت صوته الأثير ولكنه غاضب، أخذ زيتون بيدها ليقترب منها نحو الساحة الكبيرة.

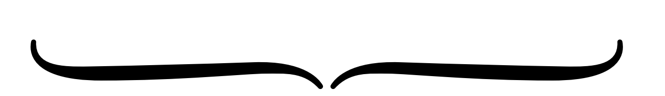
ضيقت عينيها حين وجدته يتكلم مع والده بغضب شديد، تكاد تجزم أن الشرار يتطاير من حوله من شدة الغضب، لفتت نظرها فتاة تقف بجواره وتبتسم بخبث كالحيات انقبض قلبها بين ضلوعها،

وهي تنظر إلى هذه الفتاة صارخة الجمال، ولكن جمالها لم يخفِ تلك الدمامة بداخلها.

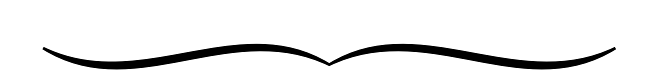
أصواتهم متداخلة، لم تتبين حروف كلماتهم، لتتوقف قدماها للحظة، وهي تسمع نعمان يقول بكل وضوح:

- حسنًا أيها الملك، سأتزوجها.

لم تسمع باقي حديثه وسقطت مغشيًا عليها.



الفصل السادس عشر



قبل أن يلتفت إليها زيتون، حملها نعمان ووضعها في غرفته على سريره محاولاً أن يوقف هدر قلبه الذي إلى الآن لا يصدق أنها عادت سالمة، ظل يتفحصها بعينيه ليتأكد من سلامتها، اقترب منها لتعلو دقات قلبه مرة أخرى، وهو يتلمس خصل شعرها بشغف، مرورًا بعينيها وأنفها نزولاً لشفتيها، ثم توقف عند رقبتها، ليقربها منه محتضنًا إياها بشدة يكاد يعتصرها، وهو يقول:

-أقسم لكِ حبيبتي سأذيقهم العذاب الأليم.

توقف عن احتضانها حين سمع همهماتها، ليبعدها عنه قليلاً وهو يحيط وجهها بكفيه قائلاً:

- هيا حبيبتي استيقظي، أنتِ هنا معي.

فتحت روهان عينيها ببطء، لتتفاجأ أنها بين يديه!

دفعته عنها سريعًا بغضب شديد وهي تضربه على صدره بقبضتها تصرخ في وجهه قائلة:

-ابتعد عني، اذهب لتتزوج واتركني.

ضم نعمان حاجبيه بتعجب لحركتها السريعة التي لا تؤثر به قائلاً:

-اهدأي روهان، أنتِ لا تفهمين شيئًا.

لم تتوقف عن لكماتها الموجهة لصدره، فأمسك كفيها بيد واحدة وقربها إليه بيده الأخرى ليحتضنها بقوة، غير مبال لغضبها الذي تحول إلى وابل من السباب، وهي تحاولً التملص من بين يديه، ولكنها لا تستطيع.

مرر كفه على شعرها، وهو يبتسم قائلاً:

- ششش.. أرجوكِ حبيبتي اهدأي قليلاً حتى أشرح لكِ الأمر.

فأرخت يديها واستسلمت لاحتضانه بعد أن أنهكها التعب، وكأنه أذن لدموعها بالتحرر، فبدأت تبكي بكاءً مريرًا على ما رأته في وكر الشياطين وشعورها باقتراب انتهاء حياتها بصورة بشعة، وكل هذا لا يضاهي إحساسها بالخيانة عندما سمعته يريد الزواج من امرأة أخرى!

أبعد وجهها برفق، وهي ما زالت في أحضانه، شعر بوخز في قلبه لرؤية دموعها التي تجري على وجنتيها بألم.

مسح دموعها بكفه قائلاً:

-لا تبكي حبيبتي؛ فدموعكِ هذه تمزقني.

رفعت عينيها تنظر إليه بخيبة أمل، مما جعله يسرع بالقول:

-ليست هذه النظرة روهان أرجوك!

طرقٌ على باب غرفته جعله يبتعد عنها وهو يزفر قائلاً بغضب:

-من؟

أجابه محمود بضيق شديد:

-أريد رؤية ابنتي.

فتح باب الغرفة، ليعبره محمود بخطوات سريعة راكضًا إلى روهان، التي انتفضت تحتضن والدها وهي تبكي قائلة:

-أريد أن أذهب لبيتي أبي.

دمعت عينا محمود، وهو يتمتم:

-حمدًا لله على سلامتكِ حبيبتي، هل آذاكِ أحدهم؟!

نظر إليها نعمان بتحفز، فأشارت برأسها والحزن يحتل ملامحها:

-لم يؤذني الشياطين أبي، بل آذاني نعمان.

توقفت عن إكمال جملتها، وهي تنظر لنعمان الذي ينظر إليها بدوره، وقد بدأت علامات الغضب تجتاحه، ليقترب منها قائلاً بألمٍ شديد:

-أنا آذيتك روهان؟

رفعت كفها أمامه بغضب، ودموعها تأبى أن تتوقف قائلة:

- أنت قتلتني نعمان.

لو طعنته بخنجر في قلبه، فلن يتألم هكذا، لم يستطع تمالك نفسه، وهو يهدر بها قائلاً :

-أنتِ لا تفهمين شيئًا.

التفتت لتقف خلف والدها تحتمي به وتمنعه من الاقتراب أكثر... تدخل محمود قائلاً:

-توقفا أنتما الاثنان.

ثم التفت لروهان:

تفهمين الأمر بشكل خاطئ روهان!

نظرت إليه بغضب، وهي تقول:

-حتى أنت يا أبي تردد هذا الهراء! لقد سمعته بأذني يوافق على زواجه من امرأة أخرى.

لتكمل دون أن تسمع أي دفاع منهم:

- أريد الذهاب لبيتي في الحال، لا أريد مزيدًا من الأكاذيب.

أجابها نعمان بصوتٍ آمر:

-لن تذهبي إلى أي مكان... هذا بيتك!

ثم أشار للغرفة وهو ينظر إليها:

- وهذه غرفتنا.

شهقت روهان، لتجيبه بغضبٍ أكبر:

-في أحلامك، لن تتزوجني إلا وأنا جثة هامدة.

وجهها تلون بالغضب، وقبل أن تكمل هدرها أوقفهم الملك الأبيض، وهو يعبر باب الغرفة الضخم:

-حمدًا لله على سلامتكِ روهان.

التفتوا جميعًا ينظرون إليه، لتجيبه روهان:

-سلمك الله أيها الملك.

ثم اقتربت من الملك قائلة بامتنان:

-أشكرك على إنقاذي.

لتكمل برجاء:

-أريد أن أعود لبيتي أرجوك.

تدخل محمود بصوتٍ حازم:

-لن تستطيعي العودة روهان.

شهقت مصدومة، وهي تنظر لوالدها بألم:

-ماذا تقول أبي؟

نظر محمود لبني النعمان والملك الأبيض قائلاً:

-اتركوني مع ابنتي بمفردنا.

أخذ نعمان أباه الملك، واختفى كلاهما من الغرفة ذهابًا إلى الغرفة السرية بعد أن أصر نعمان أن يتكلم مع والده فيها على انفراد...

بعد أن دخلا الغرفة وتأكدا من خلوها، اقترب بني النعمان من الملك قائلاً:

-من الذي أخبر روزا أن الكتاب داخل روهان؟!

ثم أكمل، وهو يضيق عينيه:

-لم يكن في الغرفة سوى أنا وأنت ووالد روهان وعمتي زمردة وزوج جدتي حافظ وجدتي فاطمة... من منهم أبي؟ أو يجب أن أقول من منكم أبي؟

أجابه الملك بغضب قائلاً:

-تأدب يا ولد! أتشكك بعائلتك؟

زفر نعمان بضيق وهو يقول:

لن تعرف روزا بالأمر إلا من داخل الغرفة أيها الملك.

تلكأ الملك الأبيض وهو يقول:

-حسنًا، أنا أشك في أحدهم، ولكن..

أشار إليه ليكمل:

-لن أخبرك حتى أتأكد من الأمر... كل ما عليك الآن فعله أن تقنع روهان بإتمام الزواج؛ حتى تظل بأمان، واترك لي أمر روزا.

اقتربت منها، والغضب يأكلها قائلة:

-لقد وعدتِني أن تزوجيني إياه الليلة... ماذا حدث أمي؟

اقتربت منها «فاطمة» وهي تحاول تهدئتها:

-اهدأي روزا، الأمور ما زالت تحت السيطرة... أنا أحاول إقناع والدها أن يخرج الكتاب من داخلها ووقتها نستطيع أن نتخلص منها بسهولة.

أزاحت روزا يد أمها بقوة، لتقول لها والاشمئزاز يعلو وجهها:

-وأين ابنك الملك؟؟ هل تخلى عنا ولن يساعدنا بعد الآن؟!

زفرت فاطمة بقوة وهـي تقول:

-منذ أن عرف أن الكتاب بداخلها أخبرنـي أن الحل الأمثل في تزويجها لبني النعمان حتى يحافظوا على الكتاب.

اقتربت منها بوقاحة، وهـي تلتف حولها قائلة:

- تـعلمين جـيدًا أمـي الـعزيـزة لـو حـدث ولـم يـتزوجـنـي بـنـي الـنعمان وفـضل علـيّ الإنـسية، فـسأهـدم المـعبد عـلى كـل مـن فيه وسأخبرهم جميعا من أنا.

قـالـت جـملتها الأخـيرة، وهـي تـشير لـنفسها، لـتكمل وهـي تواجهها بعينين تظلمان بالشر:

-سـيسعد زوجـك الإنـسي بـالـقصة كـامـلة...وأعـتقد أن المـلك الأبـيض وولـدك وابـنتك مـن الإنـسـي سـيتفاجـآن مـما أعـرفـه عنك، وخاصة أنني ابنتك منـ...

وضعت فاطمة يدها على فم روزا، وهـي مرتعبة، لتقول:

-اسكتـي يا حمقاء، سيسمعكِ أحدهـم.

ابتسمت لها روزا بخبث ذئب بري، لتزيح يد فاطمة من على فمها، وهـي تقول:

- اتفقنا إذن، سيظل الأمر سرًا لو زوجتِني إياه وإلا....

اقتطعت جملتها، وهي تواجهها بنظرات حادة، لتقول قبل أن تختفي:

-أنتِ تعرفين ما يمكنني فعله.

تنفست فاطمة الصعداء، بعد اختفاء روزا، وكأن جبلاً أُزيح من على قلبها وهي تقول:

-لعنة الله عليكِ روزا، أتمنى أنا أن أنتهي منكِ للأبد.

تذكرت ما حدث في الماضي البعيد منذ أن كانت فتاة صغيرة... كان «ريحان» خطيبها لأول وحبها الوحيد وكان أقوى عفريت من الجن، تنهدت بألم وهي تتذكر آخر لقاء بينهما قبل أن يذهب للحرب، ولم يعد من وقتها.

اقترب منها يقبلها بشغف، وهو يقول:

-سأشتاق إليكِ فاطمة، لن أتحمل هذه المدة حتى نتزوج.

حاولت أن تفلت منه بخجل قائلة:

-ابتعد عني ريحان، لا يجوز اقترابك هكذا حتى نعقد القران.

ابتلع ريقه بصعوبة وهو ينظر إليها بشغف وجوع قائلاً:

-هيا بنا نعقد قراننا الآن، لن أنتظر.

أمسك بيدها وذهبا لأحد أصدقائه الحكماء ليعرض عليه الأمر، لم يبالِ وقتها لاعتراضها ومحاولة إثنائه عن الأمر، بعد قليل خرج كلاهما من عند الحكيم... ظلت تضحك بشدة على وجهه الذي تلون باللون الأحمر وهو يصيح بصديقه وينهره؛ لأنه لم يوافق على عقد قرانه.

زفر بضيق شديد، وهو يقول:

-أتسخرين مني لأنني لم أقنع الحكيم أن يزوجنا؟

حاولت أن تكتم ضحكاتها، وهي تقول:

- قلت لك لن يوافق من دون ولي أمري.

ثم اقتربت منه، وهي تمسك بيده قائلة:

-اهدأ حبيبي ريحان، سأجهز كل شيء لزفافنا حتى تعود من الحرب ونتزوج فورًا.

لم يحتمل اقترابها بهذا الشكل، ولم يحتمل أيضًا أن يتركها كل هذه المدة؛ فلولا والده لكان تزوجها قبل أن يذهب للحرب، ولكنه أصر أن يتم الزواج حين يعود.

أفكاره المشتتة جعلته يمسك يدها بقوة، ليختفي بها إلى غرفته، ولم يستطع وقتها التحكم في أعصابه فانهال عليه مقبلاً إياها، وفي لحظة واحدة جردها من ملابسها....

توقفت فاطمة عن استرسالها، حين سمعت صوت أقدام تتجه نحوها، واختفت على الفور بعد أن مسحت دموعها التي تساقطت مدرارًا على وجهها.

قالت روهان، وهي تصك أسنانها غيظًا:

-لا أفهم شيئًا من كلامك أبي...أرجوك كفى لفًا ودورانًا وأطلعني على الحقيقة كاملة.

اقترب منها محمود محاولاً تهدئتها:

-أنا لا أراوغ روهان... أنا أحاول أن أفهمك الأمر.

أجابته بضعف قائلة:

-حسنًا أبي، لقد قلت أن المدعوة روزا هذه كانت تحاول إثارة الجيش حتى لا يدخلوا في حرب مع الشياطين.. وأن نعمان والملك بعثا إلى هذا المسمى زيتون لينقذني.. وحاولوا مجاراة هذه الروزا إلى أن أعود، ما لم أفهمه إلى الآن.. ماذا يريد الشياطين مني؟؟

أجابها محمود بنفاد صبر:

-قلت لكِ يريدون الكتاب روهان.

قالت له بعدم فهم.:

-وأنا لا أعرف مكانه أبي.

حاول أن يوصل لها الأمر بهدوء حتى لا تفزع قائلاً:

-أولاً: هم لا يعرفون أنك لا تعلمين بمكانه.

-ثانيًا: عندما علموا بعدم معرفتك بالأمر، عادوا للبيت لأخذي، ولكن نعمان سبقهم حبيبتي.

شهقت روهان فزعًا، فلم يلقِ لها بالاً وأكمل:

-وأخيرًا والأهم أن الكتاب.

اقتطع جملته عند دخول نعمان الغرفة، وهو يشير إليه بتحذير حتى لا يخبرها...

حولت روهان نظرها بينهم، وهي تقول:

-ماذا تخفون عني؟

وجه نعمان كلماته لمحمود قائلاً:

-أريد أن آخذ روهان في جولة سريعة سيدي لو أذنت لي.

اقتربت روهان من والدها قائلة:

-لن أذهب إلى أي مكان حتى أعرف ماذا تخفون عني.

قبل أن يجيبها نعمان قال لها محمود:

-نعمان سيخبركِ بالأمر كله حبيبتي، لا تقلقي.. اذهبي معه ولا تتأخرا.

ظلت تنظر إليه للحظات، حتى اقترب منها هامسًا:

-سأذهب بكِ لمكانكِ المفضل.. ألم تشتاقي إليه؟

نظرت لوالدها بخجل، ليحثها محمود على الذهاب معه، فمدت له يدها، ليختفي بها نعمان في لحظات.. فتحت عينيها بعد عدة ثوانٍ فوجدت نفسها على نفس الأريكة وما زالت النافذة مفتوحةً من آخر مرة كانت معه فيها.. ما زال نعمان ممسكًا بيدها، يتشبث بها وكأنه يتأكد أنها عادت إليه.

اقترب منها وهي تتفحص المكان بعينيها وتتنهد براحة وكأنها كانت تشعر أنها لن تعود إليه مرة أخرى.

تلاقت أعينهما، فلم ينتظر كثيرًا ليحتضنها بقوة، قائلاً من بين أنفاسه الحارة:

-لقد اشتقت إليكِ حد الموت روهان.

أبعدت وجهها عنه، وهي تضع كفها على شفتيه ليقبل كل جزء من كفها .. شعرت بقشعريرة تسري في جسمها، فحذرته قائلة:

-لا تذكر لفظ الموت أمامي نعمان، لقد رأيته بعيني، فلا تذكّرني أرجوك.

توقف عن تقبيل يدها، وهو يشعر بالألم الشديد يغزو قلبه من دون ذرة رحمة، شعرت بتأنيب الضمير، وهي تذكّره للمرة الثانية أنه لم يستطع حمايتها فاقتربت هي منه؛ لتضع رأسها على قلبه قائلة:

-أريد أن أبقى هنا للأبد.

ضم نعمان حاجبيه، وهو يحيط وجهها بيديه قائلاً:

-ماذا قلتِ للتو؟

ابتسمت بخجل قائلة:

-لم أقل شيئًا.. أنت لا تستحق بموافقتك على الزواج بهذه الحية، حتى وإن كانت هذه خطة مدبرة بينك أنت والملك.

اقتطع جملتها بشفتيه، وهو يقبلها بشوقٍ دام لأكثر من ثمان ساعات تخيل فيها أسوأ الأمور.

ابتعدت عنه تلتقط أنفاسها، ليقول لها نعمان وهو يلهث:

-بانتهاء هذا اليوم ستكونين زوجتي.

اقتربت من أذنه، لتقول بضعف واستسلام:

-أنا موافقة... وقبل أن يلتقط انفاسه، أكملت، وهي ما زالت تهمس وقلبها يهدر بقوة انفعاله قائلة:

-وأحبك كثيرًا .

لم يستطع تحمل الأمر ليقبلها مرة أخرى بشوق أكبر وشغفه يتضاعف، ابتعدت عنه سريعًا، وهي تضم حاجبيها وتشير إليه قائلة:

-ولكن ليس قبل أن تخبرني بما لا أعرفه!!

لم يجبها بل مد يده إليها، نظرت ليده الممدودة قليلاً قبل أن تضع يدها لينتقل بها نعمان في لحظة واحدة إلى غرفة جدها المحصنة.

توقفت روهان في وسط الغرفة تنظر إليها بغرابة واندهاش، تردد وهي تدور فيها:

-أين أنا؟؟

أشار إليها أن تصعد على السرير... تذكرت الأمر حين نظرت للستائر المتدلية من فوق السرير المنقوشة بأحرف عربية بشكلٍ لم تره من قبل.

صعدت لتتمدد على السرير، وقبل أن يجلس نعمان بجوارها أسدل جميع الستائر وتأكد من تحصينها جيدًا .

شعرت روهان أن أن القادم أسوأ، فقالت بترقب:

- لماذا جئت بي إلى هنا؟؟

أجابها من دون تردد قائلاً:

-لأن هذا المكان الآمن الوحيد الذي أستطيع أن أقول لكِ فيه الحقيقة كاملة!

انتبهت له روهان بكل حواسها، ليكمل هو من دون مراوغة:

-الكتاب بداخلكِ روهان.

لم تستوعب كلامه في بادئ الأمر، ولكنها تداركت أمرها سريعًا، لتقول والدهشة تعلو ملامحها:

- لهذا خطفني الشياطين؟؟!

اندهش نعمان لتقبلها الأمر سريعًا، ولكنه أدرك أن أسئلتها لن تنتهي أبدًا منذ الآن، فأجابها:

- أظن أنهم لم يعرفوا بالأمر حتى الآن.

لتسأله مرة أخرى بتركيز أكبر:

-ماذا يحتوي هذا الكتاب؟

ابتسم وهو يقول:

-قلت لكِ من قبل أسرار الجن.

لم تقتنع بالأمر، فظلت تنظر إليه حتى رفع كفه قائلاً:

-حسنًا روهان... جدكِ الأكبر سخّر كثيرًا من الجن، وعرف منهم كثيرًا من الأسرار التي تخص طوائف المسلمين وطوائف الشياطين أيضًا..

لم يبح بأكثر من ذلك، ليكمل بعدها:

- هذا الكتاب لو أخذته الشياطين فسيقضون على جميع طوائفنا، لذلك يجب علينا حمايته.. وفي نفس الوقت هو فائدة عظيمة لنا في حربنا مع الشياطين، إن علمنا بنقاط ضعفهم من الكتاب؛ لهذا كان يجب عليّ حراسته.

أسرار كثيرة بدأت تتكشف لها،ولكن جملة واحدة لفتت نظرها، لتعيدها مرة أخرى قائلة:

-حراسته!! ألهذا اقتربت مني؟؟

لتسكت لحظة، وهي تضم حاجبيها مكملة:

- ولهذا تريد الزواج منـ...

أجابها نعمان مقتطعًا جملتها:

-ششششش روهان... لا تسترسلي بالأمر، أنا لم أعرف أن الكتاب بداخلك إلا حين اختُطفتِ... ولم أعرف أيضًا بأمر رؤيتك للجن كما قلت لك سابقًا.

شعرت روهان بالتيه للحظات، ليكمل هو:

- عائلتنا تحمي عائلة والدك منذ سنواتٍ طوال.. منذ أن انتهي جدك من الكتاب، وأنا أحميه وبعد أن توفيت انتقلت مهمتي لجدك، وبعدها عم والدك حافظ.. إلى أن تزوج بجدتي...

أوقفته روهان بيدها، وهي تقول:

-لحظة نعمان، لا أفهم شيئًا .. من تزوج من؟؟

تنهد نعمان وهو يقول:

-جدك حافظ عم والدك.

قاطعته روهان مرة أخرى قائلة:

-أخبرني والدي أنه توفى!

وقبل أن تكمل، ابتسم لها نعمان، فتوقفت ليقول هو:

-لم يمت روهان، هو تزوج جدتي، أم والدي الملك، وأنجب فاتنة عمتي.. ونحن اتفقنا أن نخفي الأمر؛ حتى لا يصل الشياطين إليه ولا أحد يعرف بأمره... ثم إن والدك أخبرك خارج هذه الغرفة، ولا يجوز أن تعرفي بأسرارنا سوى داخلَ هذه الستائر.

شعرت برأسها يدور، ولكنها تحملت الأمر لتقول بعدها:

-حسنًا أكمل .

فأكمل نعمان:

-وبعد أن تزوج جدكِ بجدتي، كان عليّ حماية والدك... مهمتي هي حمايتكم من بعيد، ولكن اقترابي منكِ كان بسبب توصية من عمتي فاتنة، كانت تريد الاطمئنان على والدكِ عن قرب.. وحين رأيتكِ لأول مرة، كنتِ طفلة صغيرة لم تبلغي من العمر عدة أشهر، نظرت لعيني طفلة كانت تبكي جوعًا، وأسرتني ولم أستطع التحرر من وقتها.

تنهدت روهان وهي تبتسم قائلة:

-كنت تراقبني منذ سنوات كثيرة ولم تمل مني؟!

ضمها إلى قلبه وهو يقول:

- أبدًا حبيبتي.. ولكنني تركتكِ منذ أن كنت في الخامسة وذهبت بعيدًا تاركًا أمر مراقبة والدكِ لأحد جنودي، ولم أعد سوى من ثلاث سنوات لأجدكِ بهذا الجمال!

ابتعدت من بين أحضانه، وهي تقول:

-إلى أين ذهبت؟؟

تنهد بألم قائلاً:

-لا مجال للحديث بهذا الأمر الآن، سأحكي لكِ كل شيء يخصني في وقت آخر حبيبتي.

هزت رأسها بحزن لتفلت دمعه من عينيها، فالتقطها نعمان سريعًا، وهو يقول:

- رغم أن في الأمر خطورة كبيرة علينا، ولكنني سأجازف وأجعلك تذهبين للاطمئنان عليهما.

تهللت أساريرها وهي تنزل من على حافة السرير بسرعة كبيرة تفز بفرح، ليبتسم نعمان وهو يقول:

-عدة دقائق فقط روهان، لن أحتمل تعرضك للخطر مرة أخرى.

أشارت إليه برأسها بالإيجاب، انتقل بها سريعًا إلى غرفتها، فهالها مظهر والدتها النائمة على سريرها، وما زالت تبكي بصمت... اقتربت منها روهان بحذر وهي تقول:

-أمي، ما بكِ حبيبتي؟!

انتفضت أميرة من نومها غير مصدقة أن ابنتها عادت وهي تقف أمامها.

احتضنتها بشدة وهي تبكي قائلة:

-لقد عدتِ حبيبتي، أحمد الله الذي استجاب دعائي.

ابتعدت عنها روهان برفق، لينفتح الباب وتدخل دانا مسرعة تركض نحو روهان، تتشبث بها هي الأخرى لتقول:

-أين أبي روهان.؟؟ ماذا حدث لكما؟!

أبعدتها روهان وهي تنظر لهما قائلة:

-لن أستطيع البوح بالأمر الآن.. أنا أتيت لأطمئنكم علينا، نحن بخير أنا وأبي، ولكننا في خطر وحين يزول سنعود إليكم على الفور.

شهقت أمها ودانا في صوت واحد، لتقول أميرة بفزع:

- معنى حديثكِ أنكِ ستختفين ثانية وتتركيني يا ابنتي؟

بدأت روهان بالبكاء، فأشار إليها نعمان أن يذهبوا، فلم تعره اهتمامًا وهي تقبل يد أمها قائلة:

-رغمًا عني أمي، لو كنت أستطيع، لكنت أخذتكما معي، ولكن...

توقفت عن الكلام حين وجدت عين نعمان تلونت باللون الأحمر القاتم، لينتفض بعدها قائلاً:

- هيا روهان! يجب أن نعود على الفور.

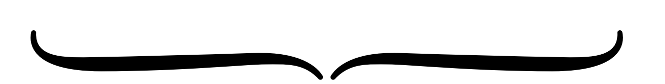
اقتربت منه بوجل معتقدة أن حديثها ضايقه بشكلِ ما لتهدئ من روعه:

-نعمان...

ولكنها قبل أن تكمل، قال لها:

-لقد قبضوا على زيتون روهان، هيا بنا الآن.

فزعت روهان ولم تتردد، فأمسكت بيده وهي تنظر لأميرة ودانا، اللتين تقفان بذهول تام لا تفهمان شيئًا ولا تعلمان مع من تتكلم... لتختفي بعدها روهان من أمامهما، وهما ما زالتا لا تستوعبان الأمر.



الفصل السابع عشر



بعد نصف ساعة من العويل والصراخ، أقنعتها دانا بعد عناد وبأعجوبة أن تأخذ مهدئ وتنام في غرفتها... أخيرًا استجابت أميرة للأمر، وذهبت لغرفتها وما زالت الدهشة ترسم ملامحها، وهي لا تعلم أين اختفت ابنتها وزوجها، ولكن على الأقل هي اطمأنت أنهما ما زالا على قيد الحياة...

بعد أن تركت والدتها، ذهبت لغرفتها هي الأخرى تدور بها كطاحونة تجلس لعدة ثوانٍ، لتنتفض مرة أخرى واقفة، تخطو لأول الغرفة ثم تعود سريعًا لآخرها.. شعور بالتيه يجتاحها ولا تعلم إلى متى ستظل هكذا ومن يستطيع مساعدتها!!

عند كلمة مساعدة، توقف عقلها للحظات، ظهرت فيها صورة لشخص واحد لم يخطر على بالها غيره، التقطت هاتفها سريعًا واتصلت به على الفور.

لم ينتظر حتى يطلق الهاتف رنينًا آخر، ليتلقى المكالمة بسرعة ولهفة، وكأن قلبه عاد إليه... ولكنه توقف بدهشه حين وجد دانا تتكلم بارتباك جعله لا يفهم شيئًا من حديثها.

أوقفها عز قائلاً:

-توقفي دانا لا أفهم شيئًا اهدأي قليلاً حبيبتي.

قوله حبيبتي بهذا الشكل جعلها تجهش بالبكاء وهي ما زالت تتكلم وتقول:

-لقد أتت روهان لدقائق معدودة ثم اختفت مرة أخرى، سأجن عز وأمي ستموت قهرًا، لا نفهم شيئًا وأريد مساعدتك أو مساعدة أي شخص يستطيع أن يخبرنا ماذا يحدث في هذا البيت اللعين؟!

تنهد عز وهو يشعر بقلق شديد لما يحدث، فقال لها:

-اهدأي حبيبتي، سآتي إليكِ الآن لتقصي الأمر بأكمله وسنجد حلاً إن شاء الله، فقط اهدأي أرجوكِ.

تركها مع زمردة التي تبكي، وحدة بكائها وصلت للنواح، حتى أن روهان لم تستطع احتمال الأمر، فوضعت كفيها على أذنيها لتمنع بعضًا من صراخ زمردة، الذي إن استمر هكذا، فستنفجر جمجمتها...

اقترب بني النعمان منها قائلاً بحزم:

-اسكتي زمردة، ستؤذين روهان!

توقفت للحظة، وهي تنظر إليه بلوم أنه السبب في اختطافه، وربما قتله..

فهم نعمان ما يدور بخلدها، فأدركها بالقول:

-كانوا سيقبضون عليه بأي حال زمردة، أنتِ تعرفين ذلك، أم نسيتِ أنه أسلم؟؟

ابتلعت ريقها، وهي ما زالت تبكي قائلة من بين شهقاتها:

-أستتركه يموت؟!!

وضع يده على كتفها قائلاً بعتاب:

-منذ متى تعرفين عني أنني أتخلى عن أصدقائي، وخصوصًا أنه من أنقذ حبيبتي، اهدأي زمردة، لن أعود من دونه.

تنهدت براحة، وهي تراه ذاهبًا إلى روهان ويقول لها:

-سأذهب مع رجالي لآتي به.. كوني بخير من أجلي.

شعرت روهان بانقباض قلبها لسببٍ تجهله، ولكنها فسرت الأمر بأن حبها الشديد له هو ما يجعلها مرتعبة عليه بهذا الشكل، وخصوصًا بعد أن رأت وكرهم وكيف أن مجرد دخولهم إلى هناك مخاطرة ليست هينة أبدًا!

ولكنها حاولت إخفاء رعبها، وقررت أن تدفعه بأمل حتى يعود إليها سالمًا، فأجابته قائلة:

-وأنا أنتظرك حتى نتمم زفافنا كما وعدتني.

ثم اقتربت من أذنه، وهي تقف على أطراف أصابع قدميها، وهمست له:

-الليلة ستكون لي وحدي.

ابتسم نعمان، وهو ينظر إليها بضيق قائلاً:

-تعرفين أنكِ محتالة، أليس كذلك؟!

ابتسمت له وهي تتصنع البراءة، فأمسك بكفها مقبلاً إياه، ليختفي بعدها سريعًا متقدمًا أقوى جنوده؛ ليذهبوا لمملكة الشيطان عزازيل....

توقفت روهان للحظات وهي تنظر لزمردة بألم، وتتخيل كيف كانت حالة نعمان حين كانت مختطفة.

التمعت عيناها للحظة، ثم اقتربت بسرعة من زمردة قائلة:

-أريد رؤية أبي حالاً!!.

ظلت زمردة تنظر لها لا تفهم ما تقوله، فهزتها روهان بقوة وهي تقول:

-لماذا تقفين هكذا كالبلهاء؟ أريد رؤية والدي ولا أعرف مكانه، اذهبي بي إليه سريعًا!!

انتفضت زمردة سريعًا وذهبت بها حيث والدها يجلس مع عمه حافظ... ركضت روهان نحوه بفزع قائلة:

-أبي، أنت تعرف تعويذة نحفظ بها نعمان؟

أجابها محمود وهو يضم حاجبيه:

-لا أحفظ تعويذة تخص الجن، أنا أحفظ ما يخص الإنس لأنني ألقيتها على أمكِ ودانا حتى لا يصل إليهما الشياطين.

انتبه لذكر نعمان، فتوقف قائلاً.:

-أين ذهب نعمان؟؟

أجابته سريعًا:

- لقد عرف الشياطين بأمر زيتون وخطفوه، وذهب نعمان مع بعض الجنود للإتيان به.

انتفض محمود قائلاً بفزع:

-ولماذا لم يخبرنِ قبل أن يذهب؟؟ لقد عرض نفسه لخطر محدق!

أسرعت روهان بالقول:

-هيا أبي بسرعة.

هز رأسه يمينًا ويسارًا بأسى، وهو يقول:

-تعويذة حفظ الجن في الكتاب روهان... لا أعرفها.

نظرت له بعدم استيعاب قائلة:

-والكتاب بداخلي أبي، أرجوك أخرجه فورًا .

اقترب منها قائلاً..

-حسنًا، ولكن لن نستطيع هنا يجب أن نذهب لمكانٍ آمن.

نظرت لزمردة قائلة:

-انقليني إلى الغرفة المحصنة في بيت جدي؟

أجابتها زمردة ببلاهة قائلة:

لا أعرف هذا المكان!!

تدخّل حافظ قائلاً:

-ممكن أن نذهب للغرفة السرية التي في المملكة، فأنا أعددتها بنفسي.

توجهوا جميعًا بأنظارهم إليه، ليكمل حافظ قائلاً:

-ولكني لا أستطيع دخولها من دون فاطمة أو الملك الأبيض.

صرخت بهم روهان قائلة بغضب:

-هيا أسرعوا أرجوكم.

استدعى حافظ فاطمة، لتأتي الأخيرة على عجل قائلة:

-ماذا يحدث هنا؟!

تكلم حافظ:

-نعمان ذهب ليأتي بزيتون من مملكة عزازيل.

شهقت الملكة الأم بفزع قائلة:

-وكيف ذهب دون أن يعلم أحد؟؟ ومتى اختُطف زيتون؟؟!

صاحت بها روهان قائلة:

- لا يوجد لدينا وقت كافٍ لهذه الأسئلة ملكتي، يجب أن نتصرف سريعًا، يوجد بداخل الكتاب تعويذة تحفظ الجان، ويجب على أبي إخراجها كي نحفظ نعمان، ولن نستطيع خارج الغرفة المحصنة أو السرية يجب أن نذهب إلى هناك حالاً.

أخذت الملكة بيدها هي ومحمود لتنتقل بهما للغرفة السرية، وهي تسب وتلعن روزا التي تعلم جيدًا أنها وراء ما حدث!!

جلست روهان على أحد المقاعد، ليجلس والدها بجوارها وتقف فاطمة تتوعد روزا بأغلظ الأيمان إن حدث مكروه لبني النعمان، فستقتلها على الفور .

فتحت له دانا باب الشقة، وتركته مواربًا خلفها، ليدخل بعدها عز إلى غرفة الجلوس مضطربًا، وشعورٌ بالخوف يجتاحه وهو يرى دانا باصفرار وجهها وبياض شفتيها مثل المرضى الذين لا شفاء لهم...

بصوتٍ مرتجف قال لها:

-ماذا حدث دانا؟!!

حاولت تنظيم أفكارها المشتتة، وهي لا تعلم أيهما أصح.. أن تخبره بقصة روهان من بدايتها؟ أم تقص عليه ما حدث فقط وتدعي عدم معرفة تفاصيل الأمر؟!

تنحنح عز لتخرج دانا من شرودها قائلة:

-سأقص عليك الأمر بأكمله عز، ولكن عدني بألا يخرج هذا السر من بيننا، وأن تبذل قصارى جهدك لمساعدتنا.

اقترب منها عز رافعًا كفه أمامها، وهو يقول:

-أقسم لك دانا أنني لن أتركك منذ هذه اللحظة.

قبل قليل...

دخل بني النعمان وجنوده إلى مملكة الشياطين بحذر شديد، ولغرابة الأمر لم يجد كثيرًا من الحراس! ظل يبحث عن مكان زيتون، يحاول سماع أي صوت صادر عنه ليستدل على مكانه..

بعد بحثٍ دام لثوانٍ قليلة، سمع همهمات تصدر من غرفة في آخر الرواق.

انتقل سريعًا للغرفة بعد أن أشار لبعض الجنود أن يقفوا على بوابة المملكة لحين استدعائهم، ثم أشار للبعض الآخر أن يظلوا خارج الغرفة، ليأخذ الباقي منهم داخل الغرفة المحتجز بها زيتون لتحريره، وجده مكبل الأيدي والأرجل ملتصقًا بالجدار، أشار إليه زيتون أن يبتعد، فضم نعمان حاجبيه، وعندها فهم أنها مكيدة، كانت تحاوطه الشياطين من كل جانب حتى فاقوا أعدادهم بأضعاف كثيرة.

دخل عزازيل يمشي بزهو وخيلاء، وبوجهه الأسود وعينيه الحمراوين المبغضتين كبغض قلبه، يوجه حديثه لزيتون قائلاً:

-أحسنتَ بني، لقد وفيت بوعدك وجعلته يأتي إلى الموت بنفسه.

نظرات الشك بالخيانة بعيني نعمان جعلت زيتون يشير برأسه يمينًا ويسارًا حتى لا يصدق، ولكن وقوف عزازيل حال بينهما، وهو يضحك باستهزاء، ليتردد صدى ضحكاته في جدران القصر بأكمله، فتجعل القلوب تتهاوى رعبًا.

توقف عن الضحك، وهو يقول بتفاخر:

-أتظنه حقًا يحب تلك المسماة زمردة، أو أنه بدل دينه من أجلها؟؟ لم أكن أتخيلك بهذا الغباء أيها القائد العظيم... أم أن الإنسية ذهبت بعقلك؟ لم أكن أريد غيرك أنت.

اقترب منه بأنفاس كاللهب، وفحيح كريه ليكمل:

-بسببك أنت تنتصر طوائف المسلمين في كل الحروب... ومع وجود الكتاب بداخل حبيبتك، فلن نستطيع الاقتراب منها إلا في حال موتك.

صك نعمان أسنانه وهو ينظر إليه بغضب شديد، حتى كاد أن يضربه ضربة تودي بحياته، ولكن الشياطين تكالبوا عليه مقيدين إياه من الجانبين.

زفر نعمان بقوة وهو يقول:

-لن تفلت بفعلتك عزازيل، وأعدك أنه لن يقتلك أحد غيري بعد أن تترجاني أن أزهق روحك المعذبة في الأرض قبل أن تصعد إلى جهنم وبئس المصير.

أطلق ضحكاته المستهزئة مرة أخرى وهو يقول:

-ألم أقل لك أنك ستموت اليوم أنت وجنودك الأعزاء؟

وقبل أن ينهي كلماته، أفلت بني النعمان يديه سريعًا من شدة غضبه، ليستدعي باقي جنوده بصوت مرتفع حتى اجتمعوا حوله سريعًا.

ليبدأ هو بضرب الشياطين واحدًا تلو الآخر، حتى استطاع أن يحرر باقي جنوده المكبلين، ولكن عدد الشياطين كان كبيرًا جدًا، فلم يستطعوا التغلب عليهم،

وخصوصًا عندما التف حول بني النعمان أكثر من مئة جندي يضربونه في أجزاء متفرقة من جسده ضربات متعددة، حتى هوى على الأرض في النهاية بعد أن استطاع أن يصيب عزازيل، ليختفي الأخير سريعًا تاركًا إياهم يتقاتلون.

وفي خضم المعركة الدامية، استطاع زيتون أن يزيح الكمامة من على فمه، ليتكلم مع أقرب جندي تابع لبني النعمان صارخًا به:

-فك قيدي سريعًا لأخرج بكم من هنا، بني النعمان لن يستطيع الصمود، وأنتم لن تعرفوا مكان الخروج... هيااااااا!!

للحظة شعر بالقلق نحوه، ولكنه عندما وجه نظره لبني النعمان الملقى على الأرض تتجمع حوله الشياطين يطعنوه بالسيوف في كل جزء من جسده، لم يجد حلاً أمامه، فانطلق سريعًا لتحرير زيتون، الذي بدوره ركض بسرعة البرق حاملاً نعمان من أيدي الجنود وآخذًا ما تبقى منهم حيًا عائدًا لمملكة الملك الأبيض.

حين حاول الشياطين اللحاق بهم، أوقفهم عزازيل قائلاً بابتسامته الخبيثة:

-اتركوهم يذهبون.

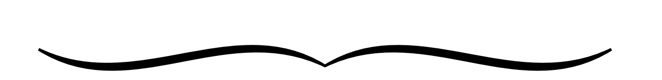
سأله أحد الجنود المقربين:

-بني النعمان لم يمت بعد!! وماذا عن زيتون؟

أوقفه عزازيل بإشارة من أصبعه قائلاً:

-بني النعمان لن يصل لمملكته حيًا.. وزيتون سيقومون هم بقتله لأجل خيانته لهم.





الفصل الثامن عشر

دخل زيتون مسرعًا، وهو يحمل بني النعمان بين يديه إلى مملكة الملك الأبيض وهو يصيح بصوت مرتفع ويرتجف خوفًا... حتى اجتمعت المملكة بأكملها في فزعٍ تام!!.

تبعه جنود بني النعمان المصابين جراء المعركة يلهثون من التعب ويتأوهون بألم من جروحهم، أسرع الملك الأبيض وسط الجموع ليرى ماذا يحدث، هاله رؤية ولده وفلذة كبده ملقى على الأرض ينزف من كل جسده!! همهمات الجموع أربكته بشدة، فأطرق بعصاه على الأرض؛ ليسكت الجميع ويصيح هو بصوته الجهوري يستدعي الأطباء سريعًا.

وعند دخول الأطباء ركضت فاطمة لتجد حفيدها الأحب إليها ممددًا على الأرض يحاول الأطباء إسعافه قبل أن توافيه المنية.. وضعت يدها على فمها لتشهق ببكاء مرير مرددة:

-أنا من ساعدتها!!... أنا من ساعدتها!!..

اصطف بعدها الجميع بجوار بعضهم البعض يتقدمهم الملك بجواره فاطمة ويقف بجانبها زوجها حافظ. ينظرون للأطباء الذين يبذلون قصارى جهدهم لإنقاذ بني النعمان وسط المملكة بأثرها!

حاول الملك أن يجعلهم ينتقلون لمكان آخر بعيدًا عن جموع الجن، ولكنهم لم يريدوا المجازفة بأن يأخذوه لمكان آخر؛ فربما كانت هذه الثواني كفيلة بإنقاذه،

خرجت روهان من الغرفة السرية يتبعها محمود وزمردة، ليجدوا القصر خاويًا من سكانه.. ضمت روهان حاجبيها تعجبًا، التفتت يمينًا ويسارًا وهي تقول:

-ماذا يحدث؟ أين الجميع؟

فزعت روهان عند رؤية زمردة تصرخ عاليًا وهي تردد:

- نعماااااان.

انقبض قلبها بشدة، لتصيح بها روهان وهي تهزها:

-ما به تكلمي؟؟

أخذت بيدها هي ومحمود لتنتقل بهم سريعًا إلى مكان بني النعمان وسط المملكة وجميع ساكنيها من حوله، تركت يد زمردة التي سبقتهم للداخل لتقف بجوار زيتون، وهي تبكي حين رأت حالة نعمان والأطباء من حوله.

يظهر أحدهم ليختفي الآخر، ويظهر الآخر ليختفي أحدهم وهكذا.

بدأت روهان تقترب بصعوبة، بعد أن توقفت للحظات لتستوعب الأمر.. تحاول محاولة البائس إقناع نفسها أنه بخير قائلة:

-اهدأي روهان لا تفزعي.. من الجائز أن يكون مصابًا فقط.

لتقترب خطوة أخرى، فيئن قلبها مرة ثانية...

-يا إلهي! ماذا إن أصابه مكروه؟؟

لتنفي الأمر سريعًا:

-مستحيل!! أبي، أرجوك ألقِ عليه تعويذة حماية وأكد لي أنه سيكون بخير.

اخترقت الجموع وهي مرتعبة أن تخطو خطوة ثانية، بدأت تنظر لوجوه الواقفين بملامحهم الفزعة، لتبكي بعدها بصمت حتى وصلت إليه، لم تستطع رؤيته في بادئ الأمر بسبب تجمع الأطباء حوله، حتى بدأوا يتحدثون للملك بكلمات لم تلتقطها أذناها، شعرت بحد سيف ينغرز بقلبها مباشرة، حين رأته ممددًا على الأرض بين طبيبين آخرين يقفان جانبًا يتكلمان بأمرٍ ما...

لم تستطع قدمها أن تحملها أكثر دقيقة أخرى هي ما احتاجته لتهوي بجانبه على ركبتيها... صمت أذنيها نهائيًا، فلم تسمع حديث الأطباء، رغم وجودها قربهم ولا حتى تذمر البعض منها، عيناها لا تريان سواه وقلبها توقف عن الخفقان، لتبدأ هذيانها قائلة:

-حمدًا لله على سلامتك حبيبي... لماذا تغلق عينيك هكذا؟

لتبتسم بعدها وهي تقول:

-لأول مرة أراك نائمًا نعمان! هيا استيقظ حبيبي؛ فاليوم زفافنا كما وعدتني.

اقترب منها محمود من جانب، وحافظ من الجانب الآخر، يمسك كلٌ منهما معصمها، يحاولون إيقافها لتذهب معهم.

قال لها والدها برجاء:

-قفي روهان، هيا بنا حبيبتي.

رفعت رأسها لمحمود، وهي ما زالت جاثية على ركبتيها قائلة بتذمر:

-لمَ هو نائم ولا يتحدث معي أبي؟ لقد أخبرتني أنه سيعود سالمًا؟؟

بدأت دموعه تتساقط حزنًا على ابنته، التي تعاني من صدمة حقيقية، وهو لا يستطيع فعل شيء لها، دخلت روزا في نفس الوقت تركض سريعًا، لتتنحى لها الجموع، وهي تقول بفزع:

-ماذا حدث له؟؟

توقفت حين رأت روهان جاثية بقربه… نظرت إليها بغل، لتبث سمها قائلة وهي تشير إلى روهان:

-كل مصائبنا بسبب هذه الإنسية اللعينة.

لتكمل بصراخ أعلى وهي تنظر للجميع:

-لقد أصيب قائدنا وهو ينقذ الشيطان الذي أنقذها.

تمالك محمود نفسه بشق الأنفس متجاهلاً روزا تمامًا وهو يقول لروهان:

-هيا بنا روهان أرجوك.. هيا حبيبتي سيكون بخير إن شاء الله

لم تستجب له ولم تنظر حتى إلى روزا كأنها لا تسمع ولا ترى أحدًا قط ولا حتى تشعر بهم.

اقتربت من نعمان وهي تهمس قرب أذنه قائلة:

-هيا حبيبي افتح عينيك من أجلي.

نظرت لها روزا، وهي تحترق بداخلها لتحاول الاقتراب منها بغل وحقد قائلة:

-ابتعدي عنه أيتها اللئيمة، سيموت بسببك.

ترك الملك الأبيض الطبيب، الذي كان يحدثه منذ قليل، وهو يرى البعض قد بدأ بالنظر لروهان بغضب، ليقترب من روزا سريعًا وهو يصرخ بوجهها:

-ابتعدي أنتِ الآن عن وجهي، ولا أريد سماع صوت أحد على الإطلاق.

ليصرخ بهم..

-اذهبوا جميعًا من أمامي.

انسحبت روزا ببطء، وهي تصك أسنانها غيظًا، وتسب روهان بأبشع السباب، حتى اختفت وهي لا تعلم أن فاطمة تراقبها، لتمسح الأخيرة دموعها بحدة وتتبعها سريعًا، انسحب الجميع من بعدهم، بعضهم تأكد من موت نعمان؛ ولهذا يرون الملك بهذه الحالة المزرية...والبعض الآخر ذهبوا وهم يدعون لبني النعمان بالشفاء، حتى زمردة ظلت تبكي، إلى أن أخذها زيتون مع باقي الجنود لتذهب بهم إلى مملكتها ليطببوا جروحهم، أحكم محمود قبضته على روهان ليسحبها بقوة بعد أن خلت القاعة إلا من الملك والأطباء وعمه حافظ؛ مما جعلها تصرخ قائلة:

-نعماااااان! لا تتركني!!

وكلما ابتعد بها، ازداد صراخها عاليًا..

-أرجوووك نعمااان استيقظ.. استيقظ من أجلي حبيبي!!!

وظلت تصرخ، وهي تردد اسمه هكذا حتى فقدت الوعي، ووالدها يقف عاجزًا عن التفكير.

دخلت فاطمة خلفها، والغضب يسيطر على كل حواسها، لتسحب روزا من شعرها وهي تقول:

-سأقضي عليكِ الآن أيتها الحقيرة... لقد حذرتكِ من أن يُمس بأذى.

حاولت روزا أن تتكلم، فأفلتت فاطمة شعرها لتبدأ بصفعها بقوة شديدة...

شهقت روزا من المفاجأة، لتقول سريعًا برجاء:

-اهدأي أمي أرجوكِ، أنا حذرت هذا الغبي من أنـ...

لم تكمل جملتها لتنهال عليها فاطمة بصفعات متكررة، حتى بدأت تنزف من فمها، سقطت روزا على الأرض، فرفعتها فاطمة مرة أخرى لتكمل ضربها.

أمسكت روزا يد أمها بقوة، وهي تقول:

-يكفي هذا.

سحبت فاطمة يدها، وما زال الغضب يسيطر عليها، وهي تنظر إليها بعينين تكادان تخرجان من محجريهما غضبًا، وهي تقول:

-سأقتلكِ روزا... صدقيني سأفعلها.

ضحكت روزا وهي تمسح جانب فمها وتنظر إليها بطرف عينها قائلة:

-لن تستطيعي أمي العزيزة، أنتِ أضعف من ذلك.

اقتربت فاطمة بوجهها تصك أسنانها بغيظ، وهي تشعر بالضعف أمام ابنتها التي تجسد الشر بجميع حالاته، حتى أنها تخطت الشياطين بمراحل!

ضيقت عينيها الحمراوين وهي تقول:

-اختبريني إذًا!!

ناطحتها روزا بالقول:

- لو كنت أشك للحظة أنكِ تستطيعين أذيتي، لكنت ذهبت لزوجك ولولدك من سنوات أخبرهما بما أعرفه من أسرار عنك، وقتها سيقتلك الحكماء بتهمة الزنا ولن يستطيع الملك حينها فعل شيء، وكنت أنا سآخذ وضعي كأخت للملك، بدلاً من كوني مجرد وصيفة للملكة الأم.

ظلت تنظر إليها فاطمة لعدة ثوانٍ قبل أن تقول:

-أنتِ لم تفعلي هذا من أجلي، أنتِ فعلتِه لأجل بني النعمان، وأنتِ تعلمين وقتها أنه سيستحيل عليك الاقتراب منه لكونك عمته الحبيبة.

لم تجِد روزا بوجهها وهي تنظر لأمها بتمعن تحاول استنباط ما تفكر به، لتفاجئها فاطمة بالقول:

-سأوفر عليكِ تعبكِ حبيبتي وأخبر الملك بكل ما حدث، وسأضيف أيضًا أنكِ السبب فيما حدث لولده العزيز، وأنك أنتِ من وشيتِ بزيتون لكي تنتقمي منه لمساعدته في إعادةَ روهان.

ابتلعت روزا ريقها بصعوبة، لترتجف عيناها وهي تقول:

-لن تستطيعي فعلها أمي؛ ستموتين وقتها.

ابتسمت فاطمة بانتصار، وهي تحدد وجهتها قبل أن تلتفت لتختفي تمامًا تاركة روزا خلفها تهدر بالقول:

-ستموتين أيتها الملكة أتسمعينني؟ ستموتين إن فعلتِها.

وقفت دانا أمام والدتها تصك أسنانها، وتحاول بكل هدوء أن توقف أميرة عما تنوي فعله قائلة:

-أرجوكِ أمي، نحن أناس متعلمون ومؤمنون بالله، لا يجوز بنا التصرف هكذا كالجهلاء.

أدارت ظهرها لتكمل ارتداء باقي ثيابها متجاهلة دانا، التي تقف خلفها تحاول إثناءها عن الذهاب للمشايخ، كما تطلق أميره عليهم.. ولكنها عزمت أمرها، ولن تتوقف حتى تعرف أين اختفى زوجها وابنتها لتسترجعهما، حتى وإن دفعت كل ما تملك وتهاونت بكل ما آمنت به من قبل،

انتهت من ارتداء ثيابها، واتجهت ناحية باب الشقة تاركة دانا خلفها ترتدي حذاءها، وهي تتعثر لتذهب معها قائلة:

-انتظريني أمي أرجوكِ.

استطاعت أخيرًا اللحاق بها عند آخر السلم، لتمسك بيدها وهي تقول:

-حسنًا أمي سأفعل ما يريحك ولن أعترض، ولكن على الأقل دعيني أكلم عز الدين على الهاتف ليأتي معنا؛ حتى يكون هناك رجلاً بجوارنا ولا يستغلنا أحد من هؤلاء الدجالين..

زفرت أميرة بقوة وهي تقول:

-موافقتي أن يكون عز هذا بجانبنا على أن تتم خطبتكما حين عودة والدك وأختك لا يعني أن تقحميه في كل ما يخصنا دانا.

قبلت دانا يد أمها وهي تقول:

-أرجوكِ أمي اسمعيني، أنا لا أفعل هذا للتقرب منه، أنا أفعله

لمصلحتنا حتى لا نقع في ورطة، وأعدك لن يتكلم عز ولن أجعله يتدخل بشيء.

ظلت تنظر إليها برجاء، حتى قالت أميرة وهي ما زالت تزفر:

- حسنًا دانا اتصلي به.

ثم رفعت سبابتها لتكمل:

-ولكني لن أنتظره، سنذهب سويًا إلى العنوان الذي أعطته لي خالتك «هنية»، وهو يستطيع اللحاق بنا إلى هناك.

تنهدت دانا بيأس، بعد أن كانت تأمل أن عز سيستطيع معها إقناعها في العدول عن هذا الأمر، ولكن أميرة تعرف ابنتها جيدًا؛ لهذا قطعت عليها طريقها بعدم انتظاره.

أجابتها دانا بإحباط:

-حسنًا حبيبتي كما تريدين...

دخلت فاطمة للغرفة السرية، يتبعها الملك ميمون والد زمردة، وهو ينظر إليها بتعجب على استدعائها السريع له وتصميمها أن يتكلما داخل الغرفة السرية في حين انشغال الملك الأبيض مع بني النعمان وباقي الجنود....

جلست فاطمة وهي تشير لميمون أن يجلس أمامها، كانت بملامح تحمل مزيجًا من الغضب مختلطًا بذنب عظيم، بدأت بالحديث وهي تفرك يدها قائلة:

-لا تثق تمامًا بما تفعله، ولكن روزا لم تترك لها خيارًا آخر!

-أنت تعرف يا ميمون أنني أعتبرك مثل أخي الأصغر منذ مئات السنين.

دومًا كان يراها ملكة منذ أن كان فتى صغيرًا، مشيتها المتعالية بفخر وتصرفاتها الحنونة معه، وتفضيله عن باقي أخواته ليصبح الفتى المدلل لملكة المستقبل فاطمة.

أجابها ميمون بسعادة، وهو ما زال يراها تلك الفتاة فائقة الجمال:

-نعم ملكتي، وأنتِ تعرفين مدى أهميتكِ عندي.

نظرت إليه للحظات قبل أن تقول:

-أنت تذكر ريحان، أليس كذلك؟؟

ضم ميمون حاجبيه وهو يقول:

-نعم ملكتي أذكره جيدًا، فقد كان يدللني كثيرًا، بعكس أخيه الملك برقان الذي عاملني دومًا كملك يجب أن يتصرف كالملوك.

ثم توقف، وهو يستشعر شيئًا خطيرًا جعله يقول:

- ما الذي ذكرك به الآن؟

اقتربت منه فاطمة وهي تقول:

-قبل أن أخبركِ بأي شيء يجب أن تعدني أن ما سنقوله في هذه الغرفة لن يخرج منها مهما حدث.

أجابها وهو يقسم قائلاً:

-أقسم لكِ ملكتي أن حديثنا لن يخرج من هذه الغرفة، وإن مت من أجله .

تنهدت فاطمة براحة وهي تقول:

-الآن اطمأنت نفسي تمامًا، سأحكي لكَ الحكاية من بدايتها، وأتمنى منك مساعدتي أخي ميمون.

أجابها ميمون قائلاً بثقة:

-مملكتي بأكملها رهن إشارتكِ سيدتي.

بدأت فاطمة بسرد حكايتها قائلة:

- أنت تعرف أنني كنت مخطوبة إلى ريحان قبل أن أتزوج أخاه الملك برقان بسنة واحدة.

أشار لها برأسه، لتكمل هي:

-خطبني ريحان في سن صغيرة، كنت أحبه كثيرًا، بل كنت أعشقه كما لم تعشق فتاة خطيبها من قبل، كان يدللني وكان حنونًا ومحبًا.. حتى أن جميع فتيات مملكتنا كنّ يحسدنني عليه، وخصوصًا أنني سأصبح ملكة حين يتولى هو العرش..

ولكن قبل أن نتزوج بعدة شهور، نشبت حرب بيننا وبين مملكة الشياطين الأرضيين... وقتها قرر الملك أن يقود ريحان الحرب؛ لأن أخاه برقان كان مشغولاً بأمور أخرى، ولم يكن يعلم كثيرًا بأمور الحروب وهكذا.

تنهدت عدة تنهدات وهي تعيد شريط ذكرياتها للخلف بألم، لتكمل بعدها قائلة:

-حاول ريحان أن يقدم موعد العرس، ولكن والده لم يوافق، وأصر عليه أن نتزوج حين يعود من الحرب بعد انتصارٍ عزيز.

يومها غضب ريحان بشدة، وقرر أن يتم زواجنا من دون علمهم.. حاولت وقتها أن أمنعه، ولكنني خفت من غضبه، فوافقت مكرهة، أخذني لأحد الحكماء من أصدقائه لنعقد قراننا، ولكنه لم يوافق لعدمِ وجود ولي، وأن هذا لا يجوز شرعًا وسيصبح زواجنا باطلاً.

خرج من عنده وغضبه يتصاعد، ذهبت معه لأحد الأماكن المفضلة لدينا؛ علني أهدئه وأحاول أن أثنيه عما يريده، ولكنه فاجأني وقام.

توقفت فاطمة وهي تشعر بالخزي والحرج، ففهم ميمون مقصدها ليقول:

-حسنًا ملكتي وماذا بعد؟

ابتلعت ريقها بصعوبة، لتكمل بأسى قائلة:

- اكتشفت بعدها أنني أحمل بطفل، أصبحت أدور حول نفسي لا أعرف ماذا أفعل.. اعتزلت أهلي وبدأ اختفائي يتكرر، وأنا على أمل أن يعود ريحان ونتزوج سريعًا، وينتهي هذا الكابوس، ولكن عقاب ربي كان أشد، حين جاءنا خبر وفاة ريحان عند عودته منتصرًا.

تكلم ميمون قائلاً:

-سمعت وقتها بأمر وفاته، ولكنني لم أعرف كيف مات برغم انتصاره.

أكملت فاطمة قائلة:

-عند عودته اختفى تاركًا جنوده عائدين ليذهب هو للمملكة الكبرى باحثًا في عمق البحار عن هدية مميزة لزفافنا.. فتبعه فريقٌ من الشياطين ليتكالبوا عليه في معركة دامية أدت لوفاته على الفور، قبل أن يستطيع الانتقال سريعًا إلى مملكتنا.

تنهدت، ليحثها ميمون أن تكمل... فامتثلت للأمر قائلة:

-اختفيت بعدها تمامًا، وفسر الجميع الأمر بأنني حزينة على وفاته، وتفسيرهم كان جزءًا من الحقيقة، والجزء الآخر كان حتى أنجب ابنتي منه.

ظللت أفكر ماذا سأفعل بها حين تأتي، تعرفت على سيدة كانت ترعاني خلال فترة حملي القصيرة، ولم أخبرها وقتها حقيقتي ولا من أنا، وحين أنجبتها تركتها لهذه السيدة على وعد مني بالعودة من أجلها وزيارتها باستمرار، وحين عدت للمملكة أخبرني أبي أن الملك يريدني لابنه الثاني، الملك برقان، تعويضًا لي على حزني من أجل ريحان.

حاولت أن أعترض وقلت لهم أنني لن أتزوج على الإطلاق، ولكن لم يسمعني أحد وأصر الملك وقتها على تزويجي من ابنه الثاني، ولي العهد والملك من بعده.

تزوجته وأنجبت الملك الأبيض بعد زواجي مباشرة، كنت أزور السيدة التي ترعى ابنتي باستمرار، حتى أنني أخبرتها بأني والدتها ولكنها لا تستطيع العيش معي لظروف خارجة عن إرادتي، ومع بكائها المستمر حين أذهب وإصرارها على العيش معي، أقنعت السيدة مزيدة أن تأتي لمملكتنا تعيش بها، وافقت بصعوبة، وساعدني ذلك وفاة زوجها؛ فلم يبقَ لها أحدٌ يرعاها.

عاشت بيننا، وأخذت عهدًا على ابنتي ألا يعلم أحد أنها ابنتي، وفت بالعهد حتى أصبحت فتاة راشدة وأصرت أن أخبرها الحقيقة بأكملها، أخبرتها عما حدث وأخذتها معي للقصر وأخبرت الجميع أنها وصيفتي وفتاتي المقربة.

أوقفها ميمون بيده، وهو يقول مرتعبًا:

-لا تخبريني أن الفتاة التي تقصدينها هي روزا.

وقفت فاطمة فزعًا، لتقول:

- ماذا بها روزا؟

قرر أن يؤجل أخباره السيئة حتى يعرف باقي القصة، فقال لها:

- سأقول لكِ عندما تكملين الحكاية...

أكملت فاطمة على عجل وقلبها يقرع داخل صدرها:

- تزوج الملك الأبيض وهو صغير السن، على عكسك أنت، وذلك بناءً على رغبة والده، وأنجب بعدها ولده الأكبر بني النعمان، وحين رأته روزا جُن جنونها وبدأت تتحدث بأنها تريد أن تتزوجه وأنه لها، ومن هذه الأمور المخزية حاولت بعدها مرارًا وتكرارًا أن أحاول إفهامها أنه لا يجوز، ولكنها لم تقتنع أبدًا، وكلما يكبر بني النعمان ويقوى يجن جنونها أكثر، مع أن بني نعمان يعاملها كأخت له ولا تستطيع تجاوز حدودها معه؛ لأنه دائمًا يوقفها عند حدها إلا أنها أبدًا لم تفقد الأمل؛ وظلت تتقرب إليه إلى أن علمت بأمر زواجه من زمردة واتفاقك مع الملك الأبيض، أصبحت امرأة أخرى تهددني ليلاً ونهارًا بأن تفضح أمري وتخبر المملكة بأكملها عن خطيئتي.

كنت أظن في بادئ الأمر أنها تهذي ولكن كل يوم يمر يزداد جنونها أكثر، حتى أنني كدت أن أطاوعها وأزوجها له بإقناع الملك الأبيض أن زواجه بروزا أفضل من زواجه بالإنسية... ووافقني الملك على رأيي إلى أن صُدمت بأن الكتاب داخل روهان.

وافق وقتها الملك على زواجه من روهان، بل ودفعه لذلك لأجل سلامتنا جميعًا حينها ظهرت روزا بوجه الشياطين... وذهبت بالفعل لعزازيل، ولا أعلم علامَ اتفقت معه، ولكنني موقنة أنها وراء ما حدث لبني النعمان وجنوده.

تلكأت وهي تقول:

-وكانت السبب أيضًا في خطف روهان.

وضع ميمون يده على وجهه بغضب وهو يقول:

-اليوم فقط أخبرني ولدي الأكبر قاصف أنه على علاقة بها ويريد أن يتزوجها.

شهقت فاطمة بفزع وهي تقول:

-ماذا؟؟؟

لتتوقف بعدها قائلة:

-حافظ يستدعيني يجب أن أذهب الآن، ولكن لنا لقاء آخر لنقرر فيه ماذا سنفعل معها.

ضم الملك ميمون حاجبيه، ليمسك بيد فاطمة قبل أن تختفي قائلاً:

-الموضوع انتهى ملكتي، روزا يجب أن تموت؛ لقد خانتنا جميعًا.

الفصل التاسع عشر

جلس محمود بالقرب منها لتتساقط دموعه وهو ينظر إلى ابنته التي شق الوجع صدرها حتى فقدت الوعي، اقتربت منه فاتنة لتجلس بجواره وهي تربت على كتفه كما كانت تفعل منذ صغرهم قائلة:

-اهدأ قليلاً محمود، سيكون كل شيء على ما يرام.

التفتت إليها محمود قائلاً والألم يعتصره:

-لهف قلبي على دانا وأميرة، أريد أن أطمئن عليهما، ولا أستطيع ترك روهان بمفردها هنا، لا أعلم ما يجب عليّ فعله فاتنة؛ فأنا بين نارين كل منهما تحرقني.

تنهدت فاتنة، وهي تشعر بالألم لأجله قائلة:

- لا تخف على دانا وأميرة؛ فهما في أمان بعيدًا عن ممالك الجن، ولا يعرف أحد بأمرهما، وأنت أخبرتنا أنك ألقيت عليهما تعويذة حماية تبعد عنهما شياطين عزازيل.

زفر بضيق وهو يجفف دموعه قائلاً، والقلق يسيطر عليه:

-أنتِ لا تعرفين أميرة هي رقيقة جدًا ولن تتحمل غيابنا كثيرًا، وأخاف أن تفعل شيئًا يضرها.. فأنا أعرفها جيدًا حين تشعر بالخوف.

جسدها أصابه الألم، وقلبها انتفض وهي تتذكر حينما كانت تراقبه كيف كان يدللها كابنتيه، بل أكثر منهما!!

وكيف كان يبثها عشقه الذي كانت تمتلكه هي! تنهد محمود، وهو يرى عيني فاتنة قد تحولتا للهيب من نار، فاقترب منها قائلاً:

-لقد أبعدتني عنك بأسوأ طريقة فاتنة... كنت أتمزق وأنت تخبريني أنني كنت مجرد صديق لكِ وأنك تحبين أحدًا منَ أقاربك وستتزوجينه.

أوقفته فاتنة بإشارة من يدها، لتظلم عيناها وهي تقول:

-لا داعي للحديث بالماضي محمود، هذا قدرنا وقد رضيت به منذ سنواتٍ طوال.

تململت روهان في نومها، وهي تقول بصوتٍ واهن:

-أين أنت نعماااان؟

لتفزع فاتنة في نفس اللحظة، وتصرخ بصوتٍ ارتجت له الغرفة رجًا:

-لقد مااااات بني النعمااااان.

ظلت تدور في شوارع ضيقة تسأل هذا وذاك ، سألت رجلاً نظر لها بغرابة وهو يشير إليها أن تمر بشارع آخر، لتتأفف دانا وتذهب كما أشار لها الرجل الغاضب...

لتجد نفسها في مفترق طرق وأمامها مباشرة سوق كبير يعج بأناس كثيرة من مختلف الطبقات، أشارت لإحدى السيدات التي تتجول في السوق كي تسألها عن مكان الشيخ «جابر مبروك».

أجابتها السيدة وهي تمصمص شفتيها بتعاطف، قائلة وهي تدلها على الطريق:

-تدخلين إلى الجانب الأيمن، وبعدها ستجدين ممرًا ضيقًا في آخره مقابر جماعية، وفي نهاية الطريق ستعثرين على منزل الشيخ جابر.

ارتعدت دانا عند ذكر المقابر، لتشكرها بعدها على مساعدتها بصوت مرتعش، فتجيبها الأخيرة:

-لا عليكِ بنيتي، شفاكِ الله وعافاكِ.

لم تعلق دانا، واكتفت بأن تنظر لأمها برجاء قائلة:

-أرجوك أمي دعينا نعود؛ فأنا مرتعبة، وأثق أن هذا الشيخ لن يساعدنا، وأخاف أن ما سيفعله سيضر أبي و روهان.

التفتت لها أميرة بحدة وهي تقول بغضب:

-أتجرؤين أن تقولي مرتعبة وأنتِ وسط خلق الله يحيطون بك من كل مكان، وأختكِ وأبوكِ يعلمُ الله أين هما مختطفان ومعَ من يجلسان؟

لتكمل، وغضبها يتصاعد:

- اتركيني هنا، سأصل بمفردي، وعودي للبيت لتتخفي بأي غرفة كالجرذان.

زفرت دانا بضيق وهي ترى أمها تصر على ما تفعله، فتجاهلت اتهامها بالخوف، لتحاول إقناعها بالمنطق قائلة:

-لقد أتت إلينا روهان لتطمئننا أمي، ووعدتنا أن تعود هي وأبي ليشرحا لنا الأمر، ألا ترين أن هذا كافيًا؟؟

حدجتها أميرة بنظرة تعرف دانا نهايتها جيدًا وهي أن أميرة لن تتراجع أبدًا عما نوت فعله، فاستمرت في الطريق الموصوف لها حتى وصلت لبيت الشيخ جابر، الذي يقطن في مكانًا مهجورًا فعليًا تملكها الرعب حين رأت رجلاً ضخمًا يقترب من السيارة لينقر على زجاج النافذة بجوارها عدة نقرات، حتى أزاحت الزجاج لتسمع ما يقوله:

-ما الذي جاء بكما إلى هنا؟!

أشارت إليها أميرة قبل أن تجيبه لتتكلم هي قائلة:

-لقد جئنا لمقابلة الشيخ جابر.

أشار لهما أن تتبعاه.. فنزلت أميرة أولاً، لتتبعها دانا بعد أن تأكدت من إغلاق السيارة جيدًا أخرجت هاتفها سريعًا وأعادت الاتصال بعز، ليأتيها نفس الجواب «الهاتف الذي طلبته مغلق».

زفرت بضيق و هي تقول:

-أين أنت يا عز حين أحتاجك؟!

لحقت بأمها وسمعتها تقول للرجل:

-لن أجلس هنا دقيقة واحدة، سأدفع ما تريده لتدخلني في الحال.

تدخلت دانا قائلة:

-ماذا يحدث أمي؟؟

أجابتها أميرة بغضب قائلة:

-يخبرني أن أمامنا أكثر من ثلاث ساعات حتى نستطيع مقابلته، هذا في حين إن دفعت ضعف ما يريده.

حاولت دانا تهدئتها، وهي تتنهد براحة؛ لأن هذا سيمنحها مزيدًا من الوقت حتى يظهر عز.

-اهدأي أمي فلننتظر، أمامنا اليوم بأكمله.

التفتت أميرة للرجل، الذي ما زال واقفًا ينتظر قرارهم، قائلة:

-أدخلني الآن ولك ما تريد.

ابتسم الرجل بسعادة بالغة وهو يطلب منها أضعاف المبلغ المكتوب في إحدى الأوراق المعلقة في زاوية بجانب مكتبه الذي يجلس عليه، وبرغم يقين أميرة أن هذا الرجل يستغلها بشدة حين رآهما ترتديان ثيابًا أنيقة، ومن الواضح عليهما الترف، بخلاف النسوة الجالسات في انتظار أدوارهن، إلا أنها فتحت حقيبتها لتعطيه ما طلبه متجاهلة تذمر دانا خلفها.

تكلم الرجل وهو ينظر للمال بدهشة تدل على أنه لم يكن على يقين أن تعطيه هذه السيدة كل هذه الأموال!

-حسنًا سيدتي اجلسي قليلاً حتى تخرج الحالة التي بالداخل.

جلست أميرة على أقرب مقعد لتقف دانا بجوارها رافضة الجلوس، لفت نظرها مشهد لرجل يجلس بجوار ابنته، التي ترتعد من آنٍ لآخر وهو يحاول تهدئتها وفي عينيه يشع رعب يضاهي رعب ابنته.

وهاتان السيدتان اللتان تفترشان الأرض مستندتان على بعضهما البعض ومن الواضح عليهما الإرهاق التام، على ما يبدو أنهما أمضتا كثيرًا من الوقت على هذه الجلسة.

ضمت حاجبيها، وهـي تسمع إحداهما تقول للأخرى:

-لا تقلقي حبيبتي، سيأتي الفرج على يديه؛ فابنة جارتنا جاءت له بعد خمسة عشر سنة، ولم تترك طبيبًا إلا و ذهبت إليه، والكل أخبرها أنها عاقر، وحين أتت للشيخ جابر، فتح الله عليه، حملت في نفس الشهر بعد أن حل لها السحر.

ثم أكملت وهي تهمس بسرٍ خطير:

قالت لي أن الشيخ أخبرها أن سلفتها هي من سحرت لها لئلا تنجب.

أجفلت دانا من رنين هاتفها لتتلقى المكالمة سريعًا:

-أين أنت عز؟ لقد اتصلت بك عشرات المرات.

أجابها عز، وهو يسمع أصوات همهمات حولها لا يفهم منها شيئًا..

- كنت في جلستي مع الطبيب النفسي حبيبتي، وأنتِ تعرفين أنني أغلق الهاتف وقت الجلسة... أين أنتِ؟؟

تحركت بالهاتف وهي تشير لأمها أنها ستتكلم بالخارج.. لترد عليها أميرة وهي تطيح بيدها بلا مبالاة.

نظر الرجل إلى دانا وكأنه كان ينتظر ابتعادها عن الأم؛ فمظهرها يوحي بأنها متعلمة، وإن سألهما عن سبب مجيئهما، فستشك بالأمر وستفضح ألاعيبهم.

اقترب الرجل من سيدة كانت تقف بجوار أخرى، ليهمس في أذنها فتهز رأسها وتبدأ في الاقتراب من أميرة قائلة:

-أنتِ تعرفين الشيخ جابر سيدتي؟

أجابتها أميرة، وهي تتفحصها قائلة:

-لا أعرفه.

فقالت لها المرأة بخبث:

-ولا أنا، ولكني سمعت به؛ لذلك قد جئت أشكوه ليحل مشكلتي.

لتكمل بعدها قائلة بهمس:

-زوجي يريد أن يتزوج عليّ وأمه تكرهني؛ لهذا سحرت له حتى يتزوج بأخرى.

لم تعرها أميرة اهتمامًا، لتقول لها وهي تنظر في اتجاه آخر:

-شفاكِ الله أختي ورفع عنكِ البلاء.

اغتاظت المرأة من ردها، فيبدو أنها لم تبتلع الطعم.. فسألتها مباشرة:

-ماهي علتك؟؟

لم تجبها أميرة، فنغزتها المرأة في كتفها وهـي تقول:

-نحن أخوات حبيبتي، قولي لي ما سبب مجيئكِ ليمر الوقت سريعًا ونحن نتبادل الحديث بدلاً من هذا الملل.

وقفت أميرة بحدة، وهـي تتوجه ناحية الرجل الذي أخذ منها المال، لتقول له بغضب:

-لقد دفعت ما طلبته حتى أدخل سريعًا، وأنت الآن تجعلني أنتظر منذ ما يقرب الخمسة عشر دقيقة، هل ستدخلني الآن أو تعطيني أموالي لأذهب من هنا؟

ارتبك الرجل للحظة، وهو ينظر لدانا العائدة سريعًا، وهـي تسمع صوت أمها العالي ليجيبها:

-اهدأي سيدتي، فأنا قد قلت لكِ أن هناك حالة بالداخل، وبمجرد خروجها سأدخلكِ فورًا.

زفرت أميرة بضيق، لتأخذ دانا بيدها قائلة:

-ارتاحي أمي، إن عز في الطريق إلينا الآن، دعينا ننتظره حتى يأتي ليدخل معنا.

سمعت المرأة حديثهما، فأسرعت للرجل الواقف قائلة.

-سيأتي رجلٌ إليهم... يكفينا هذه الفتاة، أسرع وأدخلهم الآن قبل أن ننكشف هيا!

انتفض الرجل، ليقترب منهما قائلاً:

-لقد خرجت الحالة سيدتي تفضلي..

قامت أميرة، لتوقفها دانا قائلة:

-أنا لا أرى أية حالة قد خرجت!!

أجابها الرجل، وهو ينظر إليها بغيظ:

-يوجد باب آخر للخروج... أستدخلون الآن أم أجعل إحدى هذه الحالات تدخل ولا تلومونني بعدها؟

أمسكت أميرة بيد دانا تجرها إليها لتدخل غرفة الشيخ جابر.

نظر التابع خلف دانا يتفحص مفاتنها بوقاحة، وهو يبتسم بخبث، انقبضت عضلة قلبها عند دخولها هذه الغرفة الكئيبة.

ظلت تنظر يمينًا ويسارًا تتفحصها، والخوف يتملكها ولا تستطيع السيطرة عليه.

تكلم الشيخ جابر بصوته الجهوري الذي حاول جاهدًا أن يخرجه مطمئنًا.

-بسم الله الرحمن الرحيم... تفضلا.

قال كلمته الأخيرة، وهو يشير إليهما أن تجلسا أرضًا على أحد المساند الموضوعة.

جلست أميرة متجاهلة ذبذبات قلقها التي بدأت تتزايد، لتهمس لدانا أن تجلس بجوارها.. فأشارت إليها الأخيرة بالرفض.

ظلت تتفحصه بعينيها، وهو يجلس أمامهما مغمض العينين... هيئته الخارجية تبدو لها مطمئنة إلى حدٍ ما! يرتدي جلبابًا ناصع البياض، وجهه يبدوٍ مريحًا قليلاً، لديه غرة في جبينه من أثر السجود، ولديه أيضًا لحية طويلة تدل على الصلاح والوقار.

قاطع استرسالها، وهو يقول:

-ما هي علتكِ سيدتي؟ قصي لي الأمر وسيجعل الله شفاءك بيدي بإذن الله.

تنهدت أميرة وهي تقول:

-الأمر لا يخصني، بل يخص ابنتي الصغرى.. تسمى روهان.

ثم بدأت تحكي له كل شيء منذ أن كانت طفلة وهو يسمعها بانتباه وتركيز شديدين... إلي أن وصلت لزيارتها قائلة:

-بعد أن اختفت ليومين كاملين، جاءت لزيارتي بالأمس لتطمئنني عليها هي ووالدها، وقالت لي أنهما لن يستطيعا العودة الآن لوجود خطر عليهما.. لم تكمل حديثها، ليكلمها أحدهم، نادته بنعمان.

انتفض الشيخ جابر فزعًا، ليوقفها قبل أن تكمل، لتفزع أميرة هي الأخرى وتقف، ليقول هو باندهاش شديد:

-هل قلتِ اسمه بني النعمان؟

تلكأت أميره بتوتر، لتقف دانا أمامه قائلة:

-لم تقل بني النعمان، بل قالت نعمان... ثم لماذا فزعت هكذا؟؟

جلس الشيخ مرة أخرى دون أن يجيبها، ليقول لهما بصوتٍ مرتجف:

-استريحا بالخارج لبعض الوقت حتى أستدعيكما لأبلغكما بالحل إن شاء الله.

خرجت دانا وهي تنظر إليه بتعجب وازداد تعجبها حين رأت الرجل الذي استقبلهما بالخارج، ويسمونه تابع الشيخ، يهرول راكضًا إليه بعد أن صاح الشيخ باسمه وفزع جميع الحاضرين.

شعرت دانا بأن هناك خطبًا ما في هذا الشيخ وأن ما تفعلانه خطأ فادح، التفتت لأمها فوجدتها تقرأ القرآن وجسدها ينتفض برعبٍ تام.

ظلت واقفة، وعيناها تترددان على الباب تارة وعلى ساعتها تارة أخرى، لتزفر بضيق قائلة:

-لماذا تأخرت هكذا يا عز؟

وكأنه سمع نداءها فوجدته يقف أمامها في الخارج يبحث عنهما وسط الوجوه، فخرجت إليه مسرعة، لتشير له بمكانها. وجدها تقف مذعورة تشير إليه، وكأنها تستنجد به، فركض نحوها هو الآخر.. ليتقابلا في وسط البيت المزدحم... بدأت دانا بقص ما حدث بكلماتٍ متداخلة وسريعة.. ودخل تابع الشيخ مذعورًا يتحدث إليه بفزع قائلاً:

-ماذا حدث شيخ جابر؟؟ لقد أفزعتني!!

أشار إليه الشيخ أن يقترب منه، وهو يلتفت يمينًا ويسارًا والخوف يسيطر عليه، ليهمس له قائلاً:

-عرفت مكان الفتاة التي تحمل الكتاب.

ضم التابع حاجبيه الملتصقين قائلاً:

-أنا لا أفهم شيئًا!! لا أحد يعرف مكان الفتاة هذا ما قاله لنا أحد أولاد عزازيل.

ليهمس له مرة أخرى، وهو يسبه بالغباء قائلاً:

-الفتاة في مملكة الملك الأبيض أيها الغبي.. وليست في حماية الملك ميمون كما قالوا لنا.

-ثانيًا: هل تعرف السيدتين اللتين أدخلتهما منذ قليل هما أمها وأختها، فلو احتجزناهما ستعود الفتاة الكنز لنا.

أجابه الرجل ليفهم أكثر:

-وما أدراك أنها ستعود؟؟ ثم لو حدث ذلك فسيأخذها عزازيل وعشيرته مرة أخرى كي يستفيدوا منها.

لكزه الشيخ في كتفه قائلاً:

-هي قالت لأمها أنها ستعود.. ومؤكد يا رأس البطاطا أنت بعد موت بني النعمان، كما أخبرونا اليوم أنه مات، ستكون من دون حماية، ووقتها ستأتي إلينا لتستعيد أمها وأختها سنأخذ منها الكتاب الثمين هذا ونبلغ عنها أبناء عزازيل ونحصل على الجائزة الكبرى.

بعد أن أفاقت من إغمائها بعد سماعها خبر موته لم تهدأ دقيقة واحدة، تسكت لثوانٍ لتعود ثانية لصراخها وندائها عليه،

فشلت كل محاولات أبيها وزمردة وحتى فاتنة في جعلها تصمت قليلاً، المملكة بأكملها في حالة حداد على وفاة قائدهم الذي لن يأتي مثله أبدًا.

فاطمة تبكي بهستيريا، ووالده يقف مصدومًا لا ينطق بحرف.. وزمردة تصرخ تارة وتحاول أن تهدئ روهان تارة أخرى لتعود بعدها لبكاء مرير، أما عن فاتنة فتتماسك لعدة ثوانٍ ثم تبكي بصمت، لتتماسك مرة أخرى.

روزا تقف في زاوية بعيدة، تقدح الشر من عينيها وتتوعد عزازيل بأشد العذاب على ما فعله بعد أن وعدها أنه لن يقتله، فقط سيلقنه درسًا لكي يبتعد عنهم، انسحبت بهدوء من وسط المملكة الحزينة تمامًا، بعد أن أخذه الحكماء ليغسلوه ويكفنوه بطريقتهم الشرعية.

بعد قليل أخرجوا جثمانه في تابوت ليختفوا جميعًا لدفنه، تاركين روهان ما زالت تفترش الأرض، وجدران القصر تهتز من صراخها، جلس والدها بجوارها، وزمردة لم تستطع أن تذهب لتراه يُدفن.

دخلت روزا مملكة عزازيل، والشرر يتصاعد من عينيها، لتنسدل ستائرها السوداء وتقذف كل من يقف أمامها حتى وصلت إليه، وجدته نائمًا في فراشه يطببونه بعد أن أصابه بني النعمان إصابة بالغة.

صرخت روزا بكل من في الغرفة ليخرجوا فورًا؛ فامتثل الجميع للأمر، لتمسك هي بقرني عزازيل، وهي تقول بغضب مستعر:

-لماذا قتلته أبي؟؟؟ لقد حذرتك ألف مرة من أن تقتله!!!

أبعد عزازيل يديها بقوة، حتى طارت لتلتصق بالجدار، فهدر بها:

-قتلته من أجلكِ أيتها الحمقاء؛ فحبكِ له يجب أن يموت معه لتعودي ابنتي الحبيبة التي تطيعني في كل شيء فمنذ أن أحببتِه وقد انقلب حالك.

اقتربت منه مرة أخرى، وهي تصك أسنانها غيظًا لتقول:

-لن أخبرك عن مكان الفتاة التي تحمل الكتاب، ولن تستطيع الحصول عليها من الآن فصاعدًا عقابًا لك على كسر قلبي هكذا.

ثم تركته لتختفي وهي عازمة أمرها أن تذهب إلى أقاصي الأرض لتقيم عليه حدادًا بمفردها.

سمع صراخه وهو ينادي على روزا، فدخل عليه ولده، هفاف، قائلاً:

-دعنا نتخلص من هذه الحية، لماذا تصر على الاحتفاظ بها؟؟ هي تربت وسط المسلمين؛ ولذلك فإن قلبها لين.

أوقفه عزازيل بإشارة من يده قائلاً:

-أحتاجها لتدلني على مكان الكتاب؛ فهذه مهمتها من الأصل وعندما أحصل عليه فسأتخلص منها نهائيًا.

عاد الجميع ملتفين بالسواد، والحزن يغزو ملامحهم، ليجدوا روهان على وضعها، وقد أنهكت أحبالها الصوتية وما زالت تصرخ بلا صوتٍ يصدح.

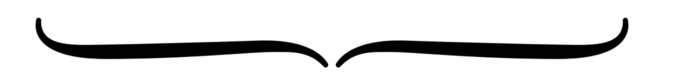
دخل الملك الغرفة السرية سريعًا، ليحل قيده وهو يقول:

-تأخرت عليك بنيّ.

- اعذرني، لقد أخذنا وقتًا طويلاً لننتهي من مراسم جنازتك.

أجابه نعمان بغضبٍ شديد، وهو يهدر به قائلاً:

-أتحتجزني هنا أبي؟؟ أتعلم أنني أتمزق لأشلاء مع كل صرخة منها، تعتقد أنني لن أسمعها داخل الغرفة المحصنة... لن أسامحك أبي، لن أستطيع مسامحتك مهما حييت.



الفصل العشرون



تركه بني النعمان، وهو يتحدث معه بعد أن حل قيده ليهرب سريعًا، وفي غمضة عين أخذها من وسط أبيها وزمردة وعمته فاتنة، واختفى في لمح البصر تاركًا أباه يركض خلفه ولا يستطيع أن يمسك به..

ليهدر قائلاً:

-هذا الغبي سيكشف أمرنا.

ما زالت روهان تصرخ وهي تحت تأثير الصدمة. لم تعِ بعد ما حدث لها؟!

أجلسها على أريكتها في مكانها المفضل، لتدمع عيناه على مظهرها، وهي ما زالت تبكي بحرقة مزقت قلبه، شفتاه لم يكن بإمكانهما التحرك، ولسانه ثقل ولا يجد من الكلمات ما يعبر به عن ما يختلجه من مشاعر متدفقة.

ظل ينظر إليها للحظات، وهي ما زالت تبكي وتنوح، فاقترب منها وحاوط وجهها بكفيه، ليخرج صوته متحشرجًا:

- ششششششش... أنا هنا حبيبتي، توقفي عن البكاء.

لم تدرك بعد أين هي، ولكن صوته أخرجها من الهوة التي سقطت فيها حزنًا عليه، وكأنه الضوء الذي أضاء الظلام المخيم على قلبها.

ابتلعت ريقها بصعوبة، وهي تفتح عينيها ببطء، بعد أن أقسمت أنها لن تفتحهما من بعده.. لا تريد رؤية وجه آخر غيره، ولا تريد حتى أن تعيش من دونه!!

نبضات قلبها تسارعت، وهي ترى وجهه مشوشًا من دموعها التي ما زالت تتدفق، جففتها سريعًا، وبذهول تام تحسست وجهه بحذر، وكأن الله استجاب لقلبها المكلوم، فأخذ روحها لتلحق به.

لحظات مرت، وهو ما زال ينظر إليها، لا يصدق ما تفعله وهي تتحسس كل جزء في جسده، تستفزه وتحفزه بكل لمسة منها، لم يعد يستطع تحمل لمساتها، فأمسك كفيها اللذين كانا يتحركان على صدره؛ ليحاول أن يسيطر على قلبه الهادر قائلاً:

-إنه أنا حبيبتي، لم أمت روهان!

وقفت لثوانٍ، وهي تهز رأسها يمينًا ويسارًا، ودموعها لم تتوقف بعد.. لتسحب كفيها من يده بعنف شديد وتضربه على صدره بقوة، وهي تهدر به قائلة:

-كاااااذب... أنت كاااااذب، لقد خدعتني أيها الحقييييير.

تركها تنفث عن غضبها، برغم ألمه الشديد من اتهاماتها لم تدرِ هذه المجنونة أنني كنت أتمزق لصراخها... لم تدرِ ماذا فعلت الآن لأنني لم أستطع تحمل الأمر... مؤكد سيقتلني أبي!!

أمسك بيدها وهو يقيدها ويقربها نحوه، وهي تحاول المقاومة لتبدأ برفسه بقدميها، وهي ما زالت تردد نفس الكلمات، ولكن لا فائدة؛ لقد احتجزها بين أحضانه.

لحظة واحدة جعلتها تدرك أين هي.. مازالت تلهث من انفعالها، ليبدأ نعمان بتمسيد خصلها برقة كما كان يفعل دائمًا، أغمضت عينيها لتهدأ قليلاً.

شعرت به يقرب وجهه منها، وأنفاسه الحارة تلفح وجهها، فجعلتها تشعر بالثمالة.. أوقفته، وهي تبتلع ريقها قائلة بصوت مرتعش:

-توقف نعمان... دعنا نتزوج الآن.

أبعد وجهه وهو جاحظ العينين، هذه الإنسية تدهشه كل مرة برد فعلها، أنفاسه توقفت وهو لا يستطيع أن يفهم ما هذه الفتاة التي تستطيع بلحظة أن ترفعه للسماء بعد ثوانٍ قليلة من سحقها له في سابع أرض.

فتحت عينيها ببطء عندما شعرت بشفتيه يلثمان دموعها التي ما زالت تسقط على خديها...لم تدرك أنها ما زالت تبكي.

توقف عن تقبيلها بشق الأنفس، وما زالت أنفاسه تتسارع وهو يقول:

-لن نستطيع إعلان زواجنا لأنني يجب أن أظل ميتًا حتى...

توقفت كلماته عند هذا الحد وهو ينظر لعينيها اللامعة... لم يستطع الاسترسال أكثر أدرك في لحظتها أن الأمر خارج حدود طاقته.. فابتعد عنها سريعًا، ليختفي فجأة ويتركها ما زالت على مجلسها ترتعش تأثرًا..

لحظات مرت عليها، وهي لا تفهم لمَ اختفى وأين؟؟!

ظهر بني النعمان مرة أخرى، وجسده يقطر ماء.

ضمت روهان حاجبيها لتقف بغضب قائلة:

-تركتني وذهبت للسباحة!؟

تنحنح بإحراج، وهو يلهث ليقول:

-لا روهان، لم أتركِكِ للسباحة، أنا تركتكِ حتى لا أرتكب خطأ لن تسامحيني عليه يومًا.

احمر وجهها خجلاً لفهمها ما يرمي إليه، ليفاجئها نعمان قائلاً:

-ما زلتِ على قولك أن نتزوج اليوم؟؟

اقتربت منه مندهشة، وهي تحاول أن تسيطر على تأثرها به قائلة:

-أنت قلت لا !

قاطعها بني النعمان، وهو يضع إصبعه على شفتيها هامسًا، ليقول:

-أعلم جيدًا ما قلته.. لقد خططت لكل شيء، سننتقل الآن لنتمم مراسم زواجنا، وأعدكِ أنني حين أنتهي من عزازيل، سأصنع لكِ زفافًا لم يره أحد في مملكة الإنس ولا حتى الجن.

أبعدت سبابته برفق وهي تقول:

-لا أريد زفافًا.. أريدك أنت نعمان.

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يقول:

-أنتِ تصرين الآن أن أتزوجكِ قبل العقد!

علت ضحكتها وهي ترفع كفها أمام وجهه قائلة:

-حسنًا حسنًا.. لن أتكلم مرة أخرى.

اقترب ليهمس في أذنها قائلاً:

-لا أريد سماع صوتك أو ضحكاتك، أو حتى أنفاسك، حتى أعقد عليكِ.. فهمتِ!؟؟

أشارت إليه برأسها، وهي تغلق فمها بيدها، فابتسم نعمان وهو يقول:

-فتاة مطيعة، هيا بنا الآن إلى الغرفة السرية لأننا هنا لسنا بأمان.

ثم أخذ بيدها بعد أن بدل ثيابه سريعًا، لينتقلا سويًا إلى الغرفة السرية داخل المملكة..

شهقت روهان وهي ترى والدها والملك الأبيض وزيتون وجدها حافظ ورجلاً آخر لم تره من قبل يجلسون جميعهم حول الطاولة.

اقترب منها نعمان، ليهمس لها:

-هذا هو الحكيم أبو اليزيد.

وجدها لا تفهم ماذا يفعل هذا الحكيم، فابتسم ليكمل همسه:

-هو من سيعقد قراننا الآن.

هزت رأسها، وهي تبتسم بخجل لتركض جالسة بجوار أبيها، الذي تنهد براحة حين رآها هكذا، بعد أن كادت تموت حزنًا أمام عينيه...

بدأ الحكيم في مراسم عقد القران، وهو يتلو عليهما بعض آيات النكاح حتى انتهى من الخطبة لينتقل مباشرة لسؤال العروس، فأجابته روهان بنعم، وهي لا تجرؤ على النظر إلى بني النعمان...

ليبتسم الأخير وهو يتوعدها في سره... كان يتمنى أن ينظر إلى عينيها في هذه اللحظة، ولكن خجلها سيطر على الأمر.

وضع كفه في يد أبيها، وهو يردد الكلمات التي ستجعلها ملكه للأبد.. سعادته جعلت قلبه يقفز في صدره، وأخيرًا ستصبح روهان له بعد عناء سنوات عاشها وهو يتمنى أن تراه فقط! اليوم ستصبح كلها له!! ابتسم لهذه الفكرة التي جعلت جسده كله يرتجف بقوة.

قلبها بدأ يهدر وتتسارع دقاته عند سماع كلمات الحكيم، ولكن فرحتها ناقصة؛ تريد رؤية أمها ودانا.

تساقطت بضعة قطرات من عينيها، وهي تشعر أن أمها ودانا ستتألمان كثيرًا لهذا الاختيار، ولكن ما باليد حيلة؛ هو ملك قلبها، ولن تستطيع الابتعاد عنه، لقد كادت أن تموت قهرًا لظنها أنه فارق الحياة.. هذا هو قدرها، وهي سعيدة به.

انتهت مراسم عقد القران حيث كان والدها وليها، والشهود هم جدها حافظ كنفر ممثل من الإنس، وزيتون هو الممثل من الجن.

اختفى الحكيم بعد أن بارك لهما وتمنى لهما حياة سعيدة، احتضنت روهان والدها وهي حزينة على أمها وأختها، ليخبرها محمود أنه سيذهب إليهما الآن... هي الآن في حماية الملك الأبيض، وبني النعمان يكفي لحمايتها.

فهي أصبحت واحدة منهم.

شهقت روهان قائلة:

- ستتركني أبي! حسنًا، سأذهب معك لأطمئن عليهم.

اقترب منها نعمان، بعد أن صافح والده وجده حافظ وزيتون، ليقول لها:

-اهدأي حبيبتي، سيكون زيتون معهم، لا تقلقي عليهم وأعدك حين نتعدى مرحلة الخطر هذه، فسوف آخذكِ إليهم بنفسي.

حاولت روهان أن تعترض، فأوقفها محمود قائلاً:

-اسمعي لزوجكِ حبيبتي.. سنكون بأمان إن شاء الله.

التفتت لبني النعمان الذي حاوطها بيديه وهو يحاول السيطرة على رجفة جسده، عندما قال محمود: زوجك هي أيضًا ارتجفت تأثرًا عند سماعها... كلمة من بضعة حروف جعلت قلبين يقفزان فرحًا وسعادة.

تنحنح والدها وهو يقول:

-هيا بنا زيتون ولدي لنذهب إلى دانا وأميرة.

ودعت والدها، ليصافحها الملك الأبيض ويحتضنها قائلاً.

-مبارك لكِ حبيبتي.. أنتِ أصبحتِ الآن ابنتي الغالية.

ثم توجه إلى بني النعمان قائلاً له:

-وأنت ستُعاقب على هروبك مني.. لا تظنني سأتخطى الأمر.

فضحك نعمان وهو يقول:

-حسنًا أبي، عاقبني كما تشاء، ولكن...

التفت إلى روهان التي تنظر إليهما بتعجب، فأكمل قائلاً وهو يقترب منها:

-لقد وعدتها من قبل لن أتركها لمدة أسبوع كامل.. سأفي بوعدي أولاً وبعدها عاقبني كما تحب.

اختفى الملك، وهو يبتسم له قائلاً:

-لا تنسَ ما اتفقنا عليه، وتوخ الحذر بني.

أجابه نعمان بصوت مرتفع قائلاً:

-حسنًا أبي، لا تقلق.

ليخفض صوته وهو يهمس لها:

-وأخيرًا سأفي بوعدي يا معذبتي.

ابتلعت ريقها بصعوبة بالغة، ووجهها قد تلون بينما تتذكر كلماته.. «سأقبلكِ حتى تفقدين الوعي، وبعدها سأجعلك تفيقين على قبلاتي الحارة، ولن أدعكِ تأخذين أنفاسكَ لتفقدي الوعي مرة أخرى.. وسأظل هكذا لأسبوعٍ كامل»

لم تلتقط أنفاسها بعد، لينهال عليها بقبلة جعلتها تنسى يومها الثقيل الذي امتلأ بالصراخ والبكاء وقلبها الذي تمزق ألمًا لفراقه......

-أغيثووونااا أنقذووونااا..

ظلت تصرخ هكذا بصوت، تصدع منه جدران الغرفة المظلمة التي حبسهم بها التابع، وأميرة تجلس بجوارها تنتحب قائلة:

-يا ويلي يا ويلي أنا من فعلت هذا بكم.

أما عن عز، فمازال فاقدًا الوعي ورأسه ينزف إثر الضربة التي أخذها على رأسه بآلة حادة من تابع الشيخ.

بدأ الناس بالخارج يشعرون بشيء مريب من صراخ دانا المستمر..

دخل التابع للشيخ، والذعر يتملكه قائلاً:

-يا إلهي! ماذا تفعل كل هذا الوقت؟؟

أجابه جابر بتوتر:

-لا أعلم لمَ هذه التعويذة اللعينة لا تعمل مع الفتاة وأمها!

هدر به التابع قائلاً:

-ماذا تقصد أنها لا تعمل!؟ ما بك يا جابر؟ أنت تصنعها دومًا وتصيب بها خلق الله يوميًا! ماذا حدث لك ؟؟

ازداد توتره، وهو ينظر إليه ويجفف قطرات عرقه المتجمعة على جبينه قائلاً:

-هل مات الرجل الذي كان بصحبتهن؟ أقتلته!؟

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يقول:

-لا أعلم، أنا ضربته على رأسه وما زال ينزف! الكارثة الآن أن تلك الفتاة لا تكف عن الصراخ وستفضحنا.

ازداد توتر الشيخ جابر وهو يقول:

اخرج الآن للناس وقل لهم إنها ملبوسة وأنا أعالجها، واصرف الجميع حتى أرى حلاً لهذه الكارثة.

هز الرجل رأسه، وقبل أن يركض للخارج كي يفعل ما أمره به الشيخ، اقترب منه هامسًا:

-استدعِ إحدى بنات عزازيل، وهي ستقوم بالأمر.

نظر له جابر مبتسمًا، وكأنه وجد له الحل الأمثل، فغمز له الأخير قبل أن يتركه، ليجد أصوات الحاضرين بدأت تعلو وعلامات الدهشة ترتسم على وجوههم، ليتكلم أحد الرجال الواقفين قائلاً:

-ماذا يحدث بالداخل!؟ لمَ تصرخ هذه الفتاة هكذا؟

وقف الرجل في منتصف القاعة، وهو يحاول أن يجمع بضعة كلمات مقنعة، ليقول لهم:

- هذه الفتاة ملبوسة بأكثر من جني، والشيخ جابر يطلب منكم الرحيل الآن لأنه لن ينتهي من حالتها إلا بعد بضعة ساعات.

بدأوا يتهامسون فيما بينهم، فغمز التابع للمرأة التي تعمل معهم، لتتكلم هي بصوت عالٍ:

-استرها ياارب، إنها فتاة مسكينة.

لتتدخل إحدى السيدات قائلة:

-أتعرفينها؟؟

أجابتها سريعًا..

-لا أعرفها، ولكن والدتها أخبرتني أنها لا تكف عن الصراخ هكذا ليلاً ونهارًا، وتظل تردد هذه الكلمات.. «أغيثونا.. أنقذونا»

بدأ البعض ينسحب متذمرًا؛ لأنهم جلسوا كل هذا الوقت دون جدوى، والبعض الآخر أخذ يمصمص شفتيه وهو يدعو لها بالشفاء.

وبعد أن فرغت القاعة من الناس، كان التابع يقف في زاوية الممر حتى يتأكد أن الكل قد غادر البيت، لينسحب بعدها إلى غرفة الشيخ جابر تتبعه المرأة التي تعمل معهم.

دخل عليها الصومعة التي تعتزل بها حين تحزن ليجدها ما زالت تنتحب على بني النعمان، انتفضت روزا حين رأته يقترب منها، لتهدر بالقول:

-من أين عرفت مكاني؟؟ ولماذا جئت إليّ هفاف؟؟

لم يجبها، وظل يتفحصها بوقاحة حتى وصل إليها.

رفعت روزا يدها لتصفعه على نظراته هذه، ولكنه سبقها ليمسك بكلتا يديها، وهو يشدها نحوه وعيناه ما زالتا تتفحصانها وهو يقول بحميمية:

-أشتهيكِ منذ زمن بعيد روزا؛ فأنا لم أرَ في جمالك أحدًا!

بدأ الشرر يتطاير من عينيها، وهي تقول:

-ابتعد عني أيها الشيطان الحقير.

جلجلت ضحكاته وهو يقول:

-معاشرتكِ للجن جعلتك تنسين أنك شيطانة روزا.

ليقرب وجهه منها، فتلفحها أنفاسه الساخنة مكملاً:

-أنتِ الشيطانة التي سلبت عقلي منذ ولادتها، وقبل أن يقتل عزازيل بنت فاطمة، كان سيقتلك لولاي.. وأنا أريد رد الجميل الآن.

ضمت روزا حاجبيها قائلة:

- لماذا أراد أبي قتلي؟؟

أجابها، وهو ما يزال على وضعه قائلاً:

-لقد حملت السيدة مزيدة بكِ من عزازيل بعد أن اعتدى عليها، وحين علم بالأمر، قرر وقتها أن يتخلص منكِ ومنها، فأرسلني حتى أقتلكما، ولكن ولحسن الحظ جاءت فاطمة لتجلس مع مزيدة لترعاها.. وقتها سمعتها وهي تقول أنها حامل.. أخبرت أبي واقترحت عليه بدلاً من أن نقتلك أن نقتل ابنة فاطمة ونضعكِ مكانها حتى تكوني عيننا في المملكة البيضاء.

شهقت روزا وهي تقول:

-أمي الحقيقية هي مزيدة؟

ابتسم لها بدمامة وهو يقول:

-نعم، هـي أمكِ الحقيقية، وأنا قتلتها قبل أن تعترف لفاطمة.

صكت روزا أسنانها بغيظ، وهـي تـحاول أن تفك قيدها، ولكن بلا جدوى؛ فهو أقوى منها بكثير، فقالت له بغضب يتصاعد:

- سأقتلك على فعلتك أيها الحقيير.

اقترب منها أكثر، وهو يبتسم بخبث قائلاً:

-اسمعيني جيدًا أختي العزيزة... صومعتك هذه لا يعرف بمكانها أحد سوانا لأنني أراقبك منذ زمن بعيد وأعرف كل خباياكِ.

انتظرت طويلاً حتى أمتلككِ وقد جاءت فرصتي صومعتك العزيزة هذه ستكون سجنك الدائم.. وأنتِ ستكونين امرأتي أنا وحدي، وجمالكِ هذا سألتهمه كل دقيقة من عمري الباقي.

ابتلعت روزا ريقها بتوتر، وهـي تقول:

-أبي لن يتركني، مؤكد سيجدني حتى أدله على مكان الفتاة حاملة الكتاب.

نظراته اشتدت وقاحتها، وهو يجيبها:

-والدكِ طلب مني أن أقتلكِ، بعد أن عرف من إحدى بناته أن أحد المشعوذين عرف مكان الفتاة، وطلب مساعدتنا في تعويذة مقابل أن يخبرنا عن مكانها.

شعرت بوخز قلبها، وهو يخبرها أن والدها الذي ظنت أنه يحبها يريد قتلها... الكل يكرهها

نظرت إلى هفاف برعب، بدأ يتسرب لمساماتها، وهي تتخيل نفسها بأحضان هذا الشيطان الدميم، بدأت تسيطر على غضبها وهي تقول بهدوء:

-لا يجوز لك معاشرتي هفاف؛ فأنت أخي!

ضحك حتى أدمعت عيناه، فانكمشت روزا برعب من ضحكاته، ليقول بعدها:

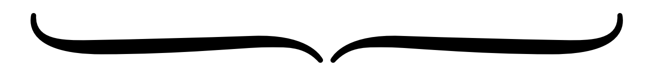
-موت بني النعمان ذهب بعقلك حبيبتي، أم أن معاشرة المسلمين جعلتكِ تنسين من أنتِ؟

قبض بشدة على خصل شعرها حتى كاد أن يقتلعها، لتصرخ روزا عاليًا، وهو يقول:

- نحن شياااااطين، تذكري هذا جيدًا، لا يوجد في قاموسنا كلمة تسمى لا يجوز.

ثم أطاح بها أرضًا، وهو يكبلها بسلاسل من حديد، ليمزق ثيابها متجاهلاً صرخاتها، ليقترب منها وهو يقول:

-سأعلّمكِ الآن كيفية معاشرة الشياطين حبيبتي.



الفصل الحادي والعشرين

انتقل به زيتون سريعًا لشقته... دخل محمود وهو ينادي على أميرة ودانا، ولكن لا مجيب.

ضم حاجبيه، وهو يدخل غرفة أميرة، ليخبره زيتون قائلاً:

-لا يوجد أحد بالبيت سيدي.

نظر محمود لزيتون برجاء قائلاً:

-هل تستطيع أن تعرف مكانهم؟؟

هز رأسه بنعم، ليختفي بعدها لحظات، ثم عاد إليه قائلاً بوجه شاحب:

-السيدة أميرة ودانا ومعهم رجلٌ يُدعى عز الدين محبوسون في غرفة في منزل أحد المشعوذين، والرجل الذي بصحبتهن ينزف بشدة يبدو أنه حاول الدفاع عنهن فضربوه.

أصابه الذعر وهو يهدر قائلاً:

-انقلني إليهم حالاً زيتون.

لم يكمل جملته حتى نقله زيتون إليهم في الغرفة... شهقت أميرة بفزع، وبعدها دانا التي ما زالت تصرخ، ليتوقف صراخها عندما رأت والدها، فركضت نحوه وهي تبكي بشدة.

حاول محمود التماسك، وهو يصك أسنانه بغيظ وينظر لأميرة، ليخبره زيتون أن الشيخ جابر شعر بوجودهم وهو في الطريق إليهم.

لم ينهِ حديثه حتى وجد الشيخ جابر والتابع أمامهم، لم ينتظر محمود لحظة واحدة ليلكم جابر لكمة جعلته يهوي أرضًا.. تدخل التابع ليرد له لكمته، فوقف زيتون بينهما ليلكزه في صدره، فاصطدم التابع بالحائط ثم اصطدم بالأرض يلفظ أنفاسه الأخيرة.

بدأ جابر بترديد أحد طلاسمه التي تؤذي الجن ليبدأ زيتون بالصراخ، وهو يتألم بشدة؛ مما جعل أميرة تضع كفيها على أذنيها وترتعش فزعًا..

ركضت دانا، لتجلس بجانب عز وهي تصرخ:

-توقفوا وأغيثوا عز الدين.

أمسك محمود بكتف زيتون، ليردد عليه تعويذة جعلته يتوقف عن الصراخ قليلاً. ليستغل جابر انشغال محمود بزيتون، وينسحب كاللصوص خارج الغرفة ليختفي بعدها تمامًا.

دخلت زمردة الغرفة بفزع، وهي تسمع صرخات زيتون لتترجى محمود وهي تبكي قائلة:

- بالله عليك أن تنقذه سيدي.

أشار لها محمود برأسه، وهو ما زال يتلو عليه الكلمات، حتى توقف زيتون عن الصراخ وهو يلهث من التعب.

اقتربت منه زمردة تحتضنه بقوة، إلى أن هدأ قائلاً لها:

-هيا زمردة اتركيني الآن.

ابتعدت عنه وهي ما زالت تبكي، فاحتضن وجهها بكفيه قائلاً:

-اهدأي حبيبتي، أنا بخير المهم الآن أن تأخذي دانا والسيدة أميرة وهذا الرجل للمشفى فورًا.. لقد قارب على دنو أجله.

ظلت تنظر إليه ببلاهة، فهدر بها قائلاً:

- هيا زمردة أسرعي.. لا تنظري إليّ هكذا! قلت لكِ أنني بخير.

وفي لحظات أخذت زمردة بيد أميرة التي ما زالت مغمضة العينين تغطي أذنيها بكفيها، ثم أمسكت بدانا، التي ارتعدت على الفور من لمسها، لتحمل بعدها عز الدين، وقبل أن تختفي، قال لهم محمود:

-زمردة ستنتقل بكم للمشفى فورًا، سألحق بكما بعد قليل... لا تخافا.

اقترب محمود من زيتون الذي ما زال يتألم قائلاً:

-أتشعر بتحسن الآن؟

أجابه زيتون وهو يهز رأسه قائلاً:

-الألم أصبح طفيفًا، ولكني لا أستطيع الحراك.

طمأنه محمود ليقول:

-دقائق وستعود كما كنت، لا تقلق... أنا هنا بجوارك.

وفي لحظات، حاوطتهم الشياطين من كل مكان، ليدخل جابر الغرفة مرة أخرى وهو يبتسم بخبث قائلاً:

-لن تخرجا من هنا حتى تخبراني بمكان الكتاب.

فتحت عينيها ببطء، وهي تبتسم بخجل عندما رأته ما زال جالسًا بجوارها يتفحص وجهها، وهو لا يصدق أنها نائمة بين أحضانه.

تنهدت روهان وهي تقول:

-أنت لا تنام أبدًا!

ظل يداعب خصل شعرها وهو ينظر إليها بعشق قائلاً:

-لم تنم عيناي منذ أن رأيتك حبيبتي، وأنتِ تريدين مني النوم بعد أن أصبحتِ ملكي؟!

ابتلعت ريقها بصعوبة، وهي تحاول إخفاء نبضات قلبها المتسارعة، وهو يقبلها لتتوه محلقة في سماء عشق يبثها به في كل لحظة.

أبعدته عنها برفق حتى تلتقط أنفاسها قائلة:

-إلى الآن لم تخبرني ما حدث لك في مملكة عزازيل!

عبس كطفل مدلل، وهو يتفحص وجهها المحمر، لتستقر نظراته على شفتيها قائلاً:

-وهل يجب عليّ أن أخبركِ الآن؟

ضمت حاجبيها بغضب، وهي تضع كفها على شفتيه اللتين التصقتا بشفاهها لتقول:

-أريد أن أعرف كل شيء الآن نعمان.

خرجت منه تنهيدة مرتعشة، وهو يقول بصوت متأثر بحرارة:

-أعدك أني سأقص لكِ كل شيء روهان، ولكن حبيبتي ليس الآن! دعيني أروي ظمأي أولاً.

رغم تأثرها بصوته الرخيم وكلماته العذبة، ولكنها لن تتراجع عن معرفة ما حدث، فأشارت له برأسها بأن لا، فزفر نعمان بضيق وهو يقول:

-حسناً يا معذبتي، ولكن ليس هنا... سننتقل للغرفة المحصنة.

شهقت روهان، وهي تنظر حولها، لتجد نفسها في أول بيت جمعهما سويًا.. لتقول باندهاش:

- ألم نكن بالغرفة السرية قبل أنـ...

لتتوقف عن الاسترسال وهي تعض شفتها السفلية بحرج.

ابتسم بني النعمان وهو يقول لها.:

-هل ظننتِ أنني سأفعلها على طاولة الاجتماعات بالغرفة السرية؟

لكزته روهان في كتفه بغضب وهي تقول:

-أنت قليل االحياء.

حاولت إخفاء حرجها وهي تدلك كتفيها، وتحاول أن تتذكر كيف أنه انتقل بها إلى هذا البيت دون أن تشعر.. ألهذا الحد غابت عن الوعي في قبلته!؟

تنحنحت ليحمر وجهها بشدة، وهي تبعده عنها قائلة:

-هيا نعمان، فلنذهب للغرفة المحصنة.

ابتسم، وهو يتفحصها مشيرًا إلى كامل جسدها العاري قائلاً:

-ستنتقلين هكذا؟!

شهقت روهان لتسرع بالتقاط الغطاء الذي وقع على الأرض ولم تشعر به.

انزلقت وهي تنحني لتلتقطه، ليلحق بها نعمان قبل أن تقع على الأرض، وهو يضحك بشدة من مظهرها المرتبك هذا، كادت أن تبكي حرجًا وهو ما زال يضحك مستمتعًا، ليتوقف عندما نظرت إليه كطفلة أوشكت على البكاء.. فوضعها على السرير وهو يقول:

-لا تغضبي حبيبتي.. أعتذر منكِ.

ليقبلها على جبينها برقة قائلاً:

-سأخرج من الغرفة حتى تستعدي.

نداء زمردة عليه وصراخها جعله يختفي سريعًا ليذهب إليها..

وجدها ما زالت تبكي وتناديه، فاقترب منها بفزع ليقول:

-ما بكِ زمردة؟ ماذا حدث؟؟

التقطت أنفاسها بصعوبة، وهي تقص عليه ما حدث....

-سمعت زيتون يصرخ عاليًا، فذهبت إليه لأجده في منزل لأحد المشعوذين، وكانت هناك أميرة ودانا، والسيد محمود يحاول بتعويذة ما أن يخفف ألمه، بعدها أخذت دانا وأميرة، وكان هناك رجلٌ معهم ينزف بشدة؛ نقلتهم للمشفى، وهناك أخذوا الرجل؛ فقد كانت حالته خطيرة.

تركتهم وعدت لزيتون، فوجدت أولاد عزازيل يحاوطون زيتون والسيد محمود، يريدون معرفة مكان الكتاب، وعندما شعروا بوجودي اختفيت على الفور.

حاول نعمان تهدئتها، وهو يهدر بغضب ويلعن حظه البائس، ليقول لها سريعًا:

-لن أستطيع الظهور الآن، هناك خطرٌ كبير على روهان وعلى المملكة بأكملها، اذهبي للملك الأبيض وقصي عليه ما حدث واطلبي مساعدة والدك والملك أخيضر.

وقفت زمردة لثوانٍ تشعر بخيبة أمل... لقد تخلى عنا من أجلها!

ليضغط نعمان على كتفها وهو يقول:

-لا تجعلي الشياطين يسيطرون عليك زمردة... اذهبي الآن وافعلي ما أمرتك به.

لم تتحرك لثانية، وهي تنظر إليه وغضبها يتفاقم، ليهدر بها نعمان:

-هيا زمردة الآن!

ذهبت زمردة، ليعود هو سريعًا لروهان التي ما زالت داخل الغرفة تغلقها عليها من الداخل، وكأنه لن يستطيع الدخول، عقله يدور حول ما حدث، وقلبه يتألم لعجزه عن مساعدتهم، ولكنه لن يغامر وهناك الكثير يستطيعون المساعدة.

يجب أن يكمل خطته؛ حتى يتخلص من عزازيل وأولاده جميعًا ليعيشوا بعدها في سلام، خرجت روهان وهي عابسة تنظر لملابسها بعدم رضا.

اقترب بني النعمان منها، مسحورًا برؤيتها بهذا الفستان الذي زادها جمالاً ورقة، وهو يقول:

-ما الذي يغضب حبيبتي هكذا؟

قالت له وعبوس وجهها يتزايد:

- لمَ كل ملابسي هكذا؟؟

ثم أشارت إلى فستانها.. فستان باللون الأبيض الناصع يلتف حول جسدها ليصل لكاحلها..

اقترب منها أكثر وهو يهمس لها:

-فاتنة، أنت حبيبتي.

ثم احتضنها سريعًا، لينتقل بها للغرفة المحصنة في بيت جدها الكبير.

ضمت روهان حاجبيها بغرابة، وهي تقول:

-ظننت أنك ستذهب بي للمملكة!

أجابها نعمان، وهو يتأكد من إغلاق الستائر جيدًا:

-وجودنا في المملكة الآن خطرٌ علينا

ثم اقترب ليجلس بجوارها ويقول:

-سأنفذ أمركِ وأقص لكِ ما حدث.

انتبهت إليه وهو يقول:

-بعد أن أنقذكِ زيتون من عزازيل، قابله أحد عيوننا في مملكتهم وأخبره أن روزا كانت في مملكة الشياطين، عرفت وقتها أنها عين عزازيل التي تتجسس علينا... لم يعرف أحد بالأمر سواي أنا وأبي. اتفقنا أن نجعل زيتون طعمًا لهم؛ لأنها من المؤكد أخبرتهم أنه من أنقذك حين قبضوا على زيتون كانوا يريدونني.

أنا أعرف أن عزازيل يريد التخلص مني منذ قرون طويلة ؛ لأنه وبفضل الله، لم يكسب حربًا أنا قائدها.

حثته روهان ليكمل..

-ذهبت إلى هناك، وأنا على يقين أنني سأنتصر عليه لم أدرِ أنه أعد لي عدة قوية. كنت متيقناً وقتها أنه يريد القضاءَ عليّ بيده، ولكنه أخبث وأجبن مما ظننت.

اقترب منها يلثم باطن كفها قائلاً:

-ولكنكِ أنت من أنقذتني حبيبتي.

ابتسمت روهان وهي تقول:

- تعويذة أبي؟!!

هز رأسه بنعم وهو يقول:

-حين طعنوني بسيوفهم ولم أشعر بألم شديد، أدركت وقتها أن هناك شيئاً ما قد حدث.

تظاهرت بالموت، لأعطيه ما يريد وأكسب أنا بعض الوقت.. وهكذا تم الأمر.

قرب وجهه منها وهو يحذرها قائلاً:

-نحن الآن في خطر.. لن نستطيع العودة للبيت ولا المملكة يجب علينا المكوث هنا لبعض الوقت:

-وأنا أيضًا لا يجوز لي الانتقال كثيرًا، لقد اقتربت النهاية و يجب عليّ أن أكون جاهزًا.

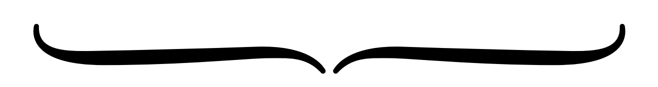
ظلت تدور حول نفسها أمام غرفة الطوارئ، وأميرة تجلس على أحد المقاعد، تضم رأسها بكلتا يديها ولا تكف عن البكاء.

خرج أحد الأطباء من الغرفة يسألها بماذا تقربه، جففت دموعها سريعًا وهي تجيبه:

-أنا خطيبته.. أرجوك أن تطمئني على حالته!! هل هو بخير ؟!

تلكأ الطبيب قليلاً وهو يقول:

- أعتذر منكِ سيدتي.. إصابته كانت بالغة ونزف لمدة طويلة مما أدى إلى فقدان ذاكرة كلي.



الفصل الثاني والعشرون

تركها وهو يلهث حينما استدعاه عزازيل، لينظر إليها كذئب لم ولن ينتهي من وليمته... أنهكها الصراخ لساعات طويلة، وكأنها تُعاقب في جهنم على كل ذنب اقترفته ولم تقترفه يداها....

تكلم هفاف، وهو يعض على شفتيه غيظًا من والده، قائلاً:

-لن أتأخر عليكِ جميلتي.

اقترب منها ليطمئن على أصفادها، وروزا تنظر إليه، بعد أن استسلمت لآلام جسدها الذي ما زال ينزف بشدة، ولكنها ورغم كل ما تعانيه استغلت اقترابه منها لتبصق على وجهه باشمئزاز، وهي تقول:

- لا أعادك الله مرة أخرى أيها الشيطان اللعين!

صفعة على وجهها جعلتها تفقد بعض القوى التي كانت تمتلكها منذ قليل، ليهدر بها هفاف قائلاً:

-حين أعود إليكِ، سأعلمك درسًا لن تنسيه يا جميلة.

رفعت وجهها بعد أن اختفى؛ لتحاول فك أصفادها، ولكنها لا تستطيع.. فهو يلف جسدها بأكمله بسلاسل من حديد؛ فلم تستطع الحراك، ظلت تبكي بحرقة على حالها وما وصلت إليه..

نظرت بطرف عينيها لجسدها الملقى كخرقة بالية ينزف من كل مكان، نفضت رأسها وهي تزأر بغيظ تتوعد أنها ستقتله وأباه جزاء ما فعله بها هذا الشيطان الخبيث، ومن قبله ما فعله أبوه مع أمها المسكينة، التي ذاقت الظلم وعاشت فيه مخافة عليها.

تحول وجهها لوحش كاسر، وهي تطلق آخر صرخاتها بقوة شديدة قائلة:

-أغثني قاااااصف!!

وصلت فاطمة إلى الملك ميمون، من دون سلام، قالت له بتوتر شديد:

-لم أجدها في أي مكان ميمون لقد أخبرني عيننا في مملكة عزازيل أنها ذهبت إليه غاضبة بعد وفاة بني النعمان وخرجت منذ ساعات طويلة، لم تعد للمملكة وقد بحثت عنها في كل مكان.

تكلم ميمون بضيق قائلاً:

-أنتِ تصرين على مواجهتها ملكتي! من الممكن أن عزازيل بعث أحد أولاده خلفها ليتخلص منها.

شهقت فاطمة وهي تضع يدها على فمها قائلة بفزع:

-لا تقل هذا ميمون.. يا إلهي!

صك ميمون أسنانه بغيظ وهو يقول:

-لقد أخبرتك سيدتي أننا يجب أن نتخلص منها؛ فهي خائنة.

نظرت إليه فاطمة، وتجمعت الدموع بعينيها وهي تقول:

-لقد أخبرتك أنا أيضًا ميمون من قبل أنها ورغم كل شيء ابنتي.. لا أستطيع أن أتقبل الأمر هكذا بكل بساطة!

توقفت فاطمة، وهي تشعر بالألم لأجلها، لتقول:

-سامحكِ الله ابنتي على ما فعلته بنا.

دخول قاصف للغرفة جعل فاطمة تدير ظهرها سريعًا وهي تجفف دموعها، ليحاول والد ميمون أن يلهيه قائلاً:

- ماذا تريد ولدي؟!!

تكلم قاصف، وعيناه متعلقتان بظهر فاطمة، قائلاً:

-علمت بأن الملكة هنا فجئت أسألها عن روزا! لم أرها منذ فترة!!

كاد ميمون أن يصفعه، ولكنه توقف ليصرخ به قائلاً:

-ألم نتناقش بهذا الأمر قاصف وأنا أخبرتك أن تنسى روزا نهائيًا؟؟

واجهه ولده بعينين تنضحان شررًا وهو يقول:

-لست طفلاً صغيرًا أبي حتى تختار لي عروسي! ثم أنت لم تخبرني عن أسبابك؟؟

شعرت فاطمة بالألم من أجل ابنتها الغبية؛ التي تركت حبًا كهذا وظلت تعذب نفسها لتخونهم جميعًا من أجل لا شيء.

استدارت فاطمة تنظر لميمون بعتاب وهو يتكلم هكذا على ابنتها غير مبالٍ بشعورها! شعر ميمون بأنه أخطأ، فاعتذر منها سريعًا:

-أعتذر منكِ مولاتي.

هزت رأسها، لتوجه كلامها لقاصف قائلة:

-ألا تعرف عنها أي شيء ولدي؟

وقبل أن يجيبها، سمع استغاثتها، لينتفض سريعًا وهو يقول:

- إن روزا في مأزق وتستغيث بي.

كادت أن تطلب منه مرافقتها، فأوقفها الملك ميمون قائلاً:

-حسنًا اذهب إليها بني وأتِ بها إلى هنا.

دخول زمردة وهـي تركض سريعًا وتبكي جعل فاطمة تتوقف وهـي تقول:

-ما بك زمردة؟ ماذا حدث؟

بـدأت تـقص عليهم مـا حـدث، وهــي تـشـهق بـالـبكاء، إلـى أن انتهـت مـن سـردهـا، وهـي تـدور حـول نـفسها تـنظر يـمينًا ويسارًا تبحث عن أخوتها قائلة:

-أيـن أخـي قـاصـف والجـميع؟ هـيا أبـي، سـيقتلون زيـتون والسيد محمود!

لـم يـعقب مـيمون عـلى شـيء، ليسـتدعـي المـلك أخـيضر عـلى الـفور، ثـم اخـتفت فـاطـمة سـريـعًا لـتخبر المـلك الأبـيض عـما حدث..

بـعد قـليل اجـتمع ثـلاثـتهم تـترأسـهم المـلكة فـاطـمة، ليذهـبوا جميعًا خلف زمردة إلى بيت جابر بعد أن رفضت الأخيرة أن تتركهم .

لم تستطع الدخول لغرفته، بعد أن أخبرهـا الطبيب أن حـالته قد استقرت ومن الممكن رؤيته الآن، مؤكد سيتمزق قلبها لـو لم يعرفها.

تـراجـعت بـبطء؛ لتجـلس بـجوار أمــها وتـسند رأسـها عـلى الـحائط خلفها مـغمضة الـعينين تـعيد شـريـط حـياتـهما مـعًا، أصبح الألم يغزوها من كل جانب...

من الآن هي من ستتذكر كل شيء، وهو لن يتذكر حتى نفسه، تأوهت دانا بصرخة، خرجت من أعماقها، وكأن أحدهم يذبحها ببطء شديد!

ركضت إليها بعض الممرضات، وأمها بجوارها تنتفض فزعًا من صرختها، لتحتضنها سريعًا و بقوة.

أبعدت دانا والدتها عنها وهي تصرخ قائلة:

-أنتِ سبب كل ما حدث أمي، لقد رجوتكِ وأخبرتكِ إنني خائفة.. لم تستمعي لي! لماذا؟؟ لماذا؟ ليتني مت قبل أن أطلب منه مرافقتنا! ليتني مت!

ثم انهارت على الأرض، والممرضات يحاوطنها في محاولة لتهدئتها، ولكن لا فائدة!

جلست أميرة بجوارها، وهي تقول:

-سامحيني ابنتي، أنا من فعلت هذا بكما.

اقتربت منها تحتضنها وتأخذها على صدرها برفق لم تقاومها دانا، وكأنها كانت تنتظر هذا العون حتى تستطيع الوقوف على قدميها مرة أخرى، شعرت دانا بارتجاف أميرة، وسمعت دقات قلبها تتعالى.. فأبعدت وجهها عنها مرتعبة وهي تقول:

-ما بكِ أمي؟؟ انظري إليّ حبيبتي، أنا أعتذر منكِ على انفعالي.

ابتسمت أميرة، وهي تشعر بهبوط تام، لتدور بها الدنيا وتستلقي على ظهرها تاركة دانا تصرخ:

-أمي!!!!!!

حملتها الممرضات سريعًا إلى غرفة العناية المركزة، ودانا تجري خلفها تلعن نفسها على ما فعلته، وهي تعلم جيدًا أن أمها مريضة.

اقتحم عزازيل الغرفة ومن خلفه أبناؤه... تحامل زيتون على نفسه، وهو ما زال يتألم، ليقف بوجه أبيه قائلاً:

-ما الذي أتى بك إلى هنا؟

ضحكات عزازيل تعالت صداها، وهو ينظر لولده بعينين حمراوين قائلاً له:

-ولدي الخائن! ألم يقتلوك بعد؟

أغمض محمود عينيه يردد تعويذة حماية تحفظه هو وزيتون مستغلاً انشغال عزازيل بالحديث مع ابنه. أمسكه هفاف من كتفه بقوة حتى أدماه، وهو يقول:

-ماذا تردد أيها الإنسي!؟

ألمه أصبح لا يُحتمل، ولكنه ظل يقاوم حتى انتهى منها، ليشعر بعدها بتحسن طفيف.

صرخ هفاف في وجهه:

-توقف!

ليلتفت لوالده قائلاً:

-هذا الرجل يردد تعويذة ما أبي.

اقترب منه عزازيل؛ ليمسك برقبته خانقًا إياه، حاول زيتون التدخل ولكن الشياطين أمسكوا به، ليتكلم عزازيل بصوت مرعب ارتجت من أثره الغرفة بأكملها:

- أين الكتاب؟

شعر محمود بالهواء ينفد من رئتيه.. وزيتون يهدر به:

-اتركه أيها اللعين اتركه.

ليدخل الملك الأبيض، ومن خلفه الملك أخيضر وميمون، وبجوارهم فاطمة، ليتولى كل واحد منهم أحد الشياطين..

تحرر زيتون من أيديهم، ليذهب لوالده ويلكمه بقوة حتى أفلت محمود، فوقع الأخير أرضًا يحاول التقاط أنفاسه وهو يسعل بشدة، وقبل أن يستعيد قوته ليقف مجددًا، أمر عزازيل هفاف بأن يأخذ محمود ويختفي فورًا.

انتفضت روهان من أحضانه فزعه، ليمسك نعمان كتفيها برعب قائلاً:

-ما بكِ حبيبتي لمَ فزعت هكذا؟!

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تلهث قائلة:

-راودني كابوسٌ عن أمي وأبي ودانا.

أغمض بني النعمان عينيه بألم، وهو يحاول طمأنتها وقلبه يخفق بشدة من القلق عليهم..

-لا تقلقي حبيبتي؛ فهذا أثر شوقكِ لهم.. هم بخير صدقيني.

هزت رأسها رفضًا وهي تقول:

-هم ليسوا بخير نعمان، أنا أشعر بشيء سيء للغاية.

حاول تهدئتها بلا فائدة.. ارتدت ثيابها كاملة وأصرت أن تذهب للاطمئنان عليهم.

كاد أن يقتلع خصل شعره غيظًا من عنادها؛ فهو لن يأخذها إلى هناك مهما حدث، ولن يستطيع الذهاب وتركها بمفردها في قصر جدها هذا، هو يعرفها جيدًا ستموت رعبًا من دونه.

اقترب منها، وهو يحاوط خصرها بيديه قائلاً:

-روهان! افهميني حبيبتي أرجوكِ، لن نستطيع الخروج من هنا الآن.

ثـم حـملها بـين يـديـه، لـيضعها عـلى السـريـر ويـحاوطـها بالستائر جيدًا، وهـو يتمنى أن تغفو لدقائق فقط؛ ليستطيع الذهاب للاطمئنان عليهم أكمل نعمان برجاء:

-وجودنا خارج هذا السرير فيه خطر علينا روهان، أرجوكِ تفهمي الأمر.

بدأت تبكي بصمت على عجزها، وتلوم نفسها أنها سبب كل ما يحدث لولا حبها له، ما كان حدث كل ذلك.

تأفف بني النعمان وهو يقول:

-روهان! أرجوكِ لا تبكِ حبيبتي، أقسم لكِ سأفعل المستحيل لتطمئني عليهم بنفسك، أعطني مهلة صغيرة.

لم تجبه وهـي تنظر إليه، ويدور رأسها بكل ما حدث منذ أن عرفته.. اختطافها.. ومرض أمها حزنًا عليهم، حبسها هنا الآن ولا تدري ماذا يحدث مع أهلها لولاه ما كان عرف أحد بأمرها.

دخـول زمـردة الـغرفـة، وهــي تـبحث عـنهم ولا تـراهـم داخـل السرير، جعل روهـان تفزع بشدة وزمردة تنادي على كليهما بصراخٍ شديد.

خرج الاثنان من داخل الستائر، ليمسك بني النعمان بيدها وهو ينظر إلى زمردة بغضب:

-ما بكِ زمردة؟ ستفضحيننا يا غبية، اخفضي صوتكِ هذا!

ملامحها مرتعبة بفزع؛ مما جعل روهان تلتقط أنفاسها بصعوبة ولا تجرؤ على التفوه بأي كلمة.. كلماتها خرجت متقطعة وهي تقول:

-أبي والملك أخيضر والملكة فاطمة وأبوك يحاربون عزازيل وجيشه بمفردهم.

شحب وجه بني النعمان، وهو يعلم أن الأسوأ لم يأتِ بعد...

أكملت زمردة برعب شديد لتقول:

-أصيب والدي والملك أخيضر إصابات بالغة.. وأحدهم أخذ السيد محمود واختفى، وأنا هربت منهم سريعًا وذهبت أجمع جيش أبي، فلم يستمع لي أحدهم، ولا أعلم أين قاصف!

شهقت روهان وجحظت عيناها بصدمة، اقترب منها بني النعمان، وقلبه يكاد يتوقف قلقًا عليهم.. يجب أن يتصرف حالاً، ولكن عليه أولاً أن يتأكد من سلامتها؛ فلن يغامر بها مرة أخرى.

كلما اقترب منها، ترجع هي للخلف حتى أوقفها الحائط من خلفها ما زالت الصدمة تحتل ملامحها، وهي تهز رأسها يمينًا ويسارًا، ودموعها تجري على وجهها مدرارًا.

حاول أن يمسك بيدها، فأبعدته بعنف قائلة:

-ابتعد عني.

ابتلع ريقه بصعوبة وهو ينظر إليها، لا يفهم لمَ تلومه!

تكلم نعمان قائلاً بألم:

-ما ذنبي أنا روهان؟ أنا كنت أحاول حماية.....

صرخة بوجهه جعلته يقتطع جملته، لتهدر هي به:

- كل ما يحدث لنا بسببك أنت، ابتعد عني!!

لا يمتلك وقتًا كافيًا ليفهم ما يحدث معها، فتركها بقلب ينزف، واختفى بعد أن حذر زمردة من خروجهما من هذه الغرفة، ليشير للسرير المحصن قائلاً:

-بل لا تتركا هذا السرير، اصعدا إليه حالاً.

أمسكت زمردة بيدها ليصعدا سويًا على السرير، وهي تائهة تمامًا لا تعرف ماذا تفعل، ولكنها لن تنتظر حتى يحدث لوالدها مكروه.

نظرت لزمردة وكأن خلاصهم بيدها هي.. اقتربت منها تمسك كفيها برجاء قائلة:

-لم يعد أمامي غيركِ زمردة.. أترجاكِ أن تساعديني..

هي أيضًا تائهة لا تعلم ماذا حل بزيتون وكيف حال أبيها

الآن، كل شيء أصبح في فوضى.. حياتهم كلها انقلبت ولم تعد تعرف ما عليها فعله.

نظرات زمردة التائهة جعلت روهان تصرخ بوجهها قائلة:

-انقليني لعزازيل!

شهقت زمردة بوجهها وهي تقول:

- أجننتِ روهان؟ تريدينـ...

قاطعتها روهان وهي تقول...

-أبي الوحيد الذي يستطيع إخراج الكتاب من داخلي زمردة، سنذهب إليهم ليخرج هو الكتاب ونعطيه لهم وأنقذ أبي قبل أن يقتلوه... أرجوكِ زمردة.

هزت زمردة رأسها بالرفض، لتكمل روهان وهي تبكي:

-هذا الكتاب لعنة علينا زمردة.. فليأخذوه لننجو بأنفسنا أنا وأهلي، أنتم تستطيعون التصدي لهم، إنما نحن بشر ضعفاء لن نستطيع.

ظلت تنظر إليها للحظات وهي تقلب الفكرة في عقلها .. وقتها ستنجو روهان وأهلها وستبتعد عن ممالك الجن أجمع، ولن يكون هناك خطر علينا، وإن قامت حرب فسيستطيع بني النعمان الفوز بها كما فاز بالكثير من قبل .

أخذت روهان تحثها على الموافقة، لتتكلم زمردة وهي ما زالت زائغة العينين:

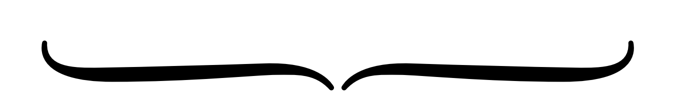
-وبني النعمان؟!!

ذكر اسمه جعل قلبها ينتفض بذكرياتهم معًا، لتقول لها بكل أسى:

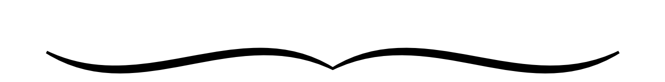
-سأختفي تمامًا ولن يعرف طريقي... هذه العلاقة خاطئة من البداية زمردة... لولا علاقتنا سويًا، ما كان حدث أي شيء من هذا.. لكانت عائلتي في أمان وأنتم أيضًا، لن أستطيع تحمل خسارتهم لن أستطيع.

هزت زمردة رأسها باقتناع وهي تقول:

-حسنًا روهان.. هيا بنا نتخلص من هذا الكتاب المشؤوم.



الفصل الثالث والعشرون



دخل قاصف الكهف المظلم يبحث عنها، بعد أن تتبع صوتها إلى هذا المكان، فقدت كل قواها في آخر صرخة لها، فلم تستطع أن تصدر أي صوت آخر.

أرهف قاصف بسمعه لتأتيه همهمات من خلف الجدار بجواره، اخترق الجدار سريعًا، وهاله ما رآه، لتجحظ عيناه بصدمة:

-روزا عارية تمامًا، ملقاة على الأرض ومكبلة بالسلاسل تنزف بشدة..

اقترب منها سريعًا، وهو يشعر بألم شديد من رؤيتها هكذا.. وضع يده على وجهها يتحسسه برفق ويزيل عنه بعضًا من الغبار والنزيف السائل من رأسها.

سألها بغضب حاول أن يكتمه:

-من فعل بكِ هذا حبيبتي؟!

فتحت عينيها بصعوبة، وهي تبتسم وتتنهد براحة شديدة حين رأته

همست بألم:

-قاصف، لقد سمعتني!

حاولت أن تتكلم مرة أخرى فلم يخرج صوتها، فأوقفها قاصف بإشارة من يده قائلاً:

-ارتاحي روزا، سأفك قيدكِ الآن ولنذهب سويًا لمملكتنا.. لا تقلقي حبيبتي، أنتِ الآن في أمان.

أغمضت عينيها وهي تشعر بأمان معه، لينتقل بها برقان بسرعة البرق إلى المملكة، أخذها إلى غرفته، لفها بإحدى أغطيته ووضعها على سريره.

استدعى بعدها أحد الأطباء.. فلم يجبه أحد، فهدرٍ قاصف بصوت مرتفع إلى أن جاء أحد من الخدم راكضًا بوجه مكفهر وهو يقول:

-نعم سيدي.

بصوت يتردد صداه صرخ به قائلاً:

-أين الأطباء؟؟ أنا استدعيتهم ولا أحد يجيبني، اذهب فورًا للبحث عنهم وأتِ بهم على وجه السرعة.

تلكأ الخادم وهو يقول بتوتر شديد:

-لا يوجد أحد بالقصر سوى الخدم سيدي.. لقد ذهبوا جميعًا للمعركة.

انتفضت روزا لتستمع، وهي تشعر أن ذهاب هفاف للشيطان الأكبر مؤكد كان لسبب كبير، جحظت عينا قاصف بقلق قائلاً:

-أية معركة؟!!

أجابه الخادم سريعًا:

-كل ما أعرفه أنه بعد أن غادرت أنت، جاءت سيدتي زمردة تخبرهم أن عزازيل اجتمع مع أبنائه ليقتلوا أحد الإنس ومعه السيد زيتون، فذهب معها والدك الملك والملكة فاطمة، وما عرفته أيضًا أن الملك الأبيض والملك أخيضر ذهبا معهم.

ضم قاصف حاجبيه وهو يشعر بشيء سيء ليقول له:

-أكمل، وماذا حدث بعد ذلك!! أين هم الأطباء؟؟

أجابه الخادم، وهو ما زال متوترًا بشدة:

-جاءت سيدتي زمردة مرة أخرى بعد قليل تحاول استدعاء جيش المملكة، ولكن لم يستمع لها أحد، وأجابها رئيس الحرس أنهم لن يتحركوا من دون أوامرك أنت.

صك قاصف أسنانه غيظًا، ليصرخ بالخادم:

-أسرررع.. ماذا حدث بعد ذلك؟؟

انتفض الخادم لصراخه، وهو يقول برعب:

- لا أعلم شيئًا سيدي غير أن سيدي بني النعمان جاء وهو يصرخ في الجيش ويعنفهم على عدم استجابتهم لمولاتي زمردة، وأخذهم مع جيشه وأخذ جميع الأطباء وذهب.

زفر قاصف بغيظ وضيق، وهو يشعر بالعجز لا يعلم كيف يتصرف، التفت إلى روزا التي ما زالت تجلس ساكنة كأنها تفكر بعمق.. أشار للخادم بالانصراف ليذهب هو، ويجلس بجوارها قائلاً:

-معنى ذهاب الأطباء مع الجيش أن الأمر سيء جدًا روزا.. أنا مرتعب على أبي وباقي الملوك.

أمسكت بيده، وهي تحاول إخراج صوتها بصعوبة، لتقول له بوهن شديد:

-الماء قاصف.. ضعني في الماء واذهب لأبيك.

هز رأسه نافيًا وهو يقول:

-لن أتركِكِ روزا، يكفي بني النعمان ومعه جيوش الممالك.

هبت روزا واقفة، وهي تتأوه من ردة فعلها السريعة، وكأن اسمه أعاد لها بعضًا من عافيتها..

-بني النعمان لم يمت!

نظر لها بتعجب يتساءل:

-ألم تسمعي الخادم وهو يقول أن نعمان جاء ليأخذ الجيوش؟

انتبهت روزا، وكأنها كانت في عالم آخر وهي تخطط كيف تتخلص من عزازيل وهفاف... أصابها التوتر، لتسعل بشدة وهي تقول:

-لم أستمع له، لقد كنت شاردة.

لتكمل بانتباه تام:

-ولكن أخبرني ألم يمت أمام أعيننا جميعًا؟

أجابها بعدم تركيز، وعقله يعمل في جهة أخرى مع والده وباقي الجنود يتساءل ما حالهم الآن؟!!

-نعم، لقد أخبرتني زمردة بأن موته كان خدعة ليستطيع التغلب على عزازيل.

انتبه لردة فعلها، فسألها بتعجب:

-ولكن لمَ انتفضتِ هكذا؟ منذ قليل كنتِ لا تستطيعين حتى التحدث!

تنهدت روزا وهي تعض شفتيها غيظًا:

-فوجئت قاصف أنه ما زال حيًا؛ لأنني حزنت كثيرًا على موته.

تلكأت قليلاً لتكمل:

-أنا أعتبره مثل أخي.

وقف قاصف، وهو يشعر بضيق شديد ليقول:

-أنا قلقٌ جدًا عليهم.

اقتربت منه روزا، وهي تشعر بألم كبير في جسدها بأكمله لتحاول إقناعه قائلة:

-اذهب إليهم قاصف.. فقط ضعني في الماء واذهب إليهم، صدقني سأكون بخير.

حملها من دون اعتراض ووضعها في إحدى برك المياه الموجودة في حديقة القصر، والتي يسمونها بركة الشفاء؛ لما فيها من مياه نادرة أتي بها الأطباء من أماكن مختلفة من العالم حتى تشفي الجن سريعًا.

تركها قاصف مودعًا، لتوقفه روزا وهي تقول:

- أشكرك على كل شيء قاصف.

اقترب منها وهو يبتسم:

-حين ننتهي من عزازيل، سنتزوج على الفور، وقبلها وحين أعود، سأعرف منك من فعل بكِ هذا وأحرقه أمامك.

ثم تركها وهي تبتسم بتهكم قائلة:

-لو لم أكن بنت عزازيل، لكنت أسعد فتاة في ممالك الجن.. ولكن هذا قدري قاصف.

بعد أن ذهب لأرض المعركة ولم يجد أحدًا منهم، ظل ينادي عليهم بأعلى صوته، ويردد أسماءهم واحدًا تلو الآخر حتى يعرف مكانهم، ولكن لا مجيب.. زفر قاصف بضيق ليهدر بكل قوته.

-أين أنت أبي؟!

ليسمع همهمات بصوت ضعيف جدًا:

حاول اللحاق بهذا الصوت الخفيض، وهو يسترق السمع بكل ذرة من جسده، إلى أن وصل إليه أخيرًا، فزع قاصف من رؤية والده متأثرًا بجراح عميقة وحوله عدد من الأطباء، ولكنه ما زال في وعيه.

اقترب قاصف من والده قائلاً بغضب:

- من فعل بك هذا أبي؟

هز ميمون رأسه بوهن قائلاً:

-عزازيل الملعون وأولاده.

هزه قاصف برفق وهو يصك أسنانه:

-أين هم الآن؟؟ أنا أنادي على بني النعمان ولكنه لا يجيبني.

بصوتٍ متألم أجابه ميمون بمكانهم..

ربت قاصف على كتف أبيه، ثم أوصى عليه الأطباء قبل أن يغادر سريعًا إلى ساحة المعركة.

صدمة أصابته حين وصل إلى هناك؛ بسبب رؤيته وقوع كثير من الجنود... منهم المتوفى ومنهم المصاب، والأطباء لا يستوعبون جميع الحالات، دار بعينيه باحثًا عن بني النعمان وباقي الجنود، فوجد الملكة فاطمة متأثرة بجروح عديدة، ولكنها ما زالت صامدة، ركض نحوها على الفور؛ ليقاتل الشيطان الذي يحاربها حتى أرداه قتيلاً ثم انتقل بها سريعًا حيث أبيه.

تركها مع الأطباء، وقبل أن يعود، أمسكت بيده وهي تلهث قائلة:

-هل وجدت روزا؟!

أجابها قاصف يطمئنها:

-لا تقلقي ملكتي، لقد وجدتها، وهي بخير الآن وفي أمان.

ثم تركها وذهب سريعًا وهي تتنهد براحة وتحمد الله على نجاة ابنتها.. عازمة أمرها أن تعترف لزوجها وولدها عن ما حدث في الماضي ولتعرف المملكة بأكملها أن روزا ابنتها الكبرى.

بعد دقائق من البحث عن الملك الأبيض وجده يقاتل بضراوة، فوقف يقاتل بجواره بشراسة، وهو ما زال يبحث عن بني النعمان، لم يجده، ومع قليل من البحث لم يجد عزازيل أيضًا، فأيقن أن نعمان يتبعه ولن يتركه إلا وهو رماد، دعا الله أن يستطيع اللحاق به والتخلص منه سريعًا،

في هذه الأثناء..

تسلل بني النعمان خلف عزازيل هو وولده هفاف، ومن خلف نعمان، زيتون.

همس زيتون له:

-من المؤكد أنهم غيروا مكان إقامتهم بعد أن وجدناهم في المرة الأخيرة.

أشار له نعمان بالموافقة، وهو يتتبع أثرهم بتركيزٍ تام، ظلوا يختفون ويظهرون، وعينا نعمان لا تفارقاهما... إلى أن وصلا إلى أحد البيوت الخربة على سطح الأرض.

تأفف بني النعمان باشمئزاز من الرائحة الكريهة، وهو يلعن الشياطين التي تتغذى عليها، حين دخل إلى هناك وجد محمود مكبلاً بالسلاسل ولكنه بكامل قواه؛ يبدو أنه ردد بعضًا من التعاويذ التي حمته من أذيتهم.

لم يستطيعوا إيذاءه إلى الآن!! قالها زيتون هامسًا.

ليشير إليه بني النعمان أن يذهب في الاتجاه المقابل، كما رسموا خطتهم.. سيلهي نعمان عزازيل وابنه حتى يفك زيتون أسر السيد محمود ويختفي به سريعًا، ولكن نعمان لم يكن ليتخيل أبدًا ما رآه الآن!

خرج الطبيب من غرفة العناية بعد أن استقرت حالة أميرة...

هبت دانا بفزع لتلحق بالطبيب قائلة:

-كيف حالها ؟ أخبرني أرجوك؟

نظر لها الطبيب بتعاطف، وسألها:

-أنتِ ابنتها؟

هزت دانا برأسها سريعًا، فابتسم لها الطبيب الشاب بإعجاب قائلاً:

-لا تقلقي، هي بخير الآن.. مجرد ارتفاع في ضغط الدم وارتفاع السكر أدى إلى غيبوبة.

شهقت دانا بقلق، فاقترب منها الطبيب واضعًا يده على كتفها.. لتفزع دانا مبتعدة عنه وهي تنظر إليه بغضب تصرخ به:

-ما الذي تفعله يا هذا؟

رفع الطبيب كفيه، وهو يضم حاجبيه متعجبًا:

-اهدأي يا آنسة، لم أقصد التطاول، أنا فقط كنت أحاول تهدئتك.

ليكمل سريعًا..

-على العموم والدتكِ بخير الآن، وستخرج من غرفة العناية المشددة بعد ساعة واحدة... وقتها تستطيعين رؤيتها والجلوس معها.

ثم تركها وذهب، وعيناها تتبعانه بغضب وهي تتمتم.

-ما الذي أوقفني عن صفعه؟ يا إلهي طبيب وقح.

جففت دموعها، وهي تحمد الله أنها اطمأنت على والدتها.. فكرت دانا أن تستغل مهلة هذه الساعة للذهاب إلى عز الذي لا تعرف عن حالته شيئًا الآن، لم تفكر كثيرًا قبل أن تذهب إلى غرفته مثقلة الخطوات بقلبٍ ينبض ألمًا.

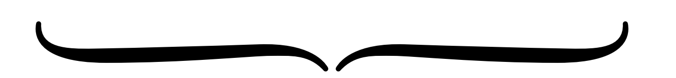
لا تدري هل ستتحمل رؤيته هكذا وهو لا يعرفها، سقطت دموعها بحزن لتزيحها بوجع حتى وصلت إلى باب غرفته..

ترددت للحظات وهي تضع يدها على المقبض لتديره ببطء وتدخل الغرفة على مهل بخطوات متثاقلة، تنفست الصعداء حين وجدته يغط في النوم.

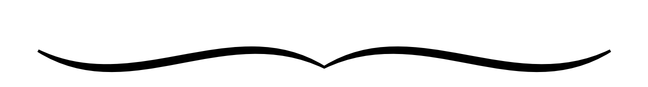
اقتربت منه تقف بجوار رأسه الملتف حوله رباط سميك لا يظهر من رأسه شيئًا.. ظلت تتأمل وجهه وملامحه التي لطالما عشقتها.

تنهدت ودموعها تأبى أن تتوقف، وهي تستعيد كل ما حدث له بسبببهم.. رجعت للخلف بفزع حين وجدته فتح عينيه بتعجب قائلاً:

-من أنتِ؟ ولمَ تحدقين بي هكذا؟؟



الفصل الأخير



شهقت دانا بصدمة، لتتأوه بعدها بألم، بعد أن اصطدمت في الجدار وهي تعود للخلف بفزع، وقف عز وذبذبات غضبه بدأت بالتصاعد وهو يتحرك باتجاهها.. التفت للخلف حين أوقفته الأنابيب الموصولة بكفه، فأزالها بعنف شديد حتى بدأت قطرات من الدماء تتساقط على الأرض.

جهاز الإنذار الموصل بالقلب بدأ بإصدار صرير مزعج، لم يلقِ له بالاً وهو يقترب منها ... فقدت دانا قدرتها على النطق تمامًا من حركاته العنيفة التي تتسم بالغضب، حاولت أن تتحدث، ولكن انعقد لسانها، فابتلعت ريقها بصعوبة ليخرج صوتها متحشرجًا، وهي تنظر إليه برعب و تبكي قائلة:

-ما بك عز؟ اهدأ قليلاً!

ما زال يقترب منها بعينين حمراوين؛ مما زاد انكماشها ورعبها منه.

أمسك يدها بعنف يشدها إليه، فصرخت دانا ليصك هو أسنانه قائلاً:

-من أنا؟؟ هل تعرفيني؟؟

تأوهت دانا لتجيبه بألم:

- نعم أعرفك.. اترك يدي؛ فأنت تؤلمني، أرجوك!

دخل ممرضان بفزع فور سماعهما جهاز الإنذار، ليتوجها إلى عز سريعًا، وكلٌ منهما يمسك به من جانب، ليهدر بهم عز قائلاً:

-اتركوني أيها الحمقى.

أشار لها الطبيب قائلاً:

-غادري الغرفة يا آنسه فورًا.

انتبهت دانا بفزع، لتركض سريعًا خارج الغرفة، وعز يصرخ خلفها قائلاً:

-انتظري قولي لي من أنا؟.

كاد زيتون أن يلتف حول هفاف ولكنه عاد إلى بني النعمان سريعًا، وهو جاحظ العينين، بعد أن سمع صوتها تكلم عزازيل، حاوطه بيده حتى لا يذهب إليهم ويخسروا كل شيء.

فبرغم غضبه الشديد من هذه الغبية التي تسمى زمردة، إلا أن التسرع سيقضي على حياتهم جميعًا، وأولهم محمود وروهان، التي تقف قبالة والدها تبكي، ووالدها ينهرها بشدة، كاد نعمان أن يصيب زيتون في يده إصابة بالغة، فتفاداه زيتون لينتقل به سريعًا وهو يلهث، ليختفي به في مكان بعيد بعد أن سمع زمردة تقول:

- هذه روهان كما وعدتك هي تحمل الكتاب ولكن قبل أن يخرجه لك أبوها، فستفعل ما وعدتني به!

صرخ نعمان بأعلى صوته وزيتون يكبله بيديه الاثنتين، حتى أصابه نعمان من الغضب... ولكن زيتون تمالك نفسه وهو يصرخ به:

-اهدأ بني النعمان ستقتلني.

عيناه ازدادتا احمرارًا، وقلبه يكاد يخرج من صدره، وجسده تحول لكتلة من النار الزرقاء شديدة الحرارة، ليصرخ مرة أخرى وكأن أحدهم طعنه بشدة قائلاً:

- زمردة خانتني زيتون.

لم يجبه زيتون وهو يشعر بألم شديد في جسده ولكن الألم الذي لا يحتمله هو ألم قلبه.. كاد أن يقول له أنها خانتنا جميعًا، ولكنه يعرفها جيدًا هي أغبي مخلوقات الله ولم تفعل ذلك إلا عن جهل وخوف عليهم جميعًا، آثر الصمت حتى يخرج بني النعمان كل غضبه، ليهدأ قليلاً ثم يخططون بعدها ماذا سيفعلون في هذه الكارثة.

لم يهدأ نعمان ولم يعد يحتمل زيتون احتواءه أكثر من ذلك، ففاجأه نعمان على غفلة منه ليختفي على الفور ذاهبًا إليهم بغضب سيحرقهم جميعًا، لحق به زيتون بشق الأنفس، ليجده بدأ في مقاتلتهم الاثنين وزمردة تقف مذهولة...

بينما ركضت روهان نحو والدها، تحاول محاولات واهية لفك قيده فلم تستطع.

أسرع زيتون لمحمود ليفك قيده، وقبل أن يأخذه هو وروهان لينقلهم إلى مكان آمن، أمسك هفاف به يضربه بقوة، فأخذ محمود ابنته في أحضانه، وابتعد وهو يردد بعضًا من تعاويذه الخاصة به.

حاول زيتون محاربة هفاف، والرجوع إلى محمود وروهان لينقلهم إلى مكان آمن، ولكن جسده لم يعد يحتمل؛ وفي لحظات كان نفر من الشياطين يحيطون بهم من كل جانب، جزء منهم ذهب إلى أبيهم وبني النعمان؛ ليتكالبوا جميعًا على الأخير يضربونه بشدة، والجزء الآخر ذهب إلى هفاف وزيتون.

وبعد لحظات وقع زيتون أرضًا، بعد أن خارت قواه ولم يعد يستطع المقاومة أكثر من ذلك، ركضت زمردة نحوه وهي تصرخ لتضربهم بقوة ولكنها ليست بالقوة الكافية، أما عن نعمان ما زال يقاتل ولكنه أصيب بشدة ويأبى أن يسقط.

صرخة شديدة باسم قاصف خرجت من زمردة، قبل أن يطعنها أحد الشياطين في قلبها مباشرة، ثم بعدها سقطت فاقدة للوعي بجانب زيتون.

أتى قاصف بأقصى سرعة مع عدد كبير من الجنود، ليأخذ أحدهم زيتون وزمردة وينتقل بهم حيث الأطباء.

ثم ذهب قاصف بجوار بني النعمان يقاتل معه، تعلقت عيناه بمحمود وروهان فلم تفارقهما، وكلما حاول الاقتراب منهما وقف أمامه أحد الشياطين يقاتله، استغل عزازيل هذه الفوضى واتجه نحو روهان ووالدها بعد أن أصيب هو بشدة.. ولكنه تحامل على نفسه؛ لينتقل بهم سريعًا هاربًا إلى مملكة الشياطين يتبعه اثنان من أبنائه أمسك بني النعمان بيد قاصف؛ ليتبعوا عزازيل تاركين باقي الجنود يقاتلون أبناءه الباقين.

دخل عزازيل مملكته وهو يهدر بالجميع:

-احرسوا جميع المداخل جيدًا، وإن رأى أحدكم أيًا من المسلمين، فليقتله فورًا.

أفلت روهان ومحمود من يده بغضب واستدعى أحد أطبائه؛ ليخففوا ألمه قليلاً.. التصقت روهان بوالدها وجسدها ينتفض رعبًا مما يحدث، أخذها محمود في أحضانه محاولاً حمايتها ببعض من تعاويذه، التي بالكاد يتذكرها بعد كل هذه الأحداث المتلاحقة.

بعد لحظات أخرج عزازيل جميع من في الغرفة ليقترب ببطء من محمود، فوقف محمود أمام روهان حاميًا إياها، نظر له الشيطان.. وعيناه محمرتان بغضب شديد، وفي لحظة واحدة أمسك برقبته حتى رفعه من على الأرض وروهان تصرخ به قائلة:

-اتركه.

لم يلقِ لها بالاً، وهو ما زال يخنقه حتى كادت رقبة محمود تنخلع في يده ثم بهدوء شديد قال له:

-أخرج منها الكتاب، وإلا عذبتك أنت وهي حتى تتمنيا الموت ولن تجداه.

ثم أفلته عزازيل ليقع بعدها على الأرض يحاول التقاط أنفاسه بصعوبة بالغة، ركضت روهان نحو أبيها تحثه على التكلم حتى تطمئن عليه، فأشار لها محمود أنه ما زال بخير.

اقترب عزازيل من محمود مرة أخرى يوسوس له قائلاً:

-سينتهي كل شيء فورًا عندما تعطيني الكتاب، سأعالج ابنتك ولن ترى الجن مرة أخرى.

ثم أصدر حركة سريعة بيده، فظهرت أمامهم صورة أميرة وهي نائمة على السرير في المشفى والأطباء حولها يحاولون إنقاذ حياتها، ودانا تجلس خارج الغرفة تصرخ وهي تنادي على أبيها وروهان.

شهقت روهان ووضعت يدها على فمها بفزع من رؤيتهم في هذه الحالة، بينما انتفض محمود وهو ينظر لعزازيل، فأكمل الأخير وسوسته قائلاً:

-أستطيع أن أنقذ حياتها هي أيضًا.. وأعدك أنك ستعيش بعدها حياة طبيعية من دون أي قلق.

التفتت روهان نحو والدها وهي تبكي بقهر على قلة حيلتها، بعد أن تلاشت صورة أمها ودانا قائلة:

-أرجوك أبي أخرج الكتاب وأعطِه إياه ودعنا نعود سالمين.. سأموت حتمًا إن أصاب أمي مكروه.

نظر لها لعدة ثوانٍ ثم هز رأسه موافقًا.. ووضع يده على صدرها، وهو يردد كلماتٍ يحفظها عن ظهر قلب، أغمضت روهان عينيها، وشعور بألم شديد في بطنها يتزايد، حتى بدأت بصراخ اهتزت منه أركان الغرفة وكاد أن يقع سقفها فوق رؤوسهم.

وقف محمود عاجزًا لا يعرف لمَ تشعر بهذا الألم، بعد لحظات اقتحم نعمان الغرفة مرتعبًا حد الموت، وهو يسمع صرختها ولا يدري لمَ تتألم هكذا وماذا يفعل بها هذا الخبيث!؟

بدأ بمقاتلة عزازيل بشراسة وغضب شديدين، توقفت روهان عن الصراخ حين توقف والدها عن التلاوة، أحكم نعمان قبضته على عزازيل حتى كاد أن يقضي عليه، تبعه هفاف بسرعة البرق يلتف حول بني النعمان ضاربًا إياه بكل قوته.

فتحت روهان عينيها بصعوبة بالغة وهي تشعر بدوار شديد حتى كادت تفقد الوعي، ومحمود يتفحصها محاولاً أن يفهم سبب هذا الصراخ والإعياء الشديدين،

غافلين عن بني النعمان الذي يقضي دقائقه الأخيرة؛ بعد أن طعنه هفاف عدة طعنات هو وأبيه.

دخلت روزا بهدوء دون أن يلاحظها أحد حتى الآن، التفت حول والدها بترو، وتوالت على عقلها صور من ماضيها مع والدتها الأصلية، التي عاملتها بكل حب، فهي لم تحب وتقدر أحدًا مثلها، ثم صور أخرى عن معاملتها كخادمة تنهرها بشدة على أقل خطأ، والمسكينة لم تكن تتحدث قط، نظرت لنعمان الممدد على الأرض متأثرًا بجراحه، وسقطت منها دمعة حزن على كل ما فعله بها أبيها.

بسرعة البرق طعنته في قلبه مباشرة من الخلف دون ذرة ندم، ثم همست:

- هذا من أجل ما فعلته بأمي.

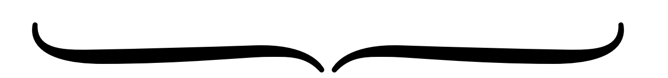
وقف الجميع في صمتٍ تام، بعد أن أصدر عزازيل صرخة مدوية، فأخرجت النصل السام وطعنته مرة أخرى وهي تردد:

-وهذا من أجل نعمان.

أخرجت النصل لطعنة ثالثة ولكن هفاف كان الأقرب لعزازيل، فالتف حولها ليمسك رقبتها كاسرًا إياها في حركة واحدة جعلتها تسقط على الأرض بعد أن وافتها المنية في لحظتها، الكل كانوا في صدمة واضحة، وأولهم قاصف الذي إلى الآن لا يصدق ما حدث.

للحظات لم يستوعب أن هذه هي روزا في أثناء وقوف قاصف مصدومًا، وبني النعمان يحاول أن يقف على قدميه سريعًا، سبقهم هفاف حيث محمود وروهان ما زالا ينظران نحو عزازيل الذي كان يلتقط آخر أنفاسه.

روهان هي من انتبهت لهفاف، وهو يختفي ليظهر أمام محمود، وهو يحمل في يده النصل الذي أخذه من يد روزا بعد أن قتلها، وقفت سريعًا لتتلقى هي الطعنة قبل أبيها، وقبل أن تسقط هي الأخرى أرضًا سمعت صراخ والدها بعد أن أمسك قاصف بهفاف وهو في قمة غضبه ليمزقه إلى أشلاء صارخًا باسم روزا... وقف بني النعمان صارخًا بكل ما يحمله من ألم، وفي لحظات أخذها هي ومحمود واختفى.





الخاتمة



بعد مرور سنتين..

يجلس عز الدين أمام الطبيب النفسي يبتسم له قائلاً:

-اعذرني «مصطفى» أنا أرفض أن أخبرها بما حدث بالفعل هذا الوضع أفضل بكثير صدقني.

أجابه مصطفى محاولاً إقناعه:

- أنا متعاطف جدًا معها عز؛ فهي تتحملك منذ سنتين كاملتين، إنها تتصل بي بعد كل جلسة لك تسألني هل تذكرت أي شيء من الماضي، فأجيبها أنا:

-لا تقلقي دانا، ما زال هناك وقت.. لا تتعجلي.

تأفف عز بضيق في محاولة لشرح وجهة نظره:

-اسمعني مصطفى أنت لا تفهم شيئًا.. مشكلتي مع دانا هي سارة، وبعد أن أقنعتها أنني فقدت الذاكرة، انتهت مشكلتي ...

هي الآن واثقة تمامًا أني نسيت سارة، وأي محاولة مني لتذكر أي شيء يخصها، ستعرف وقتها أنني تذكرت سارة.

أجابه مصطفى معاتبًا:

-لن تتحمل عز صدقني، حاول أن تتذكر أمامها أي موقف أو ذكرى حدثت بينكما.

هز عز رأسه بعدم اقتناع قائلاً:

-أنا أعشق دانا مصطفى، ويكفيها هذا.

ثم ابتسم، وهو يغمز له ويقوم من على كرسيه يستعد للرحيل قائلاً:

-أقنعها أنت أننا تزوجنا وأنجبنا أجمل فتاة على وجه الأرض، وسنصنع معًا ذكريات جديدة، فلتكف عن محاولاتها الواهية في جعلي أتذكر الماضي.

وقف مصطفى يصافحه، وهو يضحك مستسلمًا:

-ما دمت مصرًا على موقفك.. حسنًا، سأحاول إقناعها أن تكف يدها عنك.

خرج عز من العيادة يركب سيارته وهو يمسك هاتفه.. فتحه ليجد صوت وصول رسالة إليه، عندما فتح الرسالة وجدها دانا تحاول الاتصال به، ضغط زر الاتصال، وابتسامته ترتسم على وجهه، وهو يسمع صوتها المتذمر قائلة:

-وقت جلستك ساعة واحدة وليس ساعة ونصف.. أين أنت عز؟؟ أم أنك تفضل الجلوس مع مصطفى على الرجوع للبيت؟؟

أجابها عز من دون أية مقدمات:

لقد اشتقت إليكِ كثيرًا حبيبتي.

تلاشى غضبها في لحظة واحدة؛ مما جعلها تبتسم وهي تتنهد قائلة:

-أسرع إذًا، أمي ستقتلنا.. لقد تعديت ميعاد الغداء، وأنت تعرف جيدًا قوانين أمي الصارمة فيما يخص الطعام.

ضحك بشدة وهو يقول:

-روهان بجوارك وتخافين أن تجيبيني بأنكِ أنت أيضًا مشتاقة لي.

حاولت دانا أن تتكلم، فأدار عز محرك السيارة وهو يقول:

-لا لن أسمعها منك إلا وأنت أمام عيني وروهان تقف بجانبي.. أنا قادم الآن دقائق وستجديني أمامك.

ثم أغلق الهاتف، وهو يضحك مستمتعًا يتخيل وجهها الآن.

زفرت دانا بضيق، وهي ترمي الهاتف من يدها على المنضدة.. ضمت روهان حاجبيها قائلة:

-لمَ تضايقت هكذا!!

أشارت دانا برأسها تجيبها بمرح قائلة:

-لا عليك، فعز يمارس ألاعيبه المعتادة.

لوحت لها روهان، وهي تجلس بجوارها.. فاقتربت دانا منها.

تسألها روهان:

-هل ما زال لا يتذكر أي شيء من الماضي؟؟

أجابتها دانا قائلة بخوف:

-كلما سألت مصطفى، أجابني لا تتعجلي.. يظن هذا الأبله أنني أريده أن يعود إلى ما سبق.. لا يعرف أنني أسأله وأنا مرتعبة من أن يأتي اليوم الذي يتذكرها به.

توقفت دانا عن الاسترسال، وهي تنظر نحو «إلينا» ابنتها بتعجب حين سمعت صوت ضحكاتها عاليًا، اتجهت روهان نحو إلينا، وهي تنظر إليها بغرابة قائلة:

-ابنتك ترى يوناس ولدي؟!

اقتربت دانا تقف بجوار روهان قائلة:

-أتمنى أن أراه أنا الأخرى.

أجابتها روهان، وهي تبتسم:

-يقول لكِ أنكِ أجمل إنسية.

لتكمل بتفاخر:

-بعدي أنا بالطبع يوناس.

ضحكت دانا بعينين دامعتين قائلة:

-وأنا واثقة أنك أجمل صبي من بني الإنس والجن.

اقترب نعمان من روهان هامسًا:

-أخبري أختكِ أن يوناس أجمل صبي في الكونين لأنه يشبهني.

وكزته روهان في كتفه قائلة:

-هو لا يأخذ سوى جيناتك فقط، أما في شكله فهو نسخة مني أنا.

لتكمل روهان باهتمام:

-هل انتهت مشكلة زمردة؟!

أشار نعمان برأسه نافيًا:

-ستظل طوال عمرها غبية.. لن تعقل أبدًا، كان الله في عون زيتون.

التفتت دانا إليها قائلة:

-وصل نعمان؟؟

هزت روهان رأسها إيجابًا، فقالت لها دانا:

-حسنًا، سأخرج لأرى أمي وأكمل معها الطعام.

جلست روهان وتبعها نعمان، لتسأله:

-هل أخبرت جدتك ما عرفته عن أمر روزا؟

هز نعمان رأسه بنعم وهو يقول:

-نعم، أخبرتها وصُدمت وتألمت كثيرًا.

سألته مستغربة:

-لمَ تألمت!! هي تأكدت أن روزا خدعتها؟؟

أجابها نعمان:

-تألمت لأمرين روهان.. الأول لقتل ابنتها صغيرة، وهي لم تعرف عن الأمر شيئًا، والثاني لموت الفتاة التي لطالما اعتبرتها ابنتها.

أشارت له روهان بتفهم وهي تقول:

-عرف أبوك وعمي حافظ بالأمر؟

هز نعمان رأسه بالنفي قائلاً:

-لن يستفيدوا شيئًا سوى لومها على ما حدث، ولن ينسوا أبدًا ما فعلته في الماضي.

ثم أشار ناحية خروج دانا قائلاً:

-ما زالت هي وأمك يخافون مني أليس كذلك؟؟

أجابته مبتسمة:

-لا تقلق.. سيعتادون الأمر لولا أن يوناس جزء مني لكانوا خافوا منه أيضًا؛ طبع البشر هكذا نخاف دائمًا من المجهول

صوت محمود، وهو ينادي ليوناس، جعلهم يتوقفون عن الحديث.

لوحت روهان لولدها قائلة:

- اذهب لجدك حبيبي، وضع إلينا في سريرها لو رأت خالتك هذا المشهد وأنت تحتضنها، فستقتلنا جميعًا.

أجابها يوناس بتذمر:

-أنا أريد أن أتزوجها أمي.

ضحك نعمان قائلاً:

يكفينا واحدة من الإنس ولدي.

نظرت روهان لكليهما بغضب قائلة:

- اذهب يا ولد لجدك ولا تتكلم في أمور كهذه، اذهب حالاً.

فعل يوناس ما أمرته به روهان، وذهب إلى جده وهو حزين مطأطئ الرأس.

عنفها نعمان بعتاب:

-ما بكِ روهان؟ اهدأي قليلاً على الصبي، لا تعامليه هكذا!

أجابته وهي تتأفف:

-أرجوك نعمان لا تعنفني هكذا، يجب أن يعرف أننا مختلفان.

ضم حاجبيه بتعجب:

-هو يعرف جيدًا أننا مختلفان وتزوجنا وأنجبناه.

تنهدت روهان بألم:

-ولكنه مختلف عنا جميعًا نعمان.. أنا مرتعبة عليه.

حاوط نعمان وجهها بيده ثم قال:

-لا تقلقي حبيبتي، يوناس سيحمي ممالك المسلمين جميعًا، أنسيتِ كيف أنقذ حياتك وهو ما زال نطفة في أحشائك؟

ابتسمت روهان وهي تتذكر وجه نعمان وأبيها، وهما مرتعبان عليها بعد أن طعنها هفاف.. لتقف هي متعجبة وهي تبحث في جسدها عن أية إصابة ولكنها لا تجد شيئًا!!

وقف والدها مصدومًا لا يستوعب ما يحدث، بينما التصق بها نعمان يحتضنها وهو يبكي، قام أحد الأطباء سريعًا بفحصها ليرى ماذا يحدث مع هذه الإنسية.

توقف بعد فحصها بذهول، وهو يخبرهم بتعجب أنها تحمل مولودًا في أحشائها يبلغ من العمر يومًا واحدًا.. انصدم الجميع، وأولهم الطبيب، وهو يلقي عليهم الطامة الكبرى .

هذا الطفل سيكون معجزة تحيطه هالة لم أرَ مثلها قط!!

انتفضت روهان ووقف بني النعمان مشدوهًا حين أكمل طبيب الجن:

-الطفل يتكون من كتاب أسرار الجان.

تم بحمد الله

